

obeikandi.com

الساحر

من أدب الرحلات

الساحر

Rowohlt Verlag صدر العمل الأصلي عن دار نشر روفولت
بمعنوان **New Wave**

من أدب الرحلات

تأليف : كريستيان كراخت
الغلاف : هانيبال – هيبو

الطبعة الأولى/ القاهرة ٢٠٠٨
رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٢٠٠٩٨

ISBN: 978 - 977 - 6299 - 14 - 9



وكالة سفينكس

٧ شارع معروف الدور السابع
وسط البلد – القاهرة

ت/ف: ٠٠٢ ٠٢ ٢٥٧٩٢٨٦٥

www.sphinxagency.com

info@sphinxagency.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر نشر أو إقتباس أي جزء من هذا العمل أو كله إلا بإذن كتابي.

ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية

Sphinx Agency © 2008

"Publication of this work was supported by ProHelvetia"

المؤسسة الثقافية السويسرية

prohelvetia

كريستيان كراخت

السد احمر

ترجمة: خالد

طوبار



وكالة سفنكس

كريستيان كراخت

كاتب وصحفي سويسري. تلقى تعليمه في عدة مدارس داخلية للنخبة، من بينها مدرسة "قصر زاليم". نشأ في الولايات المتحدة وكندا وجنوب فرنسا، وقضى سنوات عديدة في ألمانيا أيضا حيث عمل صحفيا للصحف والمجلات التالية: "برلينر تسايتونج" و "تمبو" و "دير شبيجل"، كما عمل مراسلا صحفيا في الهند. وهو يعيش ويعمل اليوم في كاتماندو في نيبال.

خالد طوبار

روائي ومترجم من العربية إلى الألمانية. درّس علم المصريات والعلوم الإسلامية في القاهرة وبرلين، وأسس العديد من المشروعات الثقافية التي تقوم على مد جسور التواصل بين الثقافات المختلفة، صدر له روايتان باللغة العربية: "برج الحمام" و "كتاب الزمان"، ورواية "نيران المخيم" من تأليف يوليا فرانك. له عدة أعمال مترجمة عن الألمانية منها: "خوف حارس المرمى عند ضربة الجزاء" للكاتب الألماني بيتر هاندكه ومختارات قصصية من الأدب الألماني المعاصر بعنوان "الحب الألماني" وبعض قصص الأطفال المترجمة. ترجم رباعيات صلاح جاهين إلى الألمانية، وكتب بالألمانية مسرحية بعنوان "لعبة الشطرنج العربية".

obeikandi.com



obeikandi.com

obeikandi.com

رحلات كريستيان كراخت

تقديم فُولْكر فايدرْمَن

أنا أسعد من سافر، وانتقل،
وارتحل، وأنا الأكثر حزنا متى
وضعتُ عصا الترحال. تلك حالة
مرضية كانت دائما في طبعي.

١توماس برنهارد

قبل فترة من الزمن وقف ملك نيبال موقفا حرجا إلى
أقصى حد، إذ انتفض الشعب ضده ونزلت الجماهير إلى
ساحات الشوارع معلنة أنها لن تنهي اعتصامها ما لم يتراجع
الملك عن قراره بحل البرلمان، ظل الملك مستمسكا بموقفه
بضعة أيام بينما تتصاعد انتفاضة شعبه وتزداد عنفا واتساعا.
كانت نشرات الأخبار في التلفزيون الألماني تنقل يوميا

١توماس برنهارد Thomas Bernhard أديب نمساوي ولد في هولندا عام ١٩٣١ وتوفي في النمسا عام ١٩٨٩. كتب روايات ومسرحيات عديدة، تأثرت أعماله بتجربته القاسية لإصابته بالسل وهو لما يزل في التاسعة من عمره. يعتبر كاتباً متشائماً. يعد من أهم أدباء اللغة الألمانية في النصف الثاني من القرن العشرين. حاز جوائز عديدة ورفض جوائز عديدة. تُرجمت له بعض الأعمال إلى العربية. (المترجم)

صورة حية لجموع هائجة من مختلف الفئات، وتبث لقطات أرشيفية للملك وهو في عزلته، ما الذي حدث هنالك؟ وعلى أي نحو تتطور الأمور؟ قيل أن هذه الانتفاضة انطلقت هناك من أمام حجرة رئيس التحرير كريستيان كراخت مباشرة، على الفور أرسلت إليه بضرورة أن يكتب للجريدة تقريراً عن الأحداث التي تجري في المدينة، وكتبت قائلاً: "عزيزي كريستيان، يجب أن تكتب لنا شيئاً من قلب الأحداث!" وسرعان ما جاءني رده معذراً بأنه في تلك اللحظة يتواجد في كاليفورنيا حيث يعمل على إخراج العدد الأخير من مجلته والذي بالطبع لا يمكن إنجازه - حسب قوله - إلا في فندق "بوهيم" Boheme في شارع "كولومبوس" Columbus Avenue بمدينة سان فرانسيسكو. مؤكداً أنه يعرف صحفياً في نيبال يمكنه أن يكتب شيئاً جيداً عن الموضوع.

هكذا هو كريستيان كراخت. دائماً تجده في موضع ما أو في طريقه إلى مكان ما من العالم. إلا أنك لا تجده أبداً حيث تجري أحداث الساعة. عندما أردت أن أقابله قبل أن أكتب هذه المقدمة كي أحدثه بشأن أسفاره وأسأله لم هو دائم الهرب؟ غير مستقر بموضع؟ وعدني بحماسة أننا سنلتقي. غير أنني حادثته بعدها هاتفياً أكثر من مرة فتارة أجده في كولونيا في ألمانيا يحقق مع ناشره رقماً قياسياً كولونياً، وتارة على ضفاف "بحيرة كونستانس" Bodensee يزور مستشفى لعلاج النحافة، وثالثة أجده قد انطلق من هناك مباشرة إلى شنغهاي بالصين. بالأمس فقط استطعت أن أقابله لوقت قصير، إذ مر علينا في قسم التحرير وهو يرتدى رغم الحرارة الشديدة بلوفر من الصوف ورداءاً من الحرير، قلت له وهو يعرض علينا مجموعة من الصور جمعها أثناء

رحلته إلى كوريا الشمالية: "نعم، أذكر أنك كُلفت بتغطية مهرجان الأفلام في بيونج يانج." فرد في أدب قائلاً: "كلا، أظنه كان مهرجان الأفلام في بانكوك."

إنه كريستيان كراخت دائم الترحال، الهائم في العالم وكأنما يستنفره دوما مزيج غريب من الضجر والفضول، أمنية جامحة ليس لها مستقر، وشوق دائم إلى المجهول، إلى أصغر بقعة في العالم لم ترها عين قبل عينه، ولم يصفها قلم قبل قلمه. كتب مفتتحاً وصف رحلته مع إيكهارت نيكل Eckhart Nickel إلى تشرنوبل قائلاً: "إن أخص ما في

الترحال، بل إن أمتع ما فيه يكمن دائماً في عدم الشعور بالارتياح في أي مكان يوجد فيه الرَّحالة، سواء كان لدى وصوله أو في طريقه أو عند رحيله."

لابد إذن أن يُدرك الشعور بالارتياح في أماكن غير هذه، ربما في نهاية الرحلة، وربما لا يُدرك أبداً، إن كراخت يحج قاصداً الفردوس فلا يجد إلا الجحيم! ولا يناله من التركيز الجنوني على الفرعيات إلا معاينة السعادة عن كثب، ثم المرور عليها وعلى الغاية المنشودة مرور الكرام، عندما شد الرحال إلى منغوليا ليحظى - ولو لمرة - بتذوق الوجبة الشعبية المنغولية المسماة "البُودُك" والمصنوعة من حيوان "المرموط" المشوي بمشعل قطع (بوري لحام)، لم يجد على قائمة مأكولات المطعم إلا أكلات ألمانية مثل شرائح اللحم بالقشدة وتوست هاواي، وحلوى التوفيفة، وجبنة الكاممبير المحمصة مع التوت البري الأحمر، عندئذ يضطر كراخت إلى متابعة الرحلة، وينصحه البعض بأن يوغل في البلاد

أكثر، فيستجيب وينطلق إلى هناك ويقضي وقته في الأكل والفرجة والاستغراب ليعلم في نهاية المطاف أن "البودك" لم يكن سوى كابوس أو روح شريرة، فيعطينا نهاية سوداوية بقوله: "ثم عمت الظلال السوداء."

وتأتي في بداية الرحلة ذكريات عن طفولته في جبال سويسرا عندما كان يراقب هذا الحيوان المألوف بالمنظار المقرب عبر حزام الأشجار حول مدينة برن، في بادئ الأمر يقرأ المرء هذا الموضوع وكأنه ذكرى عبث طفولي، أو وصف لسذاجة صبا، ومع القراءة الثانية يتضح أن كراخت هنا في ذكرياته عن الصغير كريستيان في الجبال السويسرية يكشف عن شيء محدد، هو طريقته في وصف العالم أو طريقته في تأمل ما فيه، فالنظرة عبر المنظار المقرب هي نظرة الكاتب والرحالة كريستيان كراخت، كل شيء موصوف بدقة ووضوح وكأنك لم تقرأ شيئا في مثل وضوحه من قبل، ورغم ذلك تجد وصفه بعيدا إلى أقصى حد، وكأن أحدهم وضع العالم خلف جدار زجاجي وكراخت ينظر إليه لأول مرة ويتسلل بنعومة عبر هذا الجدار البارد ليصل إلى مكان لم تطأه قدم إنسان منذ زمن بعيد، وتأتي اللحظة الأجل التي يعيشها الكاتب في هذا الكتاب عندما يصف الصباح قائلا: "كان صباحا من زجاج، كل شيء فيه يؤلم، لكنه بدا صباحا جميلا."

إنها لحظة سعادة موجودة بالفعل، لكن لبرهة خاطفة حالما يفكر فيها الإنسان تكون قد تلاشت إلى الأبد، غير أن كراخت لا يفتأ يتبعها في الآفاق، موجهها منظاره المقرب إلى أقصى الأقصي، ليرى دوما أوضح، دوما أوسع، دوما أبعد، سيظل

كراخت دائم السفر، دائم الهرب، سيظل دائما يكتب، دائما
يبحث، ولن يعرف يوما طريقا للعودة.

obeikandi.com

ET IN ARCADIA EGO¹

زيارة إلى جيبوتي/٢٠٠٣

في تمام الساعة الثامنة صباحا انطلقنا، أنا وعلّي وبوب والسفير الفرنسي، بسرعة ثمانين كيلومترا في الساعة عبر بحيرة ملحية جافة في سهل الـ"جراند برّا" Grand Barra، كان كل واحد منا يجلس في سيارة بيضاء من سيارات السباق الصغيرة Go-Karts، وقد ثبتّ على كل منها شراع. كنت آنذاك في جيبوتي، تلك الدولة الصغيرة في إفريقيا، هنا في منطقة القرن كان الشاعر الفرنسي "أرثر رامبو" Arthur Rimbaud، والأديب الإنجليزي "إيفيلين وُو" Evelyn Waugh، وفي هذا المكان بالقرب من البحيرة كان الفنان الأمريكي "تشارلتون هيستون" Charlton Heston يخرج فيلمه "كوكب القرد" Planet der Affen، أما الآن فقد حطت بالمكان البحرية الألمانية ومن بعدها أنا؛ لا شك أن نوعية الزوار البيض آخذة في التراجع.

¹ عبارة لاتينية شهيرة معناها مثير للجدل، وأقرب ترجمة لها هي "وأنا أيضا كنت في أركاديا" وأركاديا هي إحدى مقاطعات اليونان، وأول استخدام لهذه العبارة كان تسمية لإحدى لوحات الفنان الإيطالي "جيوفاني فرانثيسكو باريري" Giovanni Francesco Barbieri. (المترجم)

في صيف جيبوتي تبلغ الحرارة خمسين درجة مئوية، وتزيد في الخارج حيث الصحراء المالحة لتصل إلى السبعين. بيّد أنها الآن تُحتمل، فالوقت مطلع فبراير، أفضل فصول السنة، فيه تتفتح على سفوح الكثبان الرملية زهور حمراء منتفشة، وتحوم في تيارات الهواء الذي يعلو البحيرة المالحة نسور وصقور.

فاز السفير الفرنسي بسباق الإبحار في الرمال دون عناء، ومد يده في سيارته الفورد اكسلورر قابضا على بعض قطع الكرواسو ليوزعها علينا، ثم جلس في سيارته، لينطلق بها عبر البحيرة الجافة في غيمة من الغبار، قاصدا العاصمة، وقد ودعنا من نافذة السيارة مناديا: "أوروفوار مسيو!" ورددنا عليه ونحن نمضغ فطائر الكرواسو: "أوروفوار إكسلانس!".

كان الألمان قد أعلنوا عن قدومهم ذلك اليوم في حافلة مكتظة بحمولة كاملة من جنود البحرية الراغبين في تعلم الإبحار في الرمال، جلسنا على مقاعد ثلاثة نترقب وصولهم، كنا نلعب الورق وندخن السجائر، وكان بوب يقوم إلى صندوق التبريد في مؤخرة الكوخ المفتوح المصنوع من الصفيح المضلع، فيخرج منه حزمة من عبوات البيرة يحملها إلينا من أحد طرفي الكوخ إلى الطرف الآخر، مر وقت طويل منذ أن نفذت قطع الكرواسو، جلسنا نراقب الذباب، ثم أخذنا نُحصيه، ثم تحولنا نحصي أرجله.

لم تأت الحافلة حتى قبيل الغروب، فعدت أنا وعلّي وبوب إلى عاصمة جيبوتي، التي يطلق عليها أيضا اسم جيبوتي على سبيل التخفيف، هناك تركنا علّيًا يجلسنا في أحد الميادين الكبيرة. بعد الغروب مرقت عبر ميدان الـ"بليس مينيليك"

Place Menelik نسوة إثيوبيات يضعن عطورا نفاذة، ويرتدين الـ"كات سيوت" Catsuits، كانت ظلال العصري السوداء قد تلاشت بعدما تسلقت الباكيات المطلية بالصفرة تستحثها الشمس المنزوية في أحد الجوانب؛ مؤهت ظلمة الليل الظلال كافة، وحدها الجدران لم تزل دافئة، كانت جيبوتي دائما ما تسقط في غيبوبة بدءا من الساعة الثانية والنصف بعد الظهر؛ فثُمَّ وقت لمضغ "القات"، تسكن فيه المدينة كلها، بل والقطر عن بكرة أبيه، ويقعد فيه الرجال في الظل الأسود بأفواه منتفخة، يعضغون الأوراق الخضراء المخدرة، وَيَشْخُصُونَ بأبصارهم إلى الطرقات حتى ساعة متأخرة من الليل.

قعدنا نحن أيضا في أحد المقاهي، بوب وأنا، تحت الباكيات يتناول كل منا زجاجة بيرة. قال بوب: "جيبوتي هي أكثر دول العالم غلاء بعد اليابان." وفعلا كلفتنا زجاجتا البيرة ٣٢ دولارا، بوب الذي ينحدر من جوهانسبرج يعمل مندوب مبيعات لأحجار الجليخ، ويروج بضاعته عبر السفر خلال إفريقيا مرة في العام، ودائما ما يكون سفره على طول خط الاستواء.

أخبرني بوب وهو يحتسي زجاجة البيرة أنه على موعد مع "مونشير الجميل" ورجاني أن أكون في صحبته إلى هناك، لم يكن عليّ أن أقول شيئا أثناء الحديث رغم أنه سيتولى تقديمي بصفتي مساعدا له من سويسرا، وما أن انتهينا من الشراب حتى انطلقنا إلى الجميل.

ابتدأ بوب قائلا:

-ربما نستطيع أن نحظى باهتمام سيادتكم بتشكيلتنا من
أحجار الجلخ التي نصنعها في جنوب أفريقيا بجودة
ألمانية؟

نحن مندوبو شركة "الحصان"، وكما ترى هي شركة
معروفة، نستطيع - مونشير الجميل - أن نورّد لك بسعر
خيالي يبلغ ربع تكاليف التوريد التي تتعامل بها مع غيرنا.
-لقد جنّت إلى الرجل المناسب، فأنا ملك جيبوتي.
-حتى الآن أنت ملك سوق المقاولات.

-نعم نعم صحيح، ولكني أيضًا سفير المغرب في
جيبوتي. انظر!

-وبيد يُزيئها خاتم أشار الجميل في اتجاه متجره حيث
يوجد عَلمٌ مغربيّ يتدلى بجوار آلة تحصيل النقود على
يمين تشكيلة المبارد.

-فلترني دليل المعروضات لديك!
-فضل!

-مم، ليس سيئا. ما من أحد يريد أن يبني شيئا في
جيبوتي إلا جاء
إليّ أولا، إلى الجميل.

-التأكيد، هلا ألقيت نظرة على صفحة ١٦، هذا قرص
لجلخ

الخرسانة، وهنا قرص مشابه لصقل الحديد، إنها بضاعة
متقنة.

-ذا طلبت عشرة آلاف قطعة، لا بل أربعة عشر ألف
قطعة...

-ذن ندعوك إلى المعرض الصناعي في كولونيا هذا العام.
حسن، سأخذ... هل تدوّن؟

لحظة!

ضغط بوب بإبهامه مرتين أو ثلاثة على مؤخرة قلمه.
أربعة عشر ألف قطعة من هذا، وثلاثة عشر ألفا من
هذا...

دوّن بوب الطلبة وقلمه يطير على الورقة كأنه عصفور
متوقد يبحث عن قوت.

-والآن يكفي هذا القدر من العمل. هيا سأوصلكما إلى
منزلكما، ولكن قبل ذلك ... لحظة واحدة... إذا سمحتما
لي... إن قميصيكما يبدوان باهتين من كثرة الغسل، لذا
أرجو أن تأخذا هذا كهديّة مني، من الجميل!

أدخل يده أسفل مكتبه المكسو بالجلد وناولنا علبتين
كبيرتين حمراوين من الورق المقوى مطبوع عليهما *Pierre*
Cardin، وقد ترك عليهما بطاقتي الثمن. فقلت له:
"إكسلانس، إنها هدية باهظة الثمن!"

فردّ ملك المقاولات قائلا: "جيبوتي هي أكثر دول العالم
غلاء بعد اليابان." فقال بوب: "أنت بحق ودود جدا."

في نزلي بفندق شيراتون جيبوتي أخذت أفطح علبة الـ
Pierre Cardin بحذر، كان قميصا مقاس *XXL*، ذا لون
أخضر نعاعي به خطوط رفيعة زهرية اللون ومشغول عليه
تطريز أبيض ماسي.

انتشر في أنحاء البار بفندق "شيراتون جيبوتي" صحفيون
ألمان وأفارقة، وجنود بحرية، وبعض ضباط في ملابس
مدنية، وعدد متكاثر من جنود الشرطة العسكرية يتحدثون
عن حفل التشريفة مساء اليوم على متن السفينة الحربية
المسماة "إمدن" *Emden*، كان السقاة الأفارقة يجوبون البار
بأواني الشراب، طلب بوب لنفسه كأسا من الفودكا، أما أنا

فكنت أرثدي قميص الجميل مشمرا أكمامه بالغة الطول،
حاشيا أطرافه التي تصل إلى ركبتي داخل سروالي فانتفخ في
منطقة الحوض والمؤخرة كما لو كان حفاضا.

وقف "تيله" رائد البحرية إلى طاولة البار يحتسي كأسا
من البيرة، مرتديا تي شيرت بنفسجي اللون يُبرز بهاء
عضلات الزند الأمامية التي تختفي في غير هذا الوقت تحت
أكمام الزي العسكري، قال الرائد:

- البيرة هنا باهظة الثمن، تكاد تُعدّل ثمنها في اليابان.
رددت قائلا:

- لم أكن أتخيل أن البحرية على هذا النحو.

- كيف كنت تتخيلها إذن؟

- كلما خطرت البحرية على ذهني تذكرت على الفور
رواية Querelle de Brest، أتعرّف هذه الرواية لجان جينيه
Jean Genet؟

- كلا.

- أو تذكرتُ الفيلم المأخوذ منها للمخرج
فاسبيندر Fassbinder - رجال بحرية بزّي عسكري أبيض
بياض الثلج، وسراويل واسعة الأقدام، وأرجل محنية على
شكل O، تماما كرسوم توم أوف فينلاند Tom of Finland،
كانت البحرية الألمانية في هذا الفيلم تبدو لى غير متكلفة.

- نحن نلبس ما نشاء من الملابس المدنية، أعني مساءً.

- ألاحظ أيضا أنكم ترتادون صالات الجيم.

- نعم على متن السفينة، فلدينا هناك قاعة للتدريب.

- إذن أنت تعرق أيضا مع باقي الشباب، أعني البحارة.

أشاح الرائد تيله ببصره واستدار. في هذه الأثناء ألقى

ببوب بنفسه على

إحدى الأرائك محدّقا في كأس الفودكا. أما مساعدة تيله التي كانت تنصت إلى ثرثرتي فقد رمقتني بنظرة ازدراء من أعلى إلى أسفل.

- لعلك تظنين أنني ألبس حفاضا؟ لا لا، ليس هذا إلا قميصي، فهو

كبير جدا كما ترين. إنه هدية من الجميل، ملك المقاولات في جيبوتي.

- آه.

كنت أبحث عن العبارات كي أصرف الأنظار عن حوضي المنتفش كالبطة.

- أليس شَعْرُكَ طويلا جدا بالنسبة إلى مجنّدة؟

- أرى أن سؤالك فيه معاداة للمرأة، وأجده بصراحة سؤالاً غير مهذب على الإطلاق، وفي الحقيقة أجداك أنت أيضا غير مهذب كذلك.

- أخ، لم أقصد هذا أبدا، ولكنني تذكرت الأفلام الأميركية...

- ألا تستطيع أن تتصور أن النساء في البحرية يعانين مَشَاقاً مضاعفة؟ ولا ينقصهم مثل هذه الأسئلة السطحية؟

هنا تقدم نحونا جندي من الشرطة العسكرية كان ينصت للحديث، وتوجه إلي قائلا:

- من فضلك انصرف الآن!

- إنما أردت فقط أن...

- هل فهمت؟ أنت شخص مُسيء، تثير أعصاب

الجميع، فلتذهب!

- هل لي أن أعتذر؟

- لا.

- هل من فرصة أخرى؟

- لا.

خطرت لي فكرة فظيعة فقلت:

- أما من فرصة صغيرة؟ أعني أليس مسموحا لي أن

أحضر حفل التشريفة؟

سألني الجندي مهيدا وهو يقبض على قفل حزامه

المعدني:

- هل ستتصرف الآن؟ أم يجب عليّ أن أكون أكثر

وضوحا؟

جذب هذا العنف الجسدي انتباه بوب فبدأ ينسلخ من

الأريكة ملوِّحا في

اتجاه الجندي ومحوّلا كأس الفودكا الفارغة في يده اليمنى

أداة للضرب:

- أنت يا بوش¹، فلتدع زميلي وشأنه!

نظر الجندي ضخم الجثة إلى بوب نظرة فوقية فيها إشفاق

وكانه جزار ينظر إلى طائر ضعيف من طيور الإلزاس،

فأشار بوب بإحدى يديه نحوي وأحكم الأخرى حول كأس

الفودكا قائلا:

- سنذهب أنا وأنت الآن إلى حفل التشريفة.

- انس الأمر يا بوب، قد سمعت ما قاله الجندي، مؤكد

أنني سأمنع من الصعود على متن الإمدن.

- دع هذا الهراء، ألسنت رجلا؟ فلتأت معي الآن،

سنذهب أنا وأنت، أورو فوار بوش!

استدرنا مغادرين بار الشيراتون. أوقفنا أحد تاكسيات

جيبوتي التي تبدو كأنها آلات أوكورديون مضعضعة، ومقابل

¹ كلمة boche هي لقب للألمان فيه نوع من العداوة. (المترجم)

خمسة وعشرين دولارا قادنا السائق إلى الميناء حيث ترسو الإمدن، استغرقت المسافة أربع دقائق، قال السائق وهو يضغط الكلمات من بين أوراق القات التي في فمه إن جيبوتي هي ثاني أكثر الدول غلاء بعد اليابان.

في الميناء استعملنا الحيلة لدى مرورنا على حراس الميناء الأفارقة المسلحين بأسلحة خفيفة، فأبرز كل منا بطاقة ائتمان وأخبرناهم بأننا نتبع الأسطول الألماني وينبغي أن نعود إلى السفينة.

على متن الإمدن وقف عدد من السفراء ومعهم ضباط ألمان في زي التشريفية، كان زيا أبيض مع حذاء أبيض ونياشين ذهبية، قلت في نفسي: "أخيرا رأيت رجال البحرية بالضبط كما كنت أتصورهم."

وقف الضباط محاطين بصحفيين من مجلة "دير

شبيجل" Der

Spiegel، وجريدة "دي فيلت" Die Welt، وجريدة "فرانكفورتر رُونْدشَاو" Frankfurter Rundschau، وبينما كانوا يطرحون أسئلتهم الشائقة توجهت إلى دورات المياه على متن الإمدن، كانت هذه الدورات مزودة بحجرة عازلة تقي من أسلحة الدمار الشامل، قلت في نفسي: "يا إلهي، أوجد شيء كهذا؛ دورات مياه يلج المرء إليها عبر حجرة عزل ضد القنابل الذرية!"

كان هناك بيرة ماركة "بيكس" Becks تصب من براميل، وكنت أنا وبوب نتجاذب أطراف الحديث مع "نادية" الصحفية الفلسطينية من قناة الجزيرة، وكذلك مع النقيب ماتياس ألفونس ألتماير، دار الحديث عن الحافلة المحملة بجنود البحرية الألمان التي كان مقررا أن تنطلق صباح اليوم

للإبحار في الرمال في سهل الجراندي برا. كان الجنود قد ركبوا حافلة مكيفة منتظرة على أرض الميناء قبالة السفينة "إمدن"، هكذا ببساطة أعجبتهم حافلة فركبوها، ففاتهم بالطبع ما كانوا يتشوقون إليه، أما سائق الحافلة الذي لم يكن لديه أدنى فكرة فقاد الجنود الثلاثين حتى الحدود الصومالية. لم يكن أحد من الجنود الألمان - فيما يبدو - يتحدث الفرنسية، وطبيعي ألا يتحدث السائق الإفريقي الألمانية، بالكاد نجت الحافلة من أن تُختطف بكاملها على أيدي رجال الميليشيات الصوماليين، هكذا حكّت الجزيرة، أعني نادية، وأنه لو حدث ذلك لتوفر لكل الصحفيين خبرٌ آخر ينقلونه من هنا.

قد نسيت أن أحكي لكم أن ثلاثتنا، أنا وعليّ وبوب (الذي أغضب مراسل "فرانكفورت روندشاو" حتى أخرجه عن طوره، إذ كان بوب يصيح أمامه بكلمات اعتباطية من قبيل "معاهدة فرساي" و"خط ماجنو") انتظرنا حافلة الجنود يومنا هذا ابتداءً من الثامنة صباحاً، وأنا فوق ذلك طهونا لحماً بالمكرونات لثلاثين رجلاً، وأنا تكبدنا جلب عبوات البيرة، وأنا عددنا الذباب، كل ذلك في العراء، عند البحيرة الملحية الكبيرة،

تحت الصقور المَحُومَة.

قلت للنقيب ماتياس ألفونس ألتماير: "إن جيبوتي هي...، فبادرني مبتسماً: "...أكثر دول العالم غلاء بعد اليابان." فرددت عليه بابتسامة وعلمت أن ها هنا رجلاً يستطيع المرء أن يتحدث إليه.

-كيف حال البحرية إذن؟

-على خير ما يرام، كثير من الشباب يخافون، وكثير منهم

لا يأتوا اليابسة مطلقاً، ماذا عساهم يفعلون في إفريقيا؟

ورغم أنني أعرف الإجابة مسبقا سألته قائلاً:
-ولكن لماذا بالتحديد لا يجروُ الجنود على مغادرة السفينة؟
-لأنه ليس ثمة شي خارجها. فقط فراغ، Zero، Zilch.
-ومن أين علمت هذا؟
-علمته لأنني من قراء مجلة Spex¹ منذ ساعتها الأولى.
همهمت قائلاً:

- أهأ، Spex، طيب، إذا كنت تستطيع أن تتنقل للعالم
اقتباساً أبدياً من² The-Smiths – إن طبعت هذا
القصة ذات يوم – فلتقله لي الآن أيها النقيب ماتياس
ألفونس ألتماير.
- "I'd like to drop my trousers to the queen."³
- بالضبط.

¹ Spex هي مجلة ألمانية شهيرة مقرها الرئيسي في برلين، وتهتم بصفة عامة بثقافة الروك والبوب، فتقدم تغطيات لأخبار الموسيقى، والطرب، والبومات المغنين، والأدب، والسينما، والموضة، والتقاليع الاجتماعية المعاصرة. (المترجم)

² The Smiths هي فرقة إنجليزية من فرق موسيقى الروك، ظهرت في مانشستر عام ١٩٨٢، أعضاءها أربعة هم موريسي Morrissey، جوني مار Johnny Marr، أندي رورك Andy Rourke، مايك جويس Mike Joyce. (المترجم)

³ هذه جملة من ألبوم "Meat is murder" لفرقة The Smiths. (المترجم)

obeikandi.com

الحرب العطشى

حوار مع برنارد فيشر، أحد محاربي التشاكو القدامى/٢٠٠٤

من الحروب التي لا تكاد تُذكر اليوم حرب التشاكو التي وقعت بين بوليفيا وباراجواي بين العامين ١٩٣٢ و١٩٣٥، في هذه الحرب تنازع الطرفان على ملكية الجزء الشمالي من إقليم التشاكو، فمُنذ عام ١٨٥٢ وبوليفيا تطالب بحقوقها في هذا الجزء غير المأهول من الإقليم، وقد شهدت العقود التي سبقت اندلاع الحرب توغل كلا الطرفين في مستنقعات الإقليم وأراضيه المكسوة بالإستبس، حيث بدأ كل منهما بناء الحصون والمواقع في هذه المنطقة، وكانت هناك تقديرات تشير إلى تمتع الإقليم بثروات طبيعية هائلة، كان من بينها النفط، وقد دفع هذا بوليفيا إلى القيام بحفريات للتنقيب عنه بالتعاون مع شركة "ستاندرد أويل" Stander Oil الأمريكية، ومن جانبها منحت باراجواي امتيازات التنقيب عنه لشركة "بتروليوم" Betroleum البريطانية، وفي العام ١٩٣٢ وبعد سلسلة من المناوشات والتحرشات الحدودية أعلنت الحرب وخاضتها الدولتان بضراوة وعلى جثث الكثير من الضحايا.

ولأول مرة تستخدم على كلا الجانبين ترسانة الأسلحة المكنهة من زمن الحرب العالمية الأولى، استُخدمت هذه الترسانة في حرب خنادق وسط حشائش الأستبس، فكان منها البنادق الآلية الثابتة، والقنابل اليدوية، وقاذفات اللهب، والطائرات مزدوجة الأجنحة، وقد جُلبت هذه الأسلحة من أوروبا، وبصفة خاصة من فرنسا وانجلترا وتشيكوسلوفاكيا، كما جلب بعضها من أمريكا الشمالية.

في هذه الحرب استطاع الباراجويون هزيمة البوليفيين الذين كانوا يفوقونهم عدداً، وانتهت الحرب باستيلاء باراجواي على الجزء الأكبر من المنطقة المتنازع عليها، وخسرت بوليفيا حوالي ٢٠٠ ألف كيلو مترا مربعا من أراضيها، أما باراجواي فرغم أنها ضاعفت من مساحتها، إلا أنها لم تستطع أن تغزو أبار البترول البوليفية الواقعة على سفوح جبال الأنديز في منطقة الكاميري Camiri، وقد أودت هذه الحرب بحياة ٥٠٠٠٠ من الباراجويين وحوالي ٦٠٠٠٠ من البوليفيين.

يبلغ برنارد فيشر من العمر أربعة وثمانين عاما، ورغم أن قدميه لم تطنأ ألمانيا قط إلا أنه يتحدث الألمانية بلكنة سكسونية ورثها عن أسلافه، بالإضافة إلى تحدثه اللغة المحلية المعروفة بالجوآرانية Guarani، يحب فيشر الجلوس مع زوجته ماجدالينا أمام منزلهما الريفي الواقع في الطرف الشمالي من مستوطنة كثيرة التلال تسمى تاكاروتي وتبعد ثمانية كيلومترات من مدينة نويفا جرمانيا Nueva Germania في باراجواي، يجلس فيشر وزوجته بينما ينيش الرمال أمامهما بعض دجاج يملكانه، على مدى سنتين من سني الحرب وبالتحديد من ١٩٣٣ وحتى ١٩٣٥ اشترك فيشر

في الحرب على بوليفيا، وكان برتبة عريف، وقد هاجر جديهِ إلى باراجواي عام ١٨٨٨ بصحبة إليزابيث فورستر-نيتشه Elisabeth Förster-Nietzsche.

كريستيان كراخت: سيد فيشر، ما أسوأ شيء عرّفته هذه الحرب؟

برنارد فيشر: العطش، نعم العطش، لذا سميت فيما بعد الحرب العطشى Durstige Krieg، لم يكن يصل إلى الجبهة أي ماء، فخط السكة الحديد الذي يتقدم بنا إلى الأمام كان ينتهي جنوب موقعنا بمسافة قد تبلغ ١٦٠ كيلومترا، ولم يكن ثمة طرق، فقط أدغال وحشائش إستبس، كنا نقطع الصبار ونمتصه، حتى الجذور كنا نقتلعها، ولم نجد بعد ذلك إلا أن نبول في قربنا ثم نشربها.

كريستيان كراخت: وكيف كان عتادكم؟

برنارد فيشر: كنا نتسلم بندقية ذات ماسورة قصيرة Karabiner، وبطانية تحمل على إحدى الكتفين، بينما يحمل على الكتف الأخرى حزام ذخيرة يُشد على الصدر، هنا هكذا. بالإضافة إلى مدفع رشاش من المدافع الثقيلة ظللت أقاتل عليه طيلة ستة أشهر، كنا نجوف شجر الساموؤو Samu-ú أو البواباب Flaschenbaum ونقبع بداخله متخذين منه معقلا ن نصب فيه مدافعنا الرشاشة على ارتفاع مترين من الأرض، فنستطيع بذلك أن نرى كل شيء، كان معنا أيضا قربة للماء وجراب للطعام الذي وجدنا منه ما يكفي، إذ كنا نستطيع الصيد ببنادق الموزر، أما الماء فلم نكن نجد منه شيئا، فالجبهة تقع في إحدى مناطق إقليم التشاكو التي تمتد داخل جبال الأنديز البوليفية وتبعد مئات الكيلومترات عن العاصمة الباراجوية "أسانسيون"، وأتذكر

أني رأيت ذات مرة طيوراً تحلق بعيداً في الأفق، فتوجهت إلى القائد قائلاً: "هناك، حيث تحلق الطيور، يوجد ماء." وبعد مسيرة يوم كامل لم نجد إلا حفرة مياه صغيرة موحلة، ملأنا منها كل ما لدينا من قرب ودلاء وأواني، ثم حملناها على ألواح وعدنا بها إلى بقية الرجال، فلم تلبث أن نفذت كلها في غضون يومين، وعدنا مرة أخرى لنعاني من عطش رهيب.

كريستيان كراخت: لم تجرح أبداً في هذه الحرب؟
برنارد فيشر: كلا، فقد كنت أعلق تميمة، كثيرون سقطوا في الحرب، أما أنا فلم يصبني مكروه، حدث ذات مرة أن اخترقت رصاصة كم ذراعي وخرجت من الجهة الأخرى، كان هذا قبيل انتهاء الحرب عندما انحنيت إلى أسفل نحو رافد نهري شحيح الماء، في هذا المكان كنا نصيد الجنود البوليفيين ونطبق عليهم فيندفعون تجاه هذا الرافد ساقطين على المنحدرات، فنفتح النار عليهم من أعلى حيث ينحدر النهر من سفوح جبال الأنديز، في إحدى المرات بينما أنا منحني على النهر لأشرب مَرَقْتُ فوق رأسي رصاصة طائشة مست شعري، فأحسست بها ها هنا من فرط سخونتها، ولولا أنني انحنيت في

هذه اللحظة لأصابنتي الرصاصة في وجهي.

كريستيان كراخت: كان هذا بفضل التميمة.

برنارد فيشر: لم تكن هذه سوى خرافة، إنما حفظني الله.

كريستيان كراخت: فلتحك لي عن ذلك!

برنارد فيشر: كنت أحمل تلك التميمة حول رقبتني، وكذلك كان يفعل أخواي اللذان خاضا معي الحرب وكان لدى كل منهما واحدة منها، كانت عبارة عن قصاصة من الورق

مطوية وموضوعة في علبة صغيرة تعلق في النحر، وقد كتب فيها - لم أعد أستطيع أن أتذكر بالتحديد - (فليحفظنا الرب! إن من يحمل هذه لن تصيبه رصاصة) أو كانت عبارة شبيهة بهذا المعنى، صنعنا واحدة لكل فتى على الجبهة يستطيع أن يتحدث الألمانية، كنا ببساطة ننسخ العبارة في ورقة ونعلقها في أعناقهم، لم يحدث أن جرح أخواي كذلك، في إحدى المرات كنا نسير على طريق رملي في منطقة تابعة لبوليفيا نستطيع أن نري منه الجبال الشاهقة، وكان البوليفيون يفرون تاركين وراءهم جرحاهم وقتلاهم وقد طرحت جثثهم على يمين الطريق ويساره كأنها قطع من الحطب المتناثر، وكان بين الجرحى غلام أشقر يتحدث الألمانية ويردد جملة واحدة هي "أنا أموت عطشا، فلتعطوني شيئا من الماء." ولم يكن باستطاعتي أن أعطيه لأنه كان عدوي، ولأنه لم يكن معنا ماء حتى لأنفسنا، فما لبث أن مات أمام أعيننا. بعد وقت طويل علقت أُمي حول رقبتها واحدة من تلك التمام، وقد بلغت أُمي من العمر أكثر من مائة عام، ودفنت وهي ترتديها.

كريستيان كراخت: ولكن ألم تشارك أمك في الحرب؟
برنارد فيشر: بلي، كانت تعمل مسعفة في آخر سنة من سني الحرب، حيث كثر عدد الجرحى، وكانت القطارات تعود إلى العاصمة كل يوم مليئة بهم، هناك في إحدى المشافي العسكرية في العاصمة أسانسيون كانت أُمي تَخيِّط الجراح وتَبْثُر الأعضاء. كان لنا جيران لا يعتقدون في التمام، وكانوا يطلبون منا أن نعلقها في رقبة كلب ثم نطلق عليه النار، ليروا إن كانت ستجدي نفعاً.

كريستيان كراخت: وماذا كان يُفعل بالأسرى؟

برنارد فيشر: كان البوليفيون يحسنون معاملة أسرانا، فيطعمونهم ويكفونهم المؤونة، أما نحن فلم نحسن إليهم، وكان الجرحى من أسراهم يجلبون إلى أسانسيون ويوضعون في مستشفى غاية في السوء به عدد قليل من الأطباء، وقد مات منهم الكثيرون، أما الأسرى الذين يقوون على السير فيساقون عبر شوارع أسانسيون، ليبصق الناس عليهم ويرجمونهم بالحجارة ويضربونهم بأسياخ الحديد، لم يكن في الشوارع موضع لم تسل فيه الدماء، عندما علمت بهذا في وقت لاحق شعرت بالعار لكوني باراجوياً.

كريستيان كراخت: شعرت بذلك بعد أن وضعت الحرب أوزارها.

برنارد فيشر: نعم، فنحن لم نعلم بانتهاء الحرب إلا بعدها بيومين، كان من الضروري أن يأتينا الخبر من أسانسيون رأساً، ولم يكن هناك أعمدة للتلغراف أو اتصالات لاسلكية تربطنا بالعاصمة، فكانت جميع الأوامر تصل إلينا في الشمال متأخرة بضعة أيام، لذلك واصلنا القتال رغم انتهاء الحرب منذ فترة، وأخيراً تلقينا الخبر جميعاً، نحن والبوليفيين، فتوجه كل منا إلى الآخر، وتبادلنا الأعناق وانتحبنا، فقد فات ما فات.

obeikandi.com

الطريق إلى نظام التبريد بالامتصاص

قصة قصيرة/٢٠٠٤

ثم ذرّ قلبُ السماء
غبارا في أعينهم
فغشيت أبصارهم سحابة
كما يغشى المرأةُ بخارُ متنفّسٍ
وأضحت أعينهم غُلفا
لا ترى إلا ما دنا منها
فذاك وحده كان واضحا لهم.
بوبول فو^١

تم على خير ما يرام تسجيل نظام سرفيل/روبر
للامتصاص Servel/Robur-Absorber في مكتب براءات
الاختراع في نورنبرج؛ وغادر الدكتور ألبرت
أينشتين Albert Einstein والدكتور ليو زيلارد Leo Szilard
المبنى البهيج سعيدين مطمئنين، راحا يصعدان ممشى

^١ بوبول فو Popol Vuh الكتاب المقدس لقبائل الكيتشي - مايا. (المترجم)

موصول إلى قلعة نورنبرج وهما يتبادلان أحاديث عن الأمن، وعن حالات تجمع المادة، وعن الحب الضائع، حتى إذا أشرفا على الوصول إلى القلعة أصدر ليو زيلارد صوتا غريبا يشبه من بعيد صوت اهتزاز ثلاجة أغلقت للتو، فالتفت ألبرت أينشتين بارتياح متفحفا صديقه.

كثيرا ما كان زيلارد يذكر في المختبر أن ثمة أصواتا تزعج بعض الزملاء بغض النظر عن مصدرها، ودائما ما كان يحب أن يهز رأسه ويلوح بيده في دخان غليون أينشتين ذي الرائحة النفاذة.

تعود زيلارد قبل عدة أسابيع أن يعالج آلام نفسه بنفسه، لذا كان يجلس بضع دقائق كل صباح في حوض استحمام مُمَلَّى بالماء الطازج، ثم يسترخي محررا نفسه من أوجاعها، أثناء استرخائه كانت تنبعث من قاع الحوض فقاقيع تنهأدى بلطف حتى تجد طريقها إلى السطح فتصدر صوتا، وذات صباح شتوي ملهم أوحى هذا الصوت إلى زيلارد بفكرتين:

الأولى: أن الاختلاف بين جهاز التبريد بالامتصاص وبين جهاز التبريد بالضغط هو استبدال الضاغط الميكانيكي بضاغط حراري يُقَلَّب بداخله خليط من مادتين يتركب في حالات التركيز المتغير من مادة تبريد ومادة محللة لها.

الثانية: أن مادة الإحلال هذه ينبغي أن تنشأ من ذوبان أحد الأبخرة أو الغازات في أحد السوائل، وإذا أمكن تصميم جهاز تبريد يعمل وفقا لهذه الآلية المعتمدة على مبدأ الامتصاص فسيحتوي بالتأكيد على غاز الأمونيا NH_3 كمادة تبريد، حيث أن هذه المادة ذات الرائحة النفاذة يُقْبَلها الماء أو يمتصها بسهولة، وعليه ستكون مادة بروميد الليثيوم المحلولة بالماء هي مادة الامتصاص.

على الفور جفف زيلارد جسده وارتدى ملابسه وانطلق مسرعا إلى المختبر ليخبر أينشتين، ولم يستطع زيلارد أن ينتظر حتى يلتقط أنفاسه، وما أن وقف أمامه حتى راح يحكي لاهثا وهو يلقي المعطف الأبيض على جسمه، فلما وصل إلى نقطة الضاغط الحراري وضع أينشتين يده على ساعد صديقه في رفق، فقد نسي شيئا، ألا وهو الحجم. أوضح أينشتين أن نظام التبريد بالامتصاص لكي يُنتج نفس البرودة

التي تنتجها الأجهزة التقليدية المعتمدة على التبريد بالانضغاط (كالثلاجة المنزلية مثلا) سيستهلك على أقل تقدير تسعة أمثال الطاقة المستهلكة في هذه الأجهزة بسبب الحاجة إلى غلاية للتسخين. وهنا سحب أينشتين طرف لسانه من أحد شِدْقِيهِ إلى داخل فِيهِ مؤكدا أن المساحة التي سيشغلها النظام المقترح ستكون تسعة أس اثنان، أي واحد وثمانين مرة قدر المساحة التي يشغلها جهاز تقليدي يعطي نفس التبريد.

اعترض زيلارد بشدة مؤكدا أن أجهزة التبريد بالامتصاص أقدر من أجهزة التبريد بالانضغاط على تحقيق أنظمة توليد قدرة كهربائية وحرارية تكون اقتصادية في استهلاك الطاقة، كان على أينشتين أن يفهم الأمر ببساطة شديدة، فالغلاية، كما يعرف، يمكن أن تعمل بالبخار أو بالحرارة الزائدة، والوصلة التي ستنتج من ذلك ستكون ذا فائدة إضافية إذا أدير بجانبها وحدات توليد مشترك للحرارة والكهرباء، بحزم أزاح زيلارد عن ساعده يد أينشتين الذي عليه إدراك أن الغالب في مثل هذا النظام ألا تستخدم الكهرباء والحرارة فقط، بل والبرودة أيضا، عندئذ لن تشكل المساحة أدنى مشكلة.

في هذه اللحظة ظهرت في مخيلة زيلارد صورة لثلاجة
حفظ كروية الشكل، في حجم بوابة
"براندنبورج" Brandenburger Tor، أما أينشتين فقد عقد
يديه أمام صدره مطلقا غيمة متصلة من دخان غليونه لتصبح
في هواء المختبر، عاقدا العزم على ترجمة الفكرة إلى
معادلات ليرى إن كانت ستفلح أم لا.

مضى على هذا اليوم عدة أسابيع، انقضى فيها الشتاء،
وها قد سجّل الاختراع الذي وُفق زيلارد فيه، ووقف
العالمان في ساحة قلعة نورنبرج Nürnberg Burghof
يدخان، ورائحة التبغ القوية تتبدد في هواء الضحى المنعش،
والمطعم الموجود في حرم الحصن قد وضع أول دفعة من
مقاعده فوق الحصباء، وقد كتب بالطباشير على لوحة مائلة
وبخط زوترلين¹ Sütterlin المعكوف اسم طبق اليوم، كان
الطبق المعتاد دائما في الربيع وهو "نقانق بالكرنب"
Würstel mit Kraut.

¹ زوترلين اسم لخطين ألمانيين شهيرين ابتكرهما لودفيك زوترلين Ludwig Sütterlin سنة ١٩١١
بتكليف من وزارة الثقافة والتعليم البروسية، وهذا نموذج لأحدهما:

nun form die Sütterlin
Sütterlin ist. nun

(المترجم).

obeikandi.com

إعاقاة

قصة قصيرة/٢٠٠١

كان الصبح قد أسفر عندما تجاوز "ألبرت فوس" السفح الحجري وأوغل في الوادي، بدت قمم الأشجار مغمورة بضياء مخروطي، بينما كانت الخضرة الشائكة الواقعة تحتها والآخذة لا محالة في الجفاف لا تزال تحتفظ بقطع من ظلمة الليل وكأنما تخبئها وقاية من بطش النهار الحثيث. كان حذاء ألبرت فوس يغوص في العشب الغض، اكتشف وهو يرنو ببصره من فوق كتفه أن أعواد النبات في كل وهدة داسها بحذائه تعود فتنصب مرة أخرى، حتى لم يعد لقدميه أثر يمكن تمييزه في مسافة قطعها لا تعدو عشرين مترا.

أخذت ألبرت فوس نوبة ممتدة من السعال الشديد، ظل واقفاً، أخرج من جيب سرواله منديلا ذا مربعات ملونة، مسح به فمه، أعاد طيه من جديد، فتح مخلاته رمادية اللون وألقى فيها ما طواه، تنحى عن صفحة العشب ليلزم الممر ويواصل السير فيه بحذر رافعا قدما وخافضا أخرى. على ميمنة الطريق وميسرته ظهرت النذر الأولى للقدارة؛ تناثرت قطع الواقي الذكري المستعمل وكأنها بقع ناصعة من الصقيع أو فراشات نادرة حطت وسط الخضرة الداكنة، تعلقت بالأغصان السفلى من شجرة التين قطع من ورق مرحاض

لعبت بها الريح، تراصت على جانبي الممر الضيق زجاجات
وأكياس ممزقة. وقع بصره على حفاض.

في مفكرته الصغيرة التي دسها على عجل في جيبه
صباح اليوم وضع

علامة على هذه المنطقة تماما، ثم خط أثناء وقفته رسما
سريعا للمكان حوله: الوادي، والطريق، والسفح، دَوْن فوق
ذلك اتجاه الريح بعد أن وضع أصبعه في فمه ثم أخرجه
ورفعه في هواء الصبح ليتحسس البرودة التي تسالت حول
أنملته، أما الحفاض فقد حدد موضعه بدقة وميَّزه بعلامة X،
إذ كان أكبر قطعة نفايات لافتة للنظر وجدها هناك.

كان الوادي الأخضر بدرجتيه الزاهية الداكنة يفصح عن
المزيد من أسراره: أراجيح بلاستيكية ذات لون أحمر برتقالي
معلقة في أشجار التفاح، وحاجز خشبي في كوخ صغير بلا
نوافذ يتأرجح على مفاصل ذات صرير، وآثار مياه فائرة
تسيل على حافة حوض أبيض لري الماشية وتصب على
عشب قد نما وارتفع حول الحوض وأسفله كأنه حلقة. لم
يسبق لألبرت فوس أن صعد إلى هذا المكان قبل الآن، أخذ
يخط في دفتره كل شيء بدقة: حوض السقاء، الأرجوحة،
الكوخ، ليس لأنه قد كُلف بهذا في القرية ليلة أمس، بل لأنه
كان على علم بأن المعلومات المفصلة عن المواضيع الدقيقة
للأشياء ستيسر العمل على من سيأتون من بعده.

كان قد سار شطر الليل أو نحوه، لم يسترح سوى مرة أو
مرتين ليأكل شيئا من الأرز وطحالب الـ "توري" المجففة،
ويحسو من الدورق الحراري حسوات من الشاي، بينما يسيل
الشراب الساخن في فمه ينصت هو إلى صوت خشخشة الليل
المنبعثة من الغابة حوله، وإلى صوت ابتلاع الشاي النابع من

جوفه، كان ألبرت فوس أبكما، هكذا وُلد، لم تنبت له أحبال صوتيه يستطيع أن يحاكي بها الأصوات أو النغمات أو الكلمات، أحيانا يشعر وكأنه يعيش في فضاء ليس فيه بشر. ولج إلى الكوخ متحسسا بأنامله خشب الباب، كان عليه أن ينحني شيئا قليلا حتى لا تصطدم جبهته بحافة الإطار الصلب، على الفور رفق ببصره الحقيقية، كانت موضوعة على منضدة وسط الحجرة الوحيدة، دس مفكرته في الجيب الخلفي من سرواله حتى تفرغ يداه، مسح بإبهامه وسبابته على أنفه وجانبي فمه، ثم فتح الحقيقية.

كان الجو دافئا داخل الكوخ، أدفاً من الخارج بكثير، إذ الشمس ساطعة على قراميد الأجر فوق سطح الكوخ، تحدرت قطرة عرق من منبت شعره، سألت على وجهه، تجمعت للحظة أسفل ذقنه ثم سقطت على الجانب الأيسر من الحقيقية المفتوحة أمامه، أثناء سقوطها تذكر ألبرت فوس فيلما تعليميا قصيرا من نوع "سوبر ٨ ملم"، وتذكر قطرة الماء الصغيرة المستديرة استدارة دقيقة جدا، والتي تتكون من اندماج مائعين، وقتها كان ألبرت فوس يظن أن القمر قد نشأ بهذه الطريقة. أخذ يقالب بأصابعه كومة موضوعة داخل الحقيقية مكونة أوراق التصوير الـ "بولارويد" Polaroid الحساسة للضوء التي بدأت تفسد ببطء، هكذا بدا الأمر له، كان يستشعر بين كتفيه دفء الشمس وقد تسلل ضوءها عبر فتحة الباب إلى داخل الكوخ، لاحظت عينه كيف تبهت ألوان الصور الفورية التي بين يديه؛ كرة وصندوق به فراولة كانت منذ لحظة تشع لونا أحمر: اختفيا جميعا؛ مضرب تنس قديم سَمْنِيّ اللون مسند إلى حائط: لم يعد مرئيا؛ جدار مغطي بعشب متسلق أخضر أمامه مساحة من الحصى جرفت على

هيئة دوامة: انمحي؛ حتى صورة الألعاب النارية بلونيه
الأصفر والأحمر في سماء الليل الكالحة: تحولت أمام عينيه
إلى فراغ لونه رمادي فاتح؛ كان بريق الصواريخ المتفجرة
أول ما شحب من الصورة، ثم تلاه ببطء شحوب الليل ذاته
بلونه الأزرق الداكن.

شرع ألبرت فوس يقلب الصور بين يديه، ويخلطها معا
بعصبية وكأنه بهذا يستطيع أن يوقف تلاشيها، لكن هذا لم
يجد نفعا، وسرعان ما أصبحت كل الصور فارغة، لم يبق
فيها من شيء، لم تُحفظ الألوان إلا في شبكية عينيه، بل
بالأحرى لم تحفظها إلا المساحة الواقعة خلف كرسي عينيه
حيث لم تزل مضيئة بضوء الألوان. بهدوء أعاد الصور
وأغلق الحقيبة وغادر الكوخ إلى الخارج حيث شمس النهار
المنبج تخطف الأبصار بنورها. بحرص جلس القرفصاء
بجانب الكوخ، وضع مفكرته إلى جواره على العشب، راح
ينتظر الآخرين القادمين من القرية.

obeikandi.com

الباركيه المصري

زيارة إلى لقاهرة/٢٠٠٦

كل شيء كما هو: لمعان الدلتا من أعلى، دروب الصحراء ذات اللون الأصفر الطبيعي، الشمس، كوكب الصحراء، "أراكيز" Arrakis، الشتاء المصري بحمرته المحترقة، الوصول إلى القاهرة، الانزلاق البطيء لطائرة مصر للطيران، المطار، السيراميك الأصفر، أضواء النيون، ديكورات مابعد الحداثة، تشبه تلك التي ظهرت في فيلم الخيال العلمي "Dune" للمخرج ديفيد لينش David Lynch. رجال الجمارك، هم أنفسهم كما كانوا من قبل، زيهم الأسود المصنوع من الصوف الخشن، حزام الجلد المشدود على بطونهم العظيمة، الرؤوس المحلوقة، اللّحي، النظرة الناعسة في جواز السفر بلا أدنى اكتراث، الختم الساقط على الطابعين اللاصقين بثقل الروتين، لون الطابع الأول برتقالي، ولون الثاني أخضر، كل شيء كما كان قبل خمس عشرة سنة، تماما بتمام.

كنت جالسا على حافة السرير في "فندق فلانكو" محاولا بشيء من الحيرة ترتيب خيالات الأشياء، أنظر في مرآة الحمام متمتا بكلمة Arrakis: كوكب الصحراء، في المساء حاولت تليفونيا إقناع أي أحد من معهد "جوته" بأن يخرج

معي لتناول الطعام، لكن للأسف كان لدى الجميع شيء ينبغي إنجازه، لذا توجهت منفردا إلى فندق "ويندسور" في الأزبكية، حضرتني على الفور بعض كلمات كنت قد ظننت أنني نسيته منذ أمد بعيد: معلى، على طول، من فضلك، لو سمحت، شكرا، مرة أخرى بصحبة سيارات الأجرة الجميلة ذات اللونين الأبيض والأسود "بيجو ٥٠٤"، بدواخلها التي أهلكتها السنون، ولم تحظ رغم ذلك برتق واحد، أضيفت فوق مقاعدها الخلفية مصابيح نيون صغيرة زرقاء اللون تجعلها وهي تسير على جانبي الطريق تبدو للأعين وكأنها أحواض سمك تسير في ليل القاهرة، وكان ركابها أسماك مرجان سميكة تشع لونا أزرق فاتحا وهي تسبح في شرايين المدينة. شارع الألفي الذي كان مسموحا فيه بمرور السيارات، وكان مظلما، قذرا، غامضا، ذا طابع شرقي صميم - وإن خالفت بهذا الوصف إدوارد سعيد - أصبح اليوم بعد مرور هذه السنوات منطقة مشاة تشع فيها أضواء باهرة تجعل المرء لا يدري هل هي منطقة في "كوبنهاجن" أم "أوكلاند" أم "اسطنبول".

جلست في بار فندق "وندسور"، ذاك البار الشهير ذي الأرضيات الباركية والذي - لحسن الحظ - لم يتغير فيه أي شيء منذ زيارتي الأخيرة قبل خمس عشرة سنة، غصت في أحد المقاعد أقرأ على مدار ساعة ونصف مرجعا لـ "أثناسيوس باستيكي" Athanasios Basteki عن العقيدة الأرثوذكسية، لم أكن أعلم أن ترانيم الكنيسة القبطية المصرية تتشابه إلى حد كبير مع ترانيم الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، ليس هذا حسب، بل إن صور يسوع تسكن بقوة تلك التصاوير التي ينقشها الرسامون الأقباط والروس على

الخشب والذهب، عُقِّت على حوائط البار صور فوتوغرافية للفنان الكوميدي الذي جاب العالم "ميشيل بلين" Michael Palin وهو يبتسم ابتسامة صفراء، كان عامل البار النوبي يسمح أكواب البيرة بخرقه فاتحة اللون في بطء وتركيز.

في السادسة والنصف غفوت قليلا فوق كتاب باستيكي، ثم انتبعت مفزوعا، ودفعت ثمن البيرة الستيلا، توجهت إلي هيلتون رمسيس يدفعني الإرهاق أكثر من الملل، عرفل بحثي عن مكان كازينو الفندق مجموعة من البشر هم في الغالب من أصول شرق أوروبية وأفريقية، كان جليا أنهم طائفة دينية، أعد مشرفوها بوفيهها كبيرا فاخرا في الطابق الثالث من رمسيس هلتون، أخذت طبقا، والتزمت بالقاعدة الأولى لمنع صدمات البوفيه: ممنوع الوقوف، تأخذ الطعام، تأخذ الشراب، تبتسم، تدور مع الدائرين، تأكل وتشرب أثناء المشي، عبثا حاولت أن أفك شفرات الملصقات البلاستيكية الموجودة على ياقات أعضاء الطائفة الدينية، هل هي طائفة دينية أم منظمة أهلية، كان مكتوبا عليها Open Society أي "المجتمع المفتوح"، كما كتب كذلك أوكرانيا، بلغاريا، كينيا، وبتسوانا. كان هناك كرات من اللحم الضان، سانتا كوبيتا، تشيكن ساتاي، بالإضافة إلى نبيذ أحمر مصري ماركة "اوبيليسك"، اتبعت القاعدة الثانية لمنع صدمات البوفيه: لا تطل الوقوف أبدا، أخذت كمية أخرى من كرات الضان ثم خرجت في الليل وأخذت تاكسي بيجو إلى فندي، تحت الجسور النيلية كانت ثمة قوارب بيضاء ذات محركات تسير وكأنها ديدان صحراوية.

في رواق "فندق فلانكو" قابلت خالد عباس ناشر الأنطولوجيا العربية "قصص من ألمانيا"، كان خالد يبدو

وكانه نسخة شعبية من "ماكسيم بيلر" Maxim Biller، ذهبنا سويا لتناول وجبة العشاء الثانية في كافيتيريا "جريك كلوب اوف كايرو" كنا تحدثنا عن المدونة الإلكترونية لـ "توماس بروسيج" Thomas Brussig على الانترنت والتي قرأها الجميع باهتمام كبير، يكتب بروسيج، وهو كاتب القاهرة لهذا العام، بأسلوب دردشة سلس عن تجاربه كضيف على معهد جوته في مدينة الـ ١٩ مليون نسمة.

انضم إلينا أحمد إبراهيم وزوجته، وطلبا حمص وبيرة ماركة "ستيلا" من الجرسونات اليونانيين الذين انتشروا في أنحاء الصالة الكبيرة التي ازدان سقفها بزخارف من الجبس ومرآوح للتهوية، كانوا يرتدون سترات بيضاء وبيونات سوداء، ويسدلون على سراويلهم السوداء مناديل بيضاء، توليفة متوسطة شرقية إيجية مالطية لبنانية.

استللت من حقيبتي عددا من مجلة "دير فرويند" Der Freund، طبع على غلافه صورة لموشى ديان، حكي خالد أنه عندما كان لا يزال طفلا كان موشى ديان هو فزاعة الآباء المصريين: إذا لم تأكل سيأتي موشى ديان في دبابته ويقبض عليك، كان الطفل خالد دائما ما يأتي على الطعام كله.

قبل وقت قصير أسس خالد وصديقه احمد "وكالة سفنكس للآداب"، وهي أول وكالة أدبية في العالم العربي، أخذت أحكي لهم عن مجلة "بدون" Bidoun التي يكتب فيها بعض أصدقائي، وهي مجلة يسارية مرموقة تقدم موضوعات عن العالم الإسلامي وتستطيع أن تنقل صورة واضحة عن العالم العربي وأنه ليس مسكونا بمشايع إرهاب يرتدون القباقيب كما يتصور الدانماركيون الذاهلون الذين يتصرفون وكأنه من

الواجب الدفاع عن فولتير Voltaire أو إنتنزبرجر Enzensberger وليس فقط عن بعض رسوم قبيحة ووضيعة بالفعل.

في فنادق الزمالك ممرات حمراء وخضراء، أسلاك بمصابيح متدلّية من أعلى، تدمير المتطور للمعمار، باريس بعد القنبلة النووية، "هاوسمن" Haussmann المصاب بنيترونات ذرية، كثيرا ما كنت أود القدوم إلى هنا أثناء حرب الخليج الأولى، عندما كان الكويتيون يختبئون هنا في القاهرة، ويجلسون جلسات صاخبة في فنادق الزمالك منتظرين تحرير الكويت، بينما كان خالد ضابطا مصرياً يناضل على الجبهة السعودية برفقة الفرنسيين والأمريكان.

جلست في وقت لاحق على أحد المقاهي أدخن ومعني الكاتبة "يوليا فرانك" Julia Franck، والكاتب "يان دريس" Jan Drees، وخالد عباس، وأحمد إبراهيم، تطرق الحديث إلى الشخصيات الفوضوية Messies وهم أفراد لديهم رغبة قهريّة في جمع الأشياء وإحساس مَرَضِيّ بضرورة محو كل ما جمعه، أكواب زبادي فارغة، إصدارات قديمة من مجلة "دير شبيجل" Der Spiegel وأشياء أخرى ترتب وفق نظام لا يعرفه أحد سواهم.

فشلت محاولتي في إقناع "يوليا فرانك" بالرجل العجيب "هنري دارجر" Henry Darger وهو أيضا فوضوي من أكبر فناني هذا القرن، عثر عليه سنة ١٩٧٣ مينا في مسكنة في شيكاغو وسط كومة من حاجياته، كما عثر بجواره على رواية أفنى فيها حياته، بها ٣٠ ألف صفحة مزودة برسوم مبهرة خطها بيده، ولم يُطلع عليها أحدا أبدا، وأخيرا وجدت بعض التعاطف من يوليا فرانك.

في وقت متأخر من أحد الأمسيات تعرفت أخيرا على "توماس بروسيج" أثناء حفل استقبال، كان شعره خفيفا، يتعمد الحديث بلكنة برلين الشرقية أو هكذا بدا لي، قلت له أنني كنت أخشاه، وكان ردي على سؤاله: لماذا أخشاه؟ ردا مسهبا، حكيت له فيه عن فيلم "الكثيب" Dune، عن "الكوكب الصحراوي" Wüstenplaneten، عن "مزيج البهارات" Spice Melange، عن "ملاح المرحلة الثالثة" Third Stage Navigator، وعن "علب الألم للأخوات (بين جسريرت)" Schmerzensschachtel der Bene-Gesserit-، وقال بروسيج إنه لن يتوقع أحد رؤية كريستيان كراخت وهو غير سكران، ، فمن طبيعته الشرب حتى الثمالة، قلت يا الهي، ثم أخذت قرصا من الـ "بروزاك" Prozac قدمها "يان دريس"، وبعد هنيهة ذهب عني الخوف. كان ناشري "محمد هاشم" سكرانا، يرتدي سروالا قصيرا إلى منتصف الساق وقميصا أبيض زر ياقته العلوي مغلق، ويدس وفي جيبه ثلاثة أقلام، نظارته تشبه نظارة "مايكل دوجلاس" Michael Douglas في فيلم "السقوط" Falling Down، وقد أصلح أحد ذراعيها بشريط لاصق وضع على جانبها، أخذ يقص على زوجة "توماس بروسيج" أنه يطبع كتبه مؤخرا في مقديشو عاصمة الصومال التي دمرتها الحرب الأهلية، ويسري هذا طبعا على أنطولوجيا خالد عباس المعنونة بـ "قصص من ألمانيا"، تحيرت السيدة وتحير زوجها، فقدمت لهما قرص Prozac.

تحدثت مع "فوزي سليمان" الناقد السينمائي الكبير الذي أظهر ميلا للموسيقى الهندية فدعوته للسفر إلى نيبال ليزور قمم جبال الهيمالايا، ومعابد التبت، وليعرج سريعا على

الماو، كان خالد عباس يوزع علينا "هاريبو" Haribo من أحد الأكياس.

أدار أحمد إبراهيم وزوجته موسيقى "Dead Can Dance" وهي موسيقى من الثمانينيات من نوع Goth-Art-Band، كانت فيها مقطوعات من قبيل "Spleen and Ideal" و"Within the Realm of a Daying Sun"، أخذ الزوجان يرقصان رقصة تعبيرية مطولة في شقتهما شبه المظلمة التي لا ينيروها سوى شمعة وحيدة، جالت بخاطري صورة سيد السينما المصرية العجوز "يوسف شاهين" الذي سئل حديثاً: كيف يبدو الحليم؟ فأجاب أنه "يشبه مصر في قليل أو كثير"، وإن يكن من قول غير صحيح فهو هذا القول.

لعبة الساحر

„Le gusto esto jardin? i
Evito que sus iqos lo de
destrunan!”

Malcom Lowry

"ياه أخيرا ! .. حضرتك تعلم أن الوقت قد تأخر، وأنا في غاية التعب، لقد انتظرت وحينما رن جرس الباب، كنت فعلا لا أود أن أفتح .. لم يكن لدي أي رغبة بالفعل أن أقابلك، رغم موعدنا هذا المساء، ورغم أن حضرتك كنت هنا منذ ساعة، أمام هذا الباب مرتين ولم أفتح لحضرتك !، ليس بسبب أنني لم أرغب في الحديث عن ذلك، ولكن لأنني كنت في غاية التعب، ولم يكن عندي أي رغبة في فعل أي شيء. أشعر أنني عجوز، ولكنك ترن الجرس في هدوء، ادخل، تفضل، هذا هو المشروب، تفضل، إنك مازلت شابا، طريقتك تقضح ذلك، إن الشيء الذي يُعلمه لنا الطعن في السن هو بالطبع واجب الضيافة وآداب المعاملة، تفضل إذن بتناول المشروب، يمكنك أن تتحرك في الشقة، وكأنك تشاهد لوحاتي المعلقة، ليس عليك حرج:

- رائحة حضرتك مثل رائحة اللوز! ..

"أود أن أشرح لحضرتك شيئا عن "سي تومبلي"، ولكن يبدو أنك لا تستمع بشكل جيد، لما يدور حولك، ليس مهما

ومن قال إنه يجب عليك ذلك. نظرتك معلقة على لوحة "ديكونك"، تتظاهر بالاهتمام بها، تأخذ رشفة وتراجع للوراء قليلاً، ثم تتقدم مرة أخرى نحو اللوحة، وكأنك تتفحصها.

"تعرف حضرتك إنها كانت بهذا الشكل، وأن المستقبل، أو ما كنت أراه في ذلك الوقت أنه المستقبل، يمكن إعادة كتابته وسبر أغواره بهذه الجملة الإيطالية، التي كانت مكتوبة مباشرة تحت حافة النوافذ داخل حمامات القطارات، ولصقت كنسخ مصورة "أريد أن أترك هذا المكان لشخص آخر سوف يجده، شكراً"

اعتقدت في ذلك الوقت أنها مكتوبة بإيطالية شديدة القدم، رغم أنه لم يكن بوسعي تكوين جملة واضحة، أو فكرة باللغة الإيطالية إطلاقاً، ولكن كما قلت بدت صياغة الجملة لي قديمة وإن لم استطع إثبات ذلك.

(في هذا الوقت كان هناك بالطبع هذا النوع من القطارات السريعة عبر أوروبا، وكما تعلم حضرتك أنني استطعت مرة السفر بهذا القطار من "ميلانو" إلى "زيورخ" .. هذا القطار ذو اللون الفضي من الداخل، ومن الخارج كان لونه أحمر .. نعم أحمر بخطوط فضية.. جلست في مطعم القطار، وبالخارج أخذ الصوت الليلي لمدينة "تيسين" يمر على مسمعي، كنت أشرب نوعاً ما من النبيذ الأبيض المصنوع في "ويلز" وكان ثمنه ثمانية عشر فرانكا سويسرياً آنذاك.)

(أصبحت اليوم أفكر في النبيذ تماماً، كما فكرت آنذاك في اللغة الإيطالية، فلم يعد لي أي دراية عن الاثنين، ولا يهمني أيضاً كلاهما في شيء، النبيذ أو اللغة الإيطالية على حد سواء .. أتحسب أنني سأبدأ في الخوض، الآن داخل جماليات الحديث عن النفس، لا! .. أرجوك كن هادئاً يا صديقي،

واستمع لي جيداً، اجلس على هذا المقعد الوثير هنا .. هنا على المقعد البيج بجانب الأماجورة، ربما يجب أن أتحدث بشكل أدق، ما هذا الذي لا يروق لك بالتحديد ! إنك لا تقول شيئاً وتتنظر بعينيك إلى أسفل نحو الأرض، لا يجب أن تتأسف على شيء فأنت لم تقاطعني، أنت مازلت شاباً .. سأصعب لك مشروباً، هل تود كأساً كاملاً؟! .. يمكنك أن تدخن بكل بساطة ، هاهي المنفضة، إنها مصنوعة من البلور الصخري، لقد اشتريتها بنقود كثيرة من شارع "كانتينات" في مدينة *سياجون في نهاية الخمسينيات قبل أن تولد حضرتك.) (سأحاول الآن أن أضع نفسي في مكانك، لا، أرجوك دعك من هذا، لا تقاوم بهذا الشكل، وتغير مكانك على الفوتيه، تعال واترك لي نفسك .. نعم الآن .. الآن سيبدأ الأمر.

حجرة الضيوف تبدو لي فجأة غريبة جداً ! .. وكأنني أراها من خلال عينيك، لحظة واحدة من فضلك، أنا أرى رجلاً عجوزاً يرتدي جاكيت مشغولاً بالتريكو، بكوعين خشنين بهما ثقوب، هل ترى هكذا ينجح الأمر في تخيل الآخر ! .. إني خائف، فوق رأس الرجل العجوز هناك لوحة "لييمان" معلقة على الحائط، اللوحة في حقيقة الأمر قبيحة جداً، فهي ذات خطوط طولية ووجوه مشوهة .. والآن .. الآن سوف أشاهد الأشياء من خلال عيني .. هناك من خلال ركن المرأة الكبيرة المعلقة فوق المدفأة ! ، وإذا أردت الآن فسوف أحكي لك قصتي، أترى هكذا يمكنني التعرف على نفسي، وإن كان هذا يتطلب وقتاً، لقد تعرفت على نفسي أول مرة في كاركاس، هذا لا يعني أن ذلك قد حدث في البداية بشكل دقيق، لأنني قد شرعت في مراقبة نفسي أولاً، هناك،

فقط .. هناك، خطرت ذاتي ببالي لأول مرة، وكما يقول الأمريكيون حينما يتحدثون بالإنجليزية "لقد كنت مختالا بها"، ولكنني شعرت أنني كنت مختالا بنفسى، وبمعنى أصح لقد كنت منساقا وراء نفسى، صحيح كان هذا في كاركاس نصف دورة حول الكرة الأرضية.)

إنك تغير مكانك مرة أخرى على الفوتيه، لو سمحت ابق في مكانك، إنني لا أحب ذلك، لا أحب أن أتخيل أنني سأمسح الفوتيه بقطعة من القماش المبتل بعد رحيلك .. من فضلك احترم ذلك، لأنك ستحصل في مقابل هذا على قصتي !!

حسنا فلتستمع الآن! لقد حدث ذلك في مطعم في كاركاس، حينما دخلت إلى هناك، وحول رقبتى هذه الماركة التي رآها الجميع في الحال، لقد كنت فخورا جدا بماركة الفوضويين هذه، نعم ! .. نعم ربما تعرف كيف كنا، كنا جميعا نرسم تلك النقوش الجلدية على أجسادنا، ولكن قبل أي شيء كانت هذه الماركة أولا، وبرغم صغر سنك، ولكنك ربما تستطيع أن تتابع غاية حديثي، فيما بعد .. مع ظهور نقوش الليزر الجلدية أصبح ذلك من الأناقة، فالنقوش الجلدية كانت أكثر سهولة لكي تدل على نفسك، من تلك الماركات القديمة التي أصبحت مثل إشارة منهكة، مصطنعة ومن السهل استشفافها، ولكنها ظلت حتى ذلك الوقت إشارة ما .. كان لها منطقتها الخاص، وإن لم يكن لها أسلوب حقيقي، لقد كان ذلك محسوبا بشكل دقيق .. استطعت أن أقول لنفسى من خلال هذا : هاهو أنا ذا، استطعت أن أعرف من أكون أنا .. إنك لا تبدي أي تعليقات يا صديقي الشاب! ..

والآن فقط يخطر ببالي أنك ربما قد تكون قد خبأت جهازا للتسجيل تحت ملابسك! ، أرجو أن لا تأخذني على هذا

التخيل، إن هذا التخيل يجعلني مشمئزاً! .. هذه الآلة الصغيرة فوق لحم جسدك، مثل مفتاح الكهرباء المحشور تحت الإبط بين الشعر، ويشبه أنف الخنزير، وصدقني إن قلت لك إنني أستطيع أن أرى حتى الثقبين المصنوعين، من أجل سيل التيار الكهربائي .. ليس مهما سأكمل، نعم سأكمل! ، يجب أن تستمع إليّ فمن أجل هذا جئت إلى هنا..

حسنا كنت قد جلست في كاركاس، داخل مطعم على منضدة شخص برتغالي مضطرب، كان هذا اسمه "داسيلفا"، وتحدثنا في الحال، لا، أنا الذي بادرت به بالحديث، وكان خائفاً، لقد رأيت خوفه وشعرت به، هذا الخوف كان يمتد حوله مثل حقل أصفر اللون، تماماً مثل خوفك يا صديقي، ومررتُ بيدي فوق رأسي، ليكون ذلك أول ذكرياتي، نعم أول ذكرياتي التي شعرت بها، وبدا ذلك وكأنني أمسح بيدي فوق الشعر المتناثر القصير، وكأنني أمسح فوق رأسي بنوع لم أعرفه أبداً من النعومة .. أتعرف أنني في الحقيقة لا أرتدي بشكل أساسي أي جوارب، كما أنني كنت أدخن سجائر "أتيكا" بشكل متواصل، وشعري كان دائماً قصيراً جداً، كنت أذهب مرتين في الأسبوع لحلاقة شعري، يوم الثلاثاء ويوم السبت من كل أسبوع، محل حلاقة صغير في حي "سان مارتين"، وأنا لم أمتلك أي نوع من المجوهرات، بخلاف الماركة التي كنت أحملها حول عنقي وبشكل فيه ازدراء مصطنع لم يكن لدي بالفعل ساعة يد، ولا أزرار زينة ولا أي خواتم.

هل ما زلت تستطيع متابعتي! نحن الآن في "كاراكاس"، في مطعم ألماني، كنت هناك لتناول العشاء وتحدثت مع البرتغالي الفقير، "داسيلفا"، الذي استطعت أن أغلق فمه فيما

بعد بطلقة نارية! .. نوع من حب الجار، شيء شيطاني خالص! ... هل تعرف هذا النوع من السلاح النمساوي المصنوع من البلاستيك المقوي، يخرج رشه عندما يضغط المرء على الزر وتنفث الإبرة.

لماذا تضع يدك فوق فمك يا صديقي الشاب، هل عضت شفتك السفلى؟!، انتظر من فضلك! سأبحث عن السجائر في الجاكت التريكو، ليس في جيبي شيء، امسك علبة سجائرك جيدا لو سمحت، ولتكن لطيفا! .. أشكرك. هل ترى؟! .. لقد انقطع التيار الكهربائي، هذا واحد من الانقطاعات الكهربائية عديمة المعنى، في هذا الحي الوحيد والذي يغرق في الظلام حتى يتم إنارة أحياء أخرى. من فضلك أعطني عود الثقاب.. امسكه جيدا لو سمحت .. تماما هكذا! .. أشكرك!

أرجو أن تستمع إليّ جيدا : .. المطعم كان في منتصف مدينة كاركاس، اسمه مطعم "نورينبرج"، وكان من نوع المطاعم التي لم تكن موجودة، على الأقل في الجزء البروتستانتية في ألمانيا، ذلك إن كانت موجودة على الإطلاق .. الحوائط في المطعم بها ملصقات لرسومات بيوت ريفية قديمة، وفي قائمة المطعم قدمت بيرة من البراميل، و"إسكالوب" مطبوخ على طريقة الصيادين مع معجنات من جنوب ألمانيا والكرنب المخلل، وجبة على طريقة القناصين. المكيف بث هواءه البارد في الصالة كلها وتطايرت معه حواف المفارش المخططة باللون الأحمر والأبيض على الموائد، بالداخل تحرك الهواء بشدة، وبالخارج كانت السماء رغم المطر، واضحة النجوم وعدد قليل من السحب السوداء

المكتظة التي كانت محملة بالماء صافية، وبدت السحب أكثر سوادا من سماء الليل.

أخذ النادل يجول هنا وهناك .. لم يكن ألمانيا ، لذلك كان يعمل بسرعة شديدة، وجهه كان ممتلئاً بآثار لمرض الجدري، بدا عليه نوع من الخوف، الخوف من شيء غير محدد! ، لعله من هؤلاء النازيين كبار السن، الذين يأكلون هنا الاسكلوب الألماني منذ أربعين عاماً .. ربما قد يشكوه أحدهم عند "إدواردو" .. أخذ النادل يضع أكواب البيرة ويأخذ من الآخرين الطلبات: سجق أحمر وأبيض مضغوط، معجنات ألمانية بالجبن، لحم الكاسلر، لحم بالنبيذ في الفرن، أرجل خنازير مسلوقة، كلها وجبات ألمانية كاثوليكية .. لم يطلب أحد الأرجل المسلوقة، ولكنها كانت مكتوبة دائماً في قائمة الطعام.

الألمان هنا في كاركاس بعيدون عن ألمانيا، فما الذي يضطرهم إلى طلب مثل هذه الأشياء المقززة أو بالأحرى إلى أكلها؟!، ما هو مطلوب هنا هو تناول وجبات تذكرهم بألمانيا فقط، وليس أن تصل شهيتهم إلى حالة الاستياء!.. طلب اللحم البقري الملفوف، والمحشو للسيد والسيدة "كرويتسكاب" اللذين اتخذا الآن اسم "كرويتسكامبو" يبدو أنهما لم يبذلا عناء كبيراً، في تغيير هذا الاسم .. هناك على مائدتي بالتحديد أسفل مكيف الهواء الدائر، طلب السيد "داسيلفا" بيرة برميلية وعرقاً، وصدقتي إن قلت لك إنه كان يود طلب النبيذ أو كأس "لاجريتسيا"، أو على الأقل النبيذ الوردية، ولكنه قرر أن يبقى على طلب البيرة .. "داسيلفا" كان يعيش منذ وقت ما في كاركاس وكان يكره أمريكا اللاتينية وخصوصاً الألمان الموجودين هنا، في كل مكان

وأكلهم الممتلئ بالدهون، ووجوههم السمينة المنتفخة
وتعطشهم للبيرة وكأنهم قواقع دسمة لزجة تعيش على
مشروب البيرة.

في هذا الوقت كنت أضع عدسات لاصقة فوق عيني،
ولمح ذلك "داسيلفا" عندما أدت عيني جانبا، ورأيت رؤية
داسيلفا لذلك، لقد كانت العدسات مثل شيء مركب داخل
عيني، شيء زجاجي غير طبيعي، نوع من اللمعان المنتفخ،
سألته لماذا تقابلنا هنا، هل كان يظن أن كل الألمان يفرحون
بمثل هذه الحانات البشعة، الممتلئة بنفايات الحيوانات
المكتوبة في قائمة الطعام.

"داسيلفا" أخذ رشفة من البيرة ووضعها أمامه على مفرش
المنضدة ذي الخطوط الحمراء والبيضاء ثم قال:

- "يمكن أن نذهب إلى مكان آخر"

كان ما قاله هو الحكم عليه بالإعدام، وقذفه بالرصاص
من الخلف، ثم قذفه بالرصاص في فمه وقلت:-

"Pobrecito"

"صديقي العزيز ! إنه يصعب عليّ أن ألاحظ عدم
استماعك إليّ جيدا ! .. انتظر من فضلك، سأشعل بعض
الشموع، لديّ البعض منها في البيت، لو تفضلت هل يمكنك
أن تخرجها من "الكومودينو" المصنوع من القيشاني هذا هنا
بجانبك؟! .. هي هناك، نعم هذه، أنها مصنوعة من الشحم ..
نعم! ، هكذا أصبح المكان منيرا مرة أخرى"

وجاء الاعتذار في بريد اليوم التالي، بعد الساعة العاشرة
صباحا بقليل مع جريدة الظهر، أخذت أتصفح جريدة "جنوب
ألمانيا"، ليوم الأربعاء حتى الثانية عشرة تقريبا، أعددت
لنفسى حماما ساخنا، ودخنت أثناء ذلك ثلاث سجائر "أتيكا"

حتى امتلأ البانيو بالماء، رميت بقية السيجارة الأخيرة في مقعد الحمام، وخلعت البيجامة، ومددت يدي إلى عنقي، وخلعت الماركة ووضعتها بجانب حوض الغسيل.. رقدت في الماء الساخن، تحت أظفري كان هناك بقايا دم متجلط لداسيلفا منذ ليلة أمس، ولكنه ذاب سريعا، رغوة الصابون كانت مريحة للغاية، وكالعادة أخذت أمررها بين أصابعي، وشعرت باسترخاء عضلاتي، وأصبح ظهري بعد هذا ناعماً تماماً، طقطقت عمودي الفقري عدة مرات.

بدأت أغني، وفكرت أن كل الرجال يندندون ويغنون في الحمام. غنيت في البداية قائلاً: "البرازيل" ثم غنيت "ربما..ربما.. ربما" .. أمسكت بفوطة الحمام، ومسحت يدي ثم دخنت سيجارة أتিকা، ووضعت يدي اليمنى فوق قفائي، وبقيت مسترخيا انظر إلى أصابع قدمي.

استنشقت الدخان الساخن وأخرجته مرة أخرى، شاهدت صعود السحابة إلى السقف، الدخان الذي أخرجته من رئتي كان رماديا، والدخان الذي تسرب من السيجارة كان أزرق اللون، أخذت أغني ربما، ربما، ربما، ربما.

كانت سيجارة الأتيكا تأتي من ألمانيا، في الحقيقة هذا النوع من السجائر بشع للغاية، ولكنني الآن تعودت على طعمه السيئ، ومذاقه الخشبي الرخيص، وفكرت سريعا أنه يمكنني أيضا تدخين السجائر ماركة "البلومونت" ذات الفاتر المزدوج، تماما كما كان ذلك معلقا على لافتة الإعلانات في الطريق إلى المطار، لأن سجائر الأتيكا لم يعجبني مذاقها على الإطلاق، ولكنني اعتدت عليها وأصبحت تذكرني بوطني في ألمانيا، وتذكرني بالسجق اللذيذ، مع المستردة والبييرة في الأكواب الكبيرة من ماركة "فار إشتينار".

كنت في ذلك الوقت في الرابعة والأربعين من عمري، لم أكن من الذين يجلبون الصنف! ولكنني كنت أحوله فقط أبدل الكوكايين بالنقود، مقابل سم الأعصاب! .. سكنت في بيت مريح في "سان برنادينو"، في أحسن منطقة في كاركاس في فنزويلا، كنت أبقى عادة في البيت لمدة أسابيع دون أن أفعل شيئاً، أسترخي في البانيو وأضيق الخادمة! .. أنتظر، وأنتظر مكالمة تليفونية تطلبني هنا أو هناك.. على أية حال عندما كان أحدهم يتصل بالتليفون، ويسأل بالألمانية:

- "هل طلبت وكيل "هارلد"؟!"

كان هذا يعني أنه يجب على أن أتوجه إلى "كارتاجينا" في كولومبيا، وعندما يسأل أحدهم بالأسبانية نفس السؤال، فيعني ذلك أنه يجب أن أتوجه إلى "ميريدا" بالمكسيك! ..

كانت الشفرة سهلة للغاية، لقد فكر فيها وحددها الرئيس "أسهارة" نفسه، وقد وضعها للجميع. كانت "سان سالفادور" ضمن ذلك وأيضا مدينة "بانام" و"لاسيبا" .. وفي "هندوراس" أخذ آخرون الطريق من "ميدلين" إلى "كالي"، وأنا لم أفعل ذلك قط، لأنني أولا لست من الشحاذين، أو "الجرينجو" الفقراء الذين يقطعون مثل هذه الطرق، واضعين في أمعائهم أكياس صغيرة من الصنف، فقط من أجل الحصول على ٢٠٠٠ دولارا، ذلك لأن مثل هؤلاء ليس لديهم ما يفعلوه بوقتهم غير ذلك، والسبب الثاني هو أنه من الخطر أن تسافر عبر المنبع الأول أو الثاني، ويكفي فقط الخطورة الموجودة في "كارتاجينا"، خطورة ذلك كانت تعد لي بمثابة السفر إلى بورتوريكو أو "ميامي"، لأنه يكفيني فقط

أن أدفع حسابا بالبطاقة البنكية، أو يتذكرني سائق تاكسي، في هذه الحالة سوف أفقد وظيفتي وسينتظرنني طاقم عمليات المخدرات، في أي مطار بالولايات المتحدة، لاستجوابي ثم ألقى حتفي بعد ذلك.

كنت فقط أقوم بتلك الحالات الوسطي، كما كان يسميها أسهارة، لقد انحصر عملي في أخذ حقيبة في كارتاجينا أو في أي مكان آخر، ثم السفر بها عبر خطوط طيران "أندلا" إلى المكسيك، وهناك في أغلب الأحوال يتم تبديل الحقيبة من غرفة إلى غرفة، والدفع في الفندق كان يتم نقداً، وكان شخص آخر يحضر حقيبة بها الأنبولات، وأخذها معي لأحضرها إلى "بنما"، وبعد ذلك كنت أعود إلى بيتي في كاركاس مرة أخرى؛ لأرقد في بانيو الحمام مرة أخرى وأضايق الخادمة! .. تصور أن تعرف أجمل ما في الأمر أنها تسمي "ماريا"، أحيانا كنت أعب مع "ماريا" الدومينو "لعبة الست"، وعندما كانت تفوز كانت تحفر على ذراعي شكل الصليب بالمقص، والعكس صحيح، ولكن "ماريا" كانت تفوز دائما .. وهكذا كان الأمر، النقود تحول عن طريق حساب بنكي من "طوكيو" إلى "جرسي" ثم إلى "لوجانو" وبعد ذلك إلى حسابي الخاص في "جراند كانيون". فكرت في كل هذا أثناء رقودي في البانيو، ولا أعرف لماذا لم أفتح مرة من المرات الحقيبة، لكنني لم أخدع الرئيس "أسهارة" أبداً، لم أحول مسار أي نقود ولم أتحدث مع أي شخص بشكل مباشر أو أكثر من اللازم، فأنا لم أكن للأخرين أكثر من وكيل ألماني، يعمل في شركة للموصلات الكهربائية ويعيش في "فنزويلا"، وعندما كان يحدثني أحد في المطار، مثل موظفي الجمارك عن هذه الموصلات الكهربائية، كنت

أبدي نوعا من الحيرة الشديدة، والملل في الحديث عن ذلك، وعندما كان يتم فتح حقيبتي أثناء السفر، فلم يكن هناك إلا بعض هذه الموصلات، والجوارب والملابس الداخلية وأربع علب سجائر "أتيكا"، وثلاثة قمصان مكوية وآخر متسخ، وثلاث كتب ورواية للكاتب "توم كلانسي" عن الغواصات، هل ذكرت لك من قبل أنني لا أرتدي الجوارب!؟

الكوكابين وضع دائما في حقيبة يدي، أربعة كيلو جرامات بدرجة نقاوة خمسة وتسعين في المائة، وحتى الآن لم يطلب مني أي موظف جمارك تفتيش حقيبة يدي!، وبعد عملية التبادل يتم وضع أربعة وعشرين أمبولا بها مادة السارين¹، كانت صغيرة الحجم ويتم تأمينها كالقواقع العارية السوداء، كنت أنا و"فالكر" نثبتها بخيط عند الجزء الزجاجي، ثم نجتمعها سويا بلاصق أسود وكأنها محترقة.

جلست في البانيو، وأخذت أفكر وأسحب أنفاسا من سجائر الأتيكا، وعندما بدأ الماء يبرد تدريجيا، أدت بإصبع قدمي صنوبر المياه الساخنة.. دق جرس الباب وكان ساعي البريد، كنت أتمنى أن تكون "ماريا"، كنت سألعب معها أدوار من الدومينو، ولكن البريد كان يفرحني أيضا، على الدعوة المرسلة كتبت جملة: "السيد "داسيلفا" يرجو لقاءكم" .. وعرفت أنه يريد أن يترك جمعية "أوم" .. إن هذا المسكين العجوز الغبي يريد أن يحكم على نفسه بالإعدام.

تصور أنني كنت أحب التنقل من صالة الانتظار الباردة في المطار، إلى صالة الفندق الباردة أيضا، كنت آخذ بينهما

¹ السارين (Sarin) سائل أو بخار لا لون له. تشمل عوارضه، التي تتوقف على مدى التعرض له، غشاوة البصر، وصعوبة التنفس، واختلاج العضلات، والتعرق، والتقيؤ، والإسهال، والغيبوبة، والتشنجات، وتوقف التنفس الذي يؤدي إلى الموت. يمكن أن يؤدي التعرض الطويل له إلى الموت،

تاكسيا خاصاً، وأدخل كهفه المكيف؛ لأنقل على هذا النحو من مكان إلى آخر، كان للهواء رائحة ممتازة، لقد كان دائماً مثل خليط لشيء رطب وآخر بعيد في نفس الوقت.

في مريدا اشتريت لنفسي ثلاث قمصان رائحة مشغولة التريكو، ثم شربت زجاجة بيرة من نوع "كورونا" في ميدان "هيولجو" ثم واحدة أخرى ثم أخرى، وأكلت معهم الفيشار الحار، والمملح والمتبل الذي قدمه النادل لي، ربما حتى أشرب أكثر وأكثر.

لم أعرق في حياتي بمثل هذا الشكل، نظرت إلى نفسي وإلى القميص الداكن اللون المنعكس في مرآة محطة الأتوبيس، يا إلهي كم أكره الأتوبيسات والعرق! .. أمعنت النظر بشكل عجيب إلى البقع الداكنة على القميص بعد أن خلعتة، لم ألاحظ ذلك أثناء وجودي في المطعم، الآن فقط أثناء خلعه ووضعها على المشجب، رأيت هذه البقع: واحدة كبيرة على الظهر بدت مثل رسم كروكي لجزيرة "هوكايدو" ، وواحدة أخرى في المنطقة، التي يلتقي فيها الكم بصدر القميص، وأيضا هذه البقعة خلف الياقة كانت مبتلة بشدة.

ومرة أخرى ينقضي شهر آخر؛ لأكون جالسا في صالة فندق "هوليدي إن كانكون" من أجل إنجاز صفقة تبادل جديدة .. أنية فخارية كبيرة وقفت في أحد الأركان مضيئة بأضواء هيلوجينية، بدت الأشكال الصغيرة المرسومة عليها، وكأنها تشكل خطرا كبيرا، مثل آلهة صغيرة داكنة اللون ترقص داخل دائرة، خلف الأنية كان هناك سماعة موضوعة، ولاحظت أثناء تعلق نظري بالأشكال المرسومة أنها تبدو وكأنها تتحرك بالفعل، وأصدرت هذه السماعة صوتاً يردد كلمة: Quando,Quando ,Quando .. أغنية لخوليو

إيجلاسيوس ربما تم تسجيلها في عام ١٩٧٥، وبعد ذلك أغنية أخرى بعنوان "ربما، ربما، ربما" وعندما فكرت في أن الأمر كله ربما يكون دعاية من تلك الشياطين المرسومة فوق الآنية والتي سمحت دائما بأغان تحتوي على نفس التساؤلات ذات التردد الثلاثي الأبعاد، في هذه اللحظة غني خوليو إيجلاسيوس أغنية جديدة بعنوان "الشياطين المسكينة" ولسبب ما ربطت الأمر أولا بهذه الشياطين ثم ربطته بي..

فجأة شعرت بغزة في كعبي، ضربت بيدي المفرودة، في نفس الاتجاه وعندما نظرت لليد وجدتها ممتلئة بالدم ! .. صالة فندق "هوليدي ان" كانت ممتلئة بالزواج الذين كانوا يحدقون فيّ، سألني النادل في الصالة: "هل ترغب في شئ آخر يا صديق؟" .. يا صديق، يا صديق ! .. لم أعد أستطيع سماع هذه الكلمة، صرخت بصوت عال "سوف أقتلك يا صديق!" ثم شربت بقية مشروب "الكورفرو" البشع ذي اللون الذهبي .. مشروب "التيكيلا" كان له مذاق حار، يبدأ أولا في الفم ثم يمتد في الخلف عند الحلق، والجزء اللحمي المعلق، من أجل هذا شربت رشفة أخرى في نخب الأصدقاء، في هذه اللحظة خطر بيالي خطاب ألقاه "زانفير جونزاليس" في مناسبة وادع "فيلي براند" رئيس ألمانيا السابق، "وداعا يا "فيلي" ، قالها في نهاية الخطاب، وسط ساحة كنيسة "بول" في فرانكفورت، كنت جالسا هناك ولم أكد أتمالك نفسي من الوقوع من على الكرسي بسبب الضحك! .. يجب أن تتخيل ذلك بالفعل، والأحسن من ذلك أن تردد بصوت عال "وداعا أيها الصديق فيلي"، يا له من تجمع هائل من الحمقى! ، يمكن للمرء أن يستشف كل شيء من هذه الجملة فقط، نعم كل شيء. "فيلي براند" و"زانفير

جونزاليس" وكل هؤلاء الأعضاء الكاذبين على المستوى العالمي، هؤلاء الخنازير المتلاعبين بالكلمات، لم يكونوا اشتراكيين ولا ديموقراطيين، ولا حتى أي شيء، فقط كانوا خنازير قذرة، كان أسهارة على حق عندما كشف أحدهم في أحد المرات، بالتحديد "أولف بالما" بعد أن أخرج فيلمه الأحمق هذا الذي يسمى "حياتي ككلب في "امستردام". تاخ. تاخ. بهذه العظمة. "أنا لا أريد أن أعتذر عما فعلت، لأن ذلك حدث منذ وقت بعيد، ولأنني قد أصبحت كهلا، ولكن أرجوكم أن تتذكروا هذه العظمة" هل ترى، إنها عظمة يوكيو ميشامس الذي يقوم بالانتحار بقطع بطنه على الطريقة اليابانية المسماة "سيبوكو"، إنها عظمة أندرياس بادر قائد حركة الطلبة الاشتراكية في ألمانيا قبل إعدامه بقليل، إنها عظمة الجنرال "ماك آرثر" الذي أمر في الحرب الكورية بإلقاء القنبلة النووية على كوريا الشمالية، إنها عظمة "دافيد كوريشس" للضحية بنفسه فوق معبد الفداء باسم الديموقراطية الأمريكية، قرية الفلاحين، كما كانت تسمى في حرب فيتنام يجب أن تدمر حتى تُنفذ، ! هل ترى هكذا تسير الأمور!

ومن هو المذنب؟! .. المذنبون هم تلك الآلهة الصغيرة فوق الأنية، المذنب هو "ماريا" الطاهرة، المذنبون هم الألمان في تلك القمصان الملونة السخيفة، أو بالتحديد شبه الملونة، يا لها من فاكهة مفعوسة ومستترة، باذنجان، ملابس بترولية للتمويه، لأن الألوان الملونة الصحيحة هي الألوان الأمريكية التي تشمئز منها النفس .. هؤلاء الكلاب الذين قاموا ذات مرة ثم ضحكوا عدة مرات ، بشكل مصطنع ، ومرة بشكل حقيقي ثم ذهبوا في المساء بخطوط طيران ،

أندالا!، من صالة فندق "هوليدي إن كانكون" في المكسيك .. إن كل هؤلاء هم المذنبون، كلهم مذنبون!.

التف العالم، ورشاش ماء الحشائش أمام الفندق يقبع في الساحة الخضراء، ويعمل في المساء فقط لكي تصبح الخضرة لامعة غير محترقة في صباح اليوم التالي تحت ضوء الشمس، من أجل المليارات المتعددة من خلال قطرات الماء، رشاش الحشائش استدار، وفي السماء عاليا كانت السحب تمر دوما بشكل أسرع فوق ليل شبه جزيرة "يوكتان"، وأتاني مرة أخرى ذلك الشعور بالسرعة، وأسرع مخي مع كل هذا، وفكرت في العجلة الدوارة في مدن الملاهي، وكيف أنها تدور بسرعة هائلة فتتداخل الألوان والأضواء، ووجدت نفسي أترنح، أو أن مخي هو الذي يترنح، ربما ليس في الأمر إلا أنني شربت الكثير من البيرة، كثيرا من البيرة بشكل بشع حقا مثل العجلة الدوارة أو القبة السماوية الكبيرة تحت الشمس السوداء.

في صالة الفندق تناولت مشروب الكوفيرو الذهبي مع الفيشار والبيرة، أثناء ذلك خطر ببالي ما يجب أن يفعل، ذهبت إلى قسم الاستقبال، ودفعت الحساب وأخذت حقيبة اليد الممتلئة بالأمبولات من الحجرة رقم ٣٤، التي يتم فتح بابها بكارت ممغنط، وليس كما كان يحدث في الماضي عن طريق مفاتيح ذات حجم حقيقي، كانت ذات ثقل في اليد أو في الحقيبة، خرجت من الفندق في حالة السكر هذه، وجلست في التاكسي الذي أحضرني إلى المطار.

لقد تعلمت بالطبع أن أمحو ورائي بشكل دقيق كل الآثار التي أتركها، وكان ذلك يحدث تماما بالشكل الذي كنت أرغبه، كان ذلك يحدث بالفعل دون أن أفكر كثيرا في الأمر،

كنت أشتري ببطاقتي الائتمانية تذكرة طيران إلى "فكوفر"، ثم أذهب إلى حمام الرجال، وأقطع التذكرة، وأرمي بالأوراق المقطعة في الحمام وأغرقها بماء السيوفون، وأخرج مرة أخرى وأشرب القهوة في كافيتريا المطار وأدفع بقشيشاً بكم غزير حتى يتذكرني النادل!، وبعد ذلك أذهب إلى منفذ بيع آخر وأشتري نقداً تذكرة أخرى إلى "ميامي". بعد ذلك كنت أخذ الأتوبيس إلى مدينة "نيومكسيكو" وأرمي بتذكرة الطيران من نافذة الأتوبيس، وأشرب بمجرد وصولي إلى "نيومكسيكو" البيرة أو بالأصح بعضاً من زجاجات البيرة، ثم أسافر بطائرة الليل إلى نيويورك، كانت الطائرة تبقى بعض الوقت فوق طريق الطيران، وفي داخل الطائرة كان الجو دائماً حاراً بشكل لا يطاق، ربما قد نسي أحدهم أن يدير المكيف، وأمامي كان هناك بالطبع جهاز الإنذار المبكر لقناع الأكسجين، الذي كان يمكنني في الحال من إحلال الإنذار الداخلي لجسدي في حالة نقص الأكسجين أثناء الطيران.

قلت للمكسيكي الجالس بجانبني: "سأشرب الآن بيرة" فهز الرجل رأسه ولم يبال كثيراً بما أقوله وأخذ يحرك الهواء حوله بكيس مخصص للقيء.. وارتفعت الطائرة وطارَت فوق الأراضي المكسيكية الجرداء الداكنة، أدير المكيف مع قدوم البيرة، وانقطع أثناء ذلك سيلان عرقي.. ابشع وافزع ما في الأمر، وأخبثه من الأساس كانت تلك الشاشة التليفزيونية المعلقة، بشكل مائل فوق رأسي طوال الرحلة، هذه الشاشة الضخمة، التي كانت تعرض في تزامن ثلاثي متقطع خط السير الفعلي للطائرة في قطع كبير ومتوسط وصغير فوق الكرة الأرضية، نوع من الوقاحة المتناهية أمامي على الشاشة يعرض العالم بنفس الألوان، مرة بنية إذا كنت أطيّر

فوق سلسلة جبلية، ومرة أخرى خضراء إذا كنا فوق رقعة زراعية خصبة يعمل عليها صفوف لا تنتهي من المزارعين ذوي البشرة السمراء الذين يزرعون ثمارهم في الأرض، هل سيتوقفون مرة عن العمل لينظروا مرة واحدة إلى أعلى نحو الظل الأسود المار فوق حقولهم والمبتعد عن ظهورهم؟!

لم أرغب في التفكير في ذلك، من الأحسن ألا أفعل، فحقيبة اليد موضوعة بجانبني على الكرسي، أربعة وعشرون أمبولاً موضوعة في أربعة صفوف، كل صف به ست قطع، كلها داخل قطعة من القטיפه الخضراء مثبتة بطريقة جيدة، لم أفكر في أي شيء إلا في هذه العلبه الرصاصية الملحومة بشكل جيد، فقط هذه العلبه المعلقة في الهواء، على ارتفاع عشرة كيلومترات من سطح الأرض، ومبرشمة بمسامير وخوابير، وأنا جالس بجانبها، والجميع حولي نائمون، وللمرة الثامنة أترك أغنية "سويت هليرج" ترن في أذني.

أشعلت المصباح الصغير في الطائرة فوق الكرسي لقراءة مجلة شركة الطيران "الدلتا"، هل كان أسمها "الدلتا" أم "يونايتد"، لم أتذكر؛ لذلك قلبت الصفحات عائداً إلى الصفحة الأولى، وتأكدت أنها تسمى بالفعل "الدلتا"، وأن السيد "نيفل مارينر" من أكاديمية "سان مارتين" كان دائماً وأبداً المبدع والأستاذ في الطائرة، وكان يقدم بنفسه مع الطاقم البشري الذي يصاحبه أعماله المجهزة في الطائرة، وكان يتحدث لنفسه عن نفسه: والآن سوف تستمعون إلى السيد نيفل مارينر، وكان يقول: أي أنكم ستستمعون إلى كل شاشة في هذا العالم تكونون أمامها، وإلى رؤية أكاديمية "سان مارتين" لأول وثاني جملة من "أغنية العالم"

تصلب نظري فوق تلك الشاشة البشعة التي أخذت
تبتلع الكيلومترات والدقائق، الزمان والمكان، وهذا المشلول
في أدني، وسألت نفسي إن كان هذا الذي أراه فيلما مسجلا
على الفيديو، أم أنه صور ه حقيقة لقياس حركة الطائرة
وسرعتها، وارتفاعها ودرجة الحرارة .. ظهرت على الشاشة
جملة *Temperatuur van de Buitenlucht*، كان ذلك مكتوبا
باللغة الهولندية، لأنني كما تعرف كنت مسافراً على خطوط
"الدلتا"، ولا تسألني لماذا؟! .. أما سيد الأكاديمية هذا فقد
أجهد نفسه وشخشخ وجلجل ولكن صوته كان ضعيفا جدا.
لو أعرف من ذلك الذي اخترع هذا الشيء على الشاشة،
ربما بعض المهنيين المعوقين من داخل ورش اختراعاتهم،
بالتأكيد مهنيون لهم ذقون غريبة الشكل ومعاطف بيضاء،
اخترعوا هذا من أجل أن يتصلب نظر الناس في شلل
لمشاهدة هذا السخف، حتى تروح أعينهم في النوم أو يجنون
تماما، بينما تطير الطائرة بسرعة الصوت وبشكل مهول فوق
منطقة "بلتيمور" في القارة الأمريكية.

قلت لنفسي ليس مهما، كل هذا ليس مهما ! ، سواء كلهم
سيمرون في الهواء النقي، سبعون في المئة إلى الدرجة
الأولى، أو خمسون في المئة من الدرجة الخاصة برجال
الأعمال، أو ثلاثون في المائة إلى الدرجة العادية، لأنه في
الليل تتساوى كل الأشياء، وسيهبط معدل الأكسجين للجميع
حتى ينامون ولا يستطيعون فعل أي شيء آخر.

فكرت أنه بهذا لن يجرؤ أحد على طلب البيرة أو الكولا،
ولن يصل وباء الطلبات هذا إلى المضيفات؛ بسبب عطش
الركاب، الذين قد يحتاجون إلى جوارب صغيرة زرقاء، أو
إلى أقلام لكتابة شيء في منتصف الليل، أو غطاء إضافي أو

ربما مشروب "البلادي ميري" المسمم للمرة الثانية، ولكن بتوابل زائدة عن المرة السابقة، هذا يعني مزيداً من التوابل الحارة أو "التوباسكو" أو بإضافة مشروب "الفودكا"، كل هذا حتى لا يستيقظ النائم المزعج سريعاً.

سينام الجميع، ويصبحون غير قادرين على فعل أي شيء من خلال تَنفُس ذاتهم وثنائي أكسيد الكربون، الذي تخرجه دوراتهم الدموية، إلا أنا سأبقى هكذا؛ لأنني لا أحتاج تقريباً إلى الهواء حينما لا أستشقه بعمق، ولا أبحث برئتي عنه بل أنفَس ضد الهواء، وضد الأكسجين الناقص في الكابينة، وضد الخطر الأكبر والأعظم لنقص الأكسجين الذي يؤدي إلى الموت خصوصاً خارج النافذة التي أشد غطائها البلاستيكي أحياناً إلى أعلى كما لو أنه يوجد شيء يمكن النظر إليه في خارج الغلاف الجوي الخفيف، غير ذلك الظلام الحالك والمجرد في أعماقه، وبسرعة أشد الغطاء إلى أسفل مرة أخرى من الخوف، فربما ينحل زجاج النافذة المزدوج المخربش من تيار الهواء تحتي، فأسحب من خلال النافذة الصغيرة؛ نحو الخارج! .. وبرغم أنني لست بدينا إلا أنه من الممكن لضغط الهواء خارج الطائرة أن يسحبني بسهولة من النافذة الصغيرة ليمتص الدهون القليلة المتراكمة يمينا ويسارا على عظام جانبي، ثم يزحلقني إلى أعلى نحو إبطي بخبطة قوية في جسدي، لأكون في الخارج ثم أسقط سقوطاً سريعاً!، تلك السرعة المهولة التي ستصينني بالغثيان .. أما القطع والأجزاء غير المهضومة والمبتوَّقة للوجبة الفاخرة لشركة طيران "دلتا" فإنها ستذوب في السحب السوداء، وتصبح جزءاً منها، وسأصبح أنا في الجزء الأسفل في مكان ما، مثل فطيرة مسطحة تسقط داخل منطقة منبعجة

بين الأحجار ليكون ما هو مهشم مني هو العلامة الأخيرة
المبللة التي تدل على هيكلي ثم أسقط فوق ظهر فلاح
مكسيكي معه حصانه العجوز، ومحراث ويعمل في سلام،
غير عابئ بأي شيء، في حقله تحت سماء حيوانية شاسعة
وسوداء! .. سيكون ذلك بالتحديد في الليل حتى لا يراه أحد
العاملين في الجيش المكسيكي.

فكرت في كل هذا، ولم يستغرق الأمر أكثر من نصف
ثانية، ثم تغيرت الموسيقى في السماع المعلقة على أذني
وأنت جملة من "مالر" سيد الأكاديمية الذي لا يحتمل،
أرجعتني الجملة ثلاثة قرون للوراء وعزف "هنري بورسل"
مقطوعة غنائية باسم "ديدو وأنياس"، سألت النغمات البشعة
إلى أذني، فوصلت إلى حالة من الهدوء التام، وأصبحت بعيدا
في الخارج في الفراغ الحالك عديم الهواء، لأكون مشبعا
بالفراغ الجوي والامتلاء - مشبعا بالمكان - الجملتان الأوليان
من الأغاني كانتا غير مكتملتين، وأحلت مكانهما جمل من
نصوص لشكسبير بالتحديد من نص "Spencer the fairy
queene" ونص "العاصفة"، وبهذا قدمت مقطوعة "ديدو
وأنياس" في أسوأ شكل لها وخصوصا مع عزف أوركسترا
الحجرة لإذاعة شمال ألمانيا بقيادة السيد "شارلس ماكرارس"
وهكذا قدم "هنري بورسل" أنتعس ما عنده في هذا الظلام،
في كل هذا السواد تحت سماء ميتة، شيء كهذا لم أكن أشعر
به إلا عند سماعي بعض أشعار وليم شكسبير، لأنسى ذلك
فيما بعد مع تواجدي عند بعض المعوقين من أمثال "جيرالد
مانيلي هوبكنز" والخاتمة التي انتهى بها جنون "بورسل"
سارت على هذا النحو حينما كنت أرقد في مهد السواد داخل
الطائرة بين شخير الركاب النائمين ورائحة أرجلهم الكريهة

التي كانت تنبعث بين الكتل البشرية النائمة والمتحركة،
ورأسي تهتز مع ذلك يمينا ويسارا، واستمعت وفكرت فيما
يقال:

Thy hand, Belinda darkness shades me

On thy bosom let me rest

More I would, but death invades me

"دعيني أرتاح فوق صدرك، أرتاح لوقت طويل، لأن
الموت سيأتي مثل هذا الوحش الكبير" .. ولكن ربما يكون
ذلك هو النوع الخطأ في اختيار الراحة، ويجب أن يحارب
المرء بكل ما عنده ضد ذلك حتى النهاية.

تحسست بأصابعي ماركة الإيدز المعلقة، فوق صدري
وأخذت أحكها كما لو كانت قلادة سحرية، الطائرة كانت
تكمل دويها في سماء الليل، فكرت في مدينة نيويورك التي
نمر عليها وفي الناس هناك، كنت أراهم نائمين

Dido

Death is now welcome guest

When I am laid in earth, may my wrongs create

No trouble in the breast ,

Remember me , bur ah ! forget my fate

(cupids appear in the clouds over her tomb)

Chorus

with drooping wings ye cupids come

And scatter roses on her tomb.

Soft and gentle as her heart,

Keep her your watch and never part

فكرت أنه بالتأكيد قد غادر جسده الآن، أسمعني لقد غادر جسده الآن، هو لم يعد موجوداً داخل نفسه، "بورسل" الآن بالخارج، هناك خارج نافذة الطائرة.

انتهت الأغنية وفككت الحزام وشربت كوباً من الماء وأخذت مهدئاً ثم فتحت الحقيبة الصغيرة ونظرت إلى الأمبولات، وفتحت السوستة اللاصقة، فلم يعجبني صوت نزعها، وضعت السماعة مرة أخرى على أذني فسمعت وشوشة، انتهت الأغنية، انتظرت قليلاً من الوقت ثم سمعت قبل هبوط الطائرة على الأرض "أغنية الساحر سارين" في ليلة ساكنة في مدينة ماتسومو يمكن أن تقتل الناس.

تقتل بأيدينا، سيرقد الموتى في كل مكان

هناك! تنفسوا! سارين سارين!

انثروا السارين! انثروا السارين! تشمموا السارين،

السارين المتعطر!

"تعال افتح لك الباب الآن يا صديقي! إن الوقت تأخر وأنا

متعب جداً!"

مذكرات الممنوعات

زيارة إلي مستشفى بوشينج/٢٠٠٥

الأربعاء، ٢٣ نوفمبر

وصلت قرب الظهرية أعلى التل حيث يوجد مستشفى "بوشينج" Buchinger Klinik، اليوم يوم الفاكهة، حجرة منيرة لطيفة، ملاءات سرير في لون سمك السلمون، سرير مزدوج لم يُعْطَ منه إلا جانب واحد، زهور زاهية أمام الشرفة، الوقت الآن نهاية نوفمبر، حيث مناخ بحيرة كونستانس الرقيق الحاني، تراودني أحلام يقظة في الشرفة وأنا ملتف في بطانية، فجأة تشير الساعة إلى الرابعة عصرا، أين يذهب الوقت هنا؟ مر عليّ لبناني بدين مهذب جدا، حاول أن يفتح حوارا فتهربت منه، ربما أتحدث معه غدا، ولمّ لا؟ غدا صباحا فحص طبي عام، وبعد ذلك اختيار طريقة من طرق العلاج، من المحتمل أن تكون هي طريقة العلاج بأكسجين الدم، أو تكون الخيار الثاني: المساج بأواني الصوت التبتية.

تناولت اليوم فواكه فقط، بابايا، كيوي، عنب، وأخذ السيد "تسيبرر" يعزف على البيانو في الصالون من الساعة ٦.٣٠

مساءً، أحسست بجوع شديد قبل النوم، نمت ولم تكن هناك أحلام.

الخميس، ٢٤ نوفمبر

نمت نوماً غير مريح

في الثامنة صباحاً قُيِّمَ ضغط الدم: ١٢٠ على ٨٠، وقوف على الميزان: ٦٨.٩ كجم، قالت الممرضة الودودة:

- وزنك بالفعل هو وزن الذبابة، ما هذه البقع الزرقاء؟ هل سقطت؟

- نعم أعتقد ذلك.

- تعتقد؟ أهو حرمان من الكحوليات؟

- نعم وحرمان من السجائر.

- الاثنان مرة واحدة؟ همم! نعم، ليس مستغرباً أن تكون

دائم السقوط، طعامك اليوم: فاكهة فقط.

الآن حساء الغداء مع اللبناني مروان، سألته هل سيأتي

معى اليوم للتجول؟ فأجابني: "كلا كلا"، فليس لديه حذاء

للمناطق الجبلية، أما أنا فعلى العكس: لدي شال، وسترة لها

غطاء رأس، وجاكت، وحذاء للمشي، كل شيء موجود.

قضيت ثلاث ساعات من السير على الأقدام بقامة مشدودة

خلال التلال الرائعة حول بحيرة كونستانس، منخفضة

مكسوة بأوراق الخريف، بشاير صقيع، أشجار مجتثة، الوقت

الآن الرابعة مساءً، الشمس تغوص سريعاً خلف أشجار

البلوط عدا بقية من شعاعها، وقد صار الجو بارداً.

قبل المستشفى بقليل حانوت صغير فيه سلع مختلفة،

تحققت من أن الجميع أمامي ولا أحد منهم يلتفت، ولجت

بسرعة إلى الداخل، محاولاً أخذ أي شيء، دببة من حلوى

الجلاتين، لا، فعبوتها كبيرة جداً، إذن بسكويت

"هانوتا" Hanuta، بسرعة، وضعت ٤٠ سنتا على الطاولة، أخرجتها من غلافها ووضعتها في فمي، ثم خرجت أسرع وراءهم، وأخذت أمسح فمي وأمضغ، بسرعة، يا الهي مذاقها طيب، فغدا صباحا سيبدأ الصوم الحقيقي، مع شربة ملح جلوبر.

بغناء اخترت مساج الـ "شيأتسو" Shiatsu بدلا من أكسجين الدم: يقوم بالمساج رجل من منطقة "شفابن" Schwabe ذو لحية، يضع أقرطا في أذنيه، شعره متوسط الطول، ينحني على جسدي، وهو يزفر الهواء من أنفه بقوة، شيء غير لطيف بالمرّة يستمر ٥٠ دقيقة، يدعى هذا الرجل السيد "ليّفكّه"، هذا عمله بعدما قضى في آسيا ثمانية أعوام.

بعد ذلك حساء العشاء، يتكون الحساء من ماء ساخن يصب على قطعة من "الشمر"، أتناوله على المائدة عند اللبناني مروان. صوت سيدة سورية منفعلة. كان مروان يتحدث عن أكلة سرطان البحر بالزبدة المصهورة، وعن أنواع البيرة، وعن شرائح لحم الـ "تندرلُوين" والـ "بورترهاوس"، والفاصوليا الخضراء المطهية قليلا في البصل، يقول: Damascus is cold this time of year, but it is a dry cold. (الطقس في دمشق بارد في هذا الوقت من العام، لكنها برودة جافة) صوت السيدة السورية عميق، رخيم، تنساب حروف اللين العربية من فمها كالشهد، في الواقع لا يوصف حساء العشاء إلا للصائمين. مرة أخرى مزيد من البابايا والكيوي والعنب، شيء لا يكاد يحتمل.

في المساء محاضرة مفيدة جدا لمدة ساعتين عن أهوال المشروبات الكحولية، ألقتها الدكتورة "سوزانه شوبر-يوخوم"

تحت عنوان: "هل أنا سعيد فقط أم أن سعادتي متوقفة على الكحول؟"

سرعان ما نمت، لكنه كان نومًا قلقًا.

في المنام حضرت اجتماعا مع الحزب اليساري وحزب الـ "إس به ده" SPD، في هذا المؤتمر أنقذت الإقتصاد الألماني: اقترحت بناء مطار عائم ضخم جدا في البؤرة الجغرافية من بحر البلطيق، يُسمى مطار "هانزه"، هذا المطار المُمد أو "المغذي" سيزود منطقة البلطيق والدول الاسكندنافية الواقعة في الجنوب ومعها بولندا وشمال وشرق ألمانيا برحلات جوية إلى ما وراء البحار، والفائدة: أنه لن يكون هناك رسوم إقلاع ورسوم هبوط، معماريا: ينفذ المشروع المهندس "ريم كولهااس/أو إم إيه" Rem Koolhaas/OMA. وستبلغ فرص العمل في المدى المتوسط: ٢٥٠٠٠٠، ويكون عدد ممرات الإقلاع: ثلاثة ممرات تصمم على شكل صليب بعارضتين.

الجمعة ٢٥ نوفمبر

استيقظت الساعة السابعة، فتحت الستائر، ثمة صقيع، وقد تجمدت الزهور، دخلت إلى المعمل مرتعشا، مرتديا برنس الحمام، ضغط الدم ١٢٠ على ٨٠، الوزن ٦٨.٤ كجم، تحليل البول، ينبغي أن أراعي فيه "عينة منتصف التبول".

عدت إلى الحجرة، أصابني نزيف شديد تدفق فجأة من أنفي لدى دخولي الشرفة، وقفت بالخارج وسط الصقيع متعجبا، مرتديا البرنس، واضعا على أنفي منديلا يحمر لونه

شيئا فشيئا، الجمادات كلها كساها ثوب بلوري، وأصبح لكل شيء أغطية بيضاء.

في المعمل انتابنتي حالة من الذعر، إذ ينبغي سحب أربع أنابيب دم كبيرة لأجل التحاليل التالية: (CDT) و (SMAC) و (T3) و (T4) و (TSH-basal)، كان تشخيص طبية الأمس "زيادة في إفراز الغدة الدرقية، لابد من التحقق من قيم هذه الزيادة، نعم لابد وإلا سيستمر المريض في الصوم على مسؤوليته الشخصية"، رفض أعضاء الكومسيون نتيجة التحاليل. لا ينبغي أن يخزني أحد بمزيد من الإبر لمجرد الاشتباه، إلا أنني أعطيت علبة كبيرة مكتوب عليها " 20H Immun G30"، وهي لتهيئة جسم المريض أثناء العلاج بالإشعاع أو العلاج الكيميائي أو لمرضى فيروس الالتهاب الكبدي الوبائي.

عدت إلى الحجر، أحضرت لي شربة ملح جروبر على صينية، ثلاثة أرباع لتر مذاقها كماء البحر، ربما تكون أقرب إلى ماء البحر الميت، لكن ليس بنفس درجة السوء، الجرعة الأولى: الساعة ٨:١٤. راودتني خواطر عن بلورات الصقيع وبلورات الملح في الداخل والخارج.

الساعة الآن ٨:٢١. أشعر بغثيان خفيف. مغص في البطن. تجرّع المزيد من ملح جلوبر ليس سهلا كما كان في أول كأس منه. الساعة ٨:٢٥، ها قد أنهيت شربة الملح، أحس برغبة خفيفة في التبول مصحوبة بوخذ لكن سرعان ما تزول، الساعة ٨:٣٣. أتجشأ. الساعة ٨:٤٤. لم يطرأ تغير حتى الآن، الساعة ٨:٥٠. أتساءل: هل ينبغي طلب المزيد من ملح جلوبر؟ فهو على ما يبدو لا يعطي الأثر المرجو. الساعة ٩:٠٤، الدفقة الأولى، في سرعة البرق.

بدءاً من الساعة ٩:٣٠ جلست أشاهد بإعياء شديد فيلماً وثائقياً على قناة Arte يتحدث عن عمال تعدين فقراء من "زانسكر" Zanskar وهي منطقة بالقرب من إقليم "لاداك" Ladakh الهندي، تأتيني دقات سائلة من وقت لآخر، في الخارج تنقش سحب الصقيع مسفرة عن شمس شتوية تشرق في البداية على استحياء ثم يزداد إشراقها باطراد حتى تبرز في النهاية بقناعه نفس شديدة. تحضر "ليزا" قريبة تدفئة وتضعها أسفل قدمي وتطوي فوقها لحافاً من الصوف. ثم تتجه الممرضة فاتنة الجمال إلى النافذة وتفتحها قليلاً لتطرد الروائح الكريهة من الغرفة.

حوالي الظهر كنت في القرية، في "إيبرلينجن" Überlingen، مع السيدة "ميشائلا شليست" التي تعمل في استوديو "فوتوهان" لمعالجة الصور أناقش أنماط الصور قبل وبعد المعالجة، وأن تكون الخلفية سوداء، سيكون التسليم الأربعاء القادم، وقد شددت عليها أن تبدو تماماً كما هي الآن، عدا كوني أنحف قليلاً، عدت إلى المستشفى في حالة من الضعف الشديد جَعَلَتْ صعود الجبل مرة أخرى صعباً، اشتريت من الكشك كيس مقرمشات Snickres، ثم ألقيته في سلة القمامة بجوار محطة الحافلات دون أن أكل منه شيئاً.

لم يكن الصعود صعباً كما تصورت، فقد كنت في حالة تشبه التحليق، وشعرت بخفة في الأعضاء والعظام، ثم توقفت هذه الحالة في منتصف الطريق فعدت بالتاكسي إلي المستشفى.

الآن موعد المساج التبتية بالأواني الصوتية مع دكتور "لوتس"، استلقيت في ملابس خفيفة في حجرة شحيحة

الضوء لا ينيرها إلا مصباح بلوري خافت، وقد شرع المعالج في وضع الأواني النحاسية على الجسم ثم طرقها بعضا من اللباد، طريقة خفيفة وطريقة شديدة، فيبدو الجسم وكأنما تتخلله الاهتزازات، سرعان ما غفوت، أليس هذا دجلا؟

حساء العشاء مع مروان وميشائيل، توجد من هذا الحساء الأنواع الثلاثة عشر التالية، أتناول منها نوعا مختلفا كل يوم: حساء الجزر، والشمرة، والطماطم، والخيار، والكوسة، والقرنبيط الأخضر، والكرنب، والسبانخ، والبنجر، واليقطين (القرع العسلي)، والبطاطس، والفاصوليا، والطرطوفة، وتسمى الأخيرة أيضا "بالخرشوف المقدسي"، وسرعان ما اتفق رأيي مع رأي مروان على أن ترتيب هذه الأنواع من حيث المذاق يجب أن يكون كالتالي: الطماطم ثم الخيار ثم الكرنب، أما باقي الأنواع فلا تستحق الذكر.

نمت نوما عميقا جدا. في المنام رأيت كأني ألقى محاضرة باللغة الإنجليزية عنوانها "ماكس فريش ويوكيو ميشيما - فأر الهامستر في العجلة"، كان الطلاب يجلسون على سجادة أرضية لونها رمادي فاتح، والغريب أنهم كانوا يديرون ظهورهم لي، حتى أنني لم أستطع أن أرى سوى أقفيتهم.

السبت، ٢٦ نوفمبر

تعجبت من استغراقي في النوم لفترة طويلة، في الساعة ١٠:٢٠ جاءت الممرضة "جيزيلا" إلى حجرتي الحارة، كانت غاضبة بعض الشيء، حثنتي على قياس ضغط الدم ثم الوزن، فوعدها بشي من الغيظ أنني سأتي بسرعة، ثم توجهت إلى المعمل أجر أقدامي، مرتديا برنس الحمام، كان

الضغط ١١٠ على ٧٠، أحسست ببرودة في اليدين والقدمين، وكان الوزن ٦٨.٢.

بعد ذلك أخذت أول حقنة شرجية في حياتي، وستكون الأخيرة أيضا، نادرا ما شعرت بمثل هذا الإذلال والإمتهان، قالت ممرضة كانت ترتدي عباءة بيضاء ثقيلة أنه ينبغي ألا يؤخذ الأمر على هذا النحو، فهي تقوم بذلك عشرين مرة في اليوم، استدرت على جانبي، ووضعت الممرضة شيئا يشبه الخرطوم ينتهي بأنبوب زجاجي من نوع "بليكسيجلاس" Plexiglas طرفه مدهون بالفازلين، شعرت ببعض الألم جراء نتوءات موجودة بالخرطوم.

في وقت لاحق قمت بجولة تبعت علي السعادة بلا شك، من "أفنبرج" Affenberg إلى "ناتوراتا" Naturata، (وهو سوق حيوي أنثربولوجي رائع، مبني بأكمله من الخشب، بناه المهندس المعماري المجري "إمره ماكوفيتش" Imre Makovecz)، انطلقت عبر أرض مفتوحة مموجة قليلا تمتد بطول المروج والحقول على ضفاف الـ"إنجيفايهر" Engeweiher، ثم اجتزت القرية الصغيرة الصامنة "دايزندورف" Deisendorf لرؤية سوق عيد الميلاد في مدرسة "فالدورفشوله ايبيرلينجن" Waldorfshule Überlingen.

اشتريت من بازار عيد الميلاد بدافع الإحساس بالذنب ثلاثة تماثيل ملائكية مصنوعة من الخيوط، وقزمين صغيرين من قشور عين الجمل، وثلاثة رقع مشغولة لها طابع وثني هيليني مصنوعة من اللباد الملون كانت تعرضها سيدة روسية على قائم صغير مرصوص بطريقة مؤسفة، كانت

رائحة النفاق المحمرة تنتشر في كل مكان، وكذلك رائحة الخمر الساخن والبيتزا ومخبوزات الاشبيكولاتيوس الحريفة، في الحقيقة كانت حاسة الشم تزداد حدة بفعل الصوم، ويقوى تأثير النكهات المختلفة، فتنتطق الاستثارة على أشدها، طرأت فجأة بعض تخيلات حول إدراك ما في الظواهر من جمال مركب، أصبحت شبه مخدر أمام قائم عليه بسكوت تنبعث منه رائحة الـ"بولي كروم" Polychrom، عدت إلى المستشفى في سيارة أجرة كبيرة، كان الغروب جميلا في حمرة الدم.

في المساء كنت مع د. "شايديماندل" في مطعم "تسوركرونيه" Zur Krone في "إبيرلينجين"، تناول الطبيب الذي يعمل في المستشفى منذ عامين مكرونة الجبنة بحلقات البصل المحمرة، أما أنا فطلبت مياه شرب غازية، ثم راودتني نفسي عن تدخين سيجارة، لم أستسلم، ودار حوار عن أساليب تجنب الأشياء، وعن الحياة اليومية في المستشفى، وإمكانية قضاء

سنوات في مستشفى بوشينج دون أن يشعر المرء بذلك. في المنام رأيت أني واقف في مكتبة عامة وحولي أرفف كتب عتيقة تشكل نصف دائرة، كان هناك الكثير من اللون البني والكثير من العناوين المذهلة، ثم رأيت فتاة صغيرة تقف على الدرجة العليا من سلم الكتب الخشبي، ملفوف حول عنقها مشنقة، كانت تتأرجح وتبكي، وكان هناك رجل لم أعد أستطيع وصفه، أخذ يدفع بظهره السلم من أسفل حتى أسقطه فتدلت الفتاه من الحبل الغليظ، وشنقت حتى الموت. نوم عميق.

الأحد، ٢٧ نوفمبر.

ضغط الدم: ٨٠/١٢٥، الوزن ٦٦.٥ كجم، ذعرت الممرضة "جيزيلا" من هذا النقص الحاد في الوزن، فقد فقدت كيلو ونصف منذ وزنة البارحة، فأسرعت تعطنتي كوبا من الزبادي عليه طبقه من العسل، وهي تكاد تعزيني.

خرجت في تمشية إلى قرية "زاليم" Salem بصحبة مدير المستشفى السيد "فيلهلمي" Wilhelmi، هناك حولوا المدرسة إلى مكان يشبه ديزني لاند، انتشرت في كل مكان منه أعمال فنية يدوية، وما كان في نظر الأولاد خربا غامضا وقت الدراسة، أعني ما كان مغطى بالطلاء والأتربة منذ مئات السنين، أصبح الآن منطقة مدرسية مغلقة وضع فنانو الأشغال اليدوية أعمالهم في محيط قصرها الرائع، وتراصت جنبا إلى جنب محلات تصنع فيها شموسا نحاسية، وتباع فيها كل أنواع الأواني، كما تُشغل فيها أيضا شمعدانات حديدية، بدا الأمر وكأن مدرسة القصر بمدينة "زاليم" عادت مرة أخرى إلى حيث بدأت في الأصل، إلى حقبتها التاريخية الفنية، إلى أثنوجرافيا العشرينيات من القرن الماضي، إلى "كورت-هان-كيتش" Kurt-Hahn-Kitsch، أما مدير المستشفى "فيلهلمي" فهو رجل عاطفي للغاية، يرتدي كوفية حمراء، مشينا سويا إلى شجرة الزيزفون Polenlinde التي لعبت دورا في رواية "أرض الآباء" Fatherland، كان يدخل السيجار فتحوم سحب الدخان أمامه، ويوضح هذا وذاك ملوحا بيده وكأنه "هوفرات بيهرينز" Hofrat Behrens.

كانت "بريجتتا لاف-لينش" Brigitta Laaf-Lynch تريد إجراء حوار، وبريجتتا هي الزوجة السابقة للفنان "جونتر

زاكس "Gunter Sacks، وهي بالصدفة على علاقة بـ
"باربارا كونسناتينسكو" Barbara Constantinescu (نيبال)،
أكدت بريجتتا أنها تعرفت حديثا على الدكتور "نيكل"
Nickel وصديقه "سوزان سنايدر" Susan Snyder بمجرد
رؤيتها لهما، كانت تعاني من آلام شديدة في الظهر وباقي
الجسم.

جاء وقت حساء العشاء مع مروان، وهو اليوم قرنيبيط
أخضر، قررنا أنا ومروان وليديا (من العراق) ولورا (من
سوريا) وميشيل (من بلفاست) أن ننزل مشيا إلى القرية، إلى
"إبيرلينجن"، لكي نشرب هناك "شاي الفواكه" Früchtete
وماء معدنيا، أخبرنا مروان عن رسالة الدكتوراه الخاصة به
والتي على وشك الانتهاء، وهي عن: "Turbulent Muses.
Prinzhoern, Morgenthler, Adolf Wölfli: Art in
Psychosis".

الإقلاع عن السجائر لا يكون صعبا إلا في المساء، لكن
يمكن القيام به.

في المنام لم أر الأشياء بوضوح، كان ظهري عاريا،
وأحدهم ينظر إلى عمودي الفقري من خلال الجلد، ثم رأيت
شباكا لصيد البعوض، ورأيت جنوب فرنسا ثم "ديفيد
هاميلتون" David Hamilton، وتابعت في الحلم أغنية تقول:
"beret, that kind that you find She wore a raspberry
beret, in a second hand store, she wore a raspberry beret,
"and when it was hot she wouldn't wear much more
(كانت ترتدي بيريه في لون الفراولة، تلك الطفلة التي
وجدتها في محل بيع الأغراض المستعملة، كانت ترتدي

بيريه في لون الفراولة، وعندما أصبح الجو حارا لم تعد ترغب في ارتدائه ثانية."

الاثنين، ٢٨ نوفمبر

ضغط الدم: ٨٠/١٣٠، الوزن ٦٦.٠٠ كجم، كل يوم ينقص وزني باوندا واحدا، هذا يعادل إنقاص أربع قطع يوميا من شطائر جبنة "كوارتر بوندر/تشيز" Quarterpounder/ Cheese. أحسست بجسدي إحساسا مميزا، لكنه غير لطيف، السير لم يصبح أكثر سهولة فحسب، بل أيضا أكثر استقامة وثباتا، والعينان أكثر صفاء، وغدا لون القزحية أكثر تركيزا، فعكست لونا رماديا مشوبا بخضرة لطيفة، وصارت عظام الخصر ترمي إلى الأمام.

من المثير أنه لم يعد أحد يتصل بي هاتفيا، ولم يصلني بريد منذ أيام أيضا، لا عن طريق الإيميل ولا بالبريد العادي، وقد أفصح الدكتور "شايديمانل" عن شيء مشابه، فهذا الرجل الذي قضى عامين هنا لم يعد يتلقى أي بريد على الإطلاق، ولا اتصالات هاتفية، ولا حتى زيارة واحدة منذ ما يزيد على العام.

الثلاثاء، ٢٩ نوفمبر

ضغط الدم: ٧٠/١٢٠، الوزن: ٦٥.٣ كجم، قبلت عمل حقنة شرجية مرة أخرى.

الأربعاء ٣٠ نوفمبر

ضغط الدم: ٧٠/١٢٠، الوزن: ٦٤.٥ كجم، مرة أخرى أفقد كيلوجراما تقريبا، أشعر بضعف شديد، جلست فترة الضحي كلها أشاهد قناة الـ "سي إن إن" CNN الفاشية التي تعزف نفس النغمة طوال الوقت، وضعوا لي "لغافة كبدية" Leberwickel، وأخبروني أنني سأنتهي الصيام غدا. بعد

الظهيرة مشيت إلى "إبيرلينجن" لكي أعمل صور ما بعد الكورس العلاجي، وللأسف لم تفلح السيدة "ميشائلا شلشت" في إنجازها رغم توفر آلات التصوير التي تبدو باهظة الثمن، ورغم خبرة سنوات طويلة في "تصوير حفلات الزفاف الجنسية المثيرة"، ورغم الاستديو الخاص في الطابق الأول من محل "هان" لأعمال التصوير، رغم هذا كله لم تستطع أن تقترب من أنماط الإضاءة الموجودة في صور ما قبل الكورس، وربما كان مغزي الموضوع كله يكمن في توثيق الصيام في بورترية بالصور، يُظهر على وجهي الأثر الذي ينتج عن إنقاص ٥ كيلوجرامات في أسبوع واحد من خلال نموذج توضيحي سهل الفهم، الخلاصة أن الأمر لم ينجح، قلت لها لا عليك، سيدة "شلشت"١، ويبدو أن الصيام يمنح المرء أيضا تعاطفا يكاد يكون مرضيا، دفعت ثلاثين يورو هي ثمن الصور، وغادرت أستوديو التصوير خالي الوفاض.

في المساء تناولت الشاي مع البروفيسور "برنارد هوبر" Bernhard Huber، وهو أستاذ في الفن درست علي يديه قديما، يقطن منزلا صغيرا أنيقا في منطقة "جولدباخ" Goldbach على ضفاف بحيرة كونستانس، على حوائط المنزل كثير من اللون الأخضر، لوحات فنية موضوعة في إطارات لطيفة منتشرة في كل مكان، من أعمال البروفيسور الخاصة التي تذكرنا بأعمال الفنانين "جيوس إبه أرسيمبالدو" Giuseppe Arcimbaldo، و"بيتر باول روبينس" Peter Paul

^١ في النص الألماني كتبت عبارة "سيدة شلشت" بحروف كبيرة هكذا FRAU SCHLECHT، وفي هذا تورية وتعريض بفشل هذه السيدة لأن كلمة schlecht الموجودة في اسمها تشبه كلمة schlicht وهي بمعنى "سيء" أو "رديء". (المترجم)

Rubens، و"فرناندو بوتيرو" Fernando Botero، دون أن تكون تقليدا لهم، ضحكنا كثيرا معا، وكان من أطرف معارف الشيخوخة عبارة: 'Tat Twam Asi.

الخميس، الأول من ديسمبر

اليوم نهاية الصوم، قد مرت التجربة إن صح هذا الوصف، لاحظت أن المكان خال، فالجو اليوم بارد، والشتاء قد بدأ اليوم بداية جدية، أحضر أحدهم إلى الحجرة تفاح مطبوخ تعلوه حبة بندق وحيدة، Not with a bang, not with a whimper, but with hazelnut (ليس بالعويل، ليس بالأنين، ولكن بالبندق).

¹ جملة سنسكريتية تعني "هو أنت". (المترجم)

obeikandi.com

كيف جاء البودك إلى العالم؟ ولماذا؟

زيارة إلى منغوليا/٢٠٠٣

الأكلة الشعبية في منغوليا هي المرموط. وأنا كسويسري أعرف هذا الحيوان البني الصغير ذا الفرو حق المعرفة، ففي مرحلة الطفولة عندما كنا نجتاز حزام الأشجار حول مدينة برن لنقوم بجولات في المنطقة الجبلية كثيرا ما كنت أشاهده بمنظاري المقرب المعلق بالمقلوب وهو يقف على مقربة من جحره مراقبا كل شيء حوله، رافعا رجليه الأماميتين القصيرتين أمام صدره، فإذا أحس بخطر أطلق من بين أسنانه الأمامية الطويلة صفيرا متصلا، وأسرع إلى مخبئه في خفة عائدا إلى صغاره.

قبل وقت قصير وبينما أرتب أغراضي وجدت قصاصة من الورق كتبها لي أحدهم واصفا طريقة إعداد الأكلة الشعبية في منغوليا، كنت قد نسيت هذه الورقة رَدحا من الزمن، حتى اسم تلك الأكلة كان غائبا عن ذهني، حتى أنني كلما أعدت نطق هذا الاسم المنغولي انتابتنني قشعريرة في سحايا مخي، وانتصب شعر ذراعي، وأخذت أكررها لنفسي بصوت خفيض وكأنها تعويذة سحرية: بودك، بودك. كانت الوصفة نفسها تشبه طقسا وثنيا، أو طريقة سفلية لفك عمل

سحري قديم، أو ترانيم ينفثها كاهن أعور عابرا بها من ثقب إلى آخر في البعد الزمكاني، كان مكتوبا في الورقة ما يلي:
اصطد حيوان مرموط واقتله، وأفضل شيء لذلك هو أن تأخذ فأسا وتضربه به بين عينيه ثم تذبحه من الحلقوم،

ثم تفصل الرأس وتعلق الجسد رأسيا في المكان الذي تريد.

قم بسلخ فراء المرموط بحذر مستخدما شفرة حادة، واحرص أثناء ذلك على ألا تُحدث أي ثقوب في الجلد، ثم قم بتكسير عظام الحيوان وإزالة الحواشي وقطع العظم الصغيرة من جوفه وذلك بسحبها من فتحة العنق حيث أزيلت الرأس، وإذا قمت بكل شيء على نحو صحيح يصبح لديك إهاب خالٍ من الفراء.

قم بتقطيع الحواشي والدهون وباقي اللحم إلى قطع صغيرة على أحد الألواح، ثم ضع عليها الملح والثوم حسب المذاق المطلوب، ويعتبر هذا هو الحشو، بعد ذلك ضع عددا من الحجارة الساخنة في الإهاب ثم ضع فوقها طبقة من الحشو، ثم طبقة أخرى من الحجارة الساخنة وهكذا حتى يمتلئ البودك مرة أخرى، ثم صب فوق ذلك كله نصف زجاجة فودكا، وليس هذا تقليدا ضروريا.

أعد غلق الإهاب الساخن الممتلئ وذلك بخياطته من حافة العنق مستخدما كابلا أو خيطا غليظا، ثم اشو البودك الجاهز على مشعل قطع (بوري

لحام) حسب التقاليد حتى يصبح الجلد أسود اللون، وتعتبر هذه أفضل طريقة لتطيبب المذاق، ولا يقدم البودك إلا ساخنا، إذ يصبح دهنًا إذا برد، أما الأحجار الساخنة المغطاة بالشحم والتي تُخرجها من جوف البودك مع اللحم فينبغي أن تُقْلَبها بين يديك أثناء تناول الطعام، فهي مفيدة جدا لدورتك الدموية.

يبدأ موسم صيد المرموط من ١٥ يوليو حتى ١٥ سبتمبر. تحذير: يتسبب المرموط (ومعه كل القوارض المنغولية خاصة سنجاب الأرض طويل المخالب) في نقل مرض الطاعون الدُملي، خاصة في هذا الوقت من العام، وفي حالة الإصابة ينصح بتناول التتراسيكلين، ويؤخذ عن طريق الفم، أو الستيربوتوميسين، ويحقن في العضل، ويصعب الحصول على هذين المضادين الحيويين في منغوليا.

قررت أن أسافر على الفور إلى منغوليا، لا، ليس على الفور، إنما أردت أن أسافر بالقطار لأتجول على مهل في هذا البلد، تماما كما فعل الصحفي الكبير "تزيانو ترزاني" Tiziano Terzani قبل عدة أعوام في كتابه "طيران بلا أجنحة" *Fliegen ohne Flügel*، كان هناك القطار يخترق سيبيريا من بكين إلى موسكو ويتوقف في "أولان باتور" *Ulan Bataar*، إلا أنني في بكين لم أستطع الحصول على مكان بالقطار فاضطررت للسفر بالطائرة.

بدت منغوليا من الطائرة فضاء كبيرا أخضر، مروج لا نهائية تتبّعها مروج لا نهائية، لم يكن بالأسفل شيء على

الإطلاق، فقط خضرة غضة خاملة، كان "ترزاني" قد كتب عن منغوليا متسائلا: "تُرى، ما الذي تجلبه هذه الرتبة على الروح؟ شعب يعيش ويحب ويموت في هذا العالم الرتيب، أي شيء يمكن أن يرى في أحلامه سوي الأرواح الشريرة؟" قلت في نفسي: "سَيَرى البودك، أو حيوان المرموط."

أثناء السقوط البطيء على ممرات مطار "أولان باتور" يستطيع المرء بالكاد أن يميز قطعا بيضاء دقيقة من عيش الغراب، أخبرتني الأمريكية الشابة التي كانت تجلس بجواري في الطائرة أنها خيام الـ"جير" Ger، وأن السواد الأعظم من المنغوليين يعيشون في هذه الخيام البيضاء المستديرة، وأنها هي نفسها تفعل ذلك، فهي - حسبما تحكي - تُدرّس في قرية صغيرة من الخيام تقع على الحدود المتاخمة لكازاخستان وتبلغ المسافة بينها وبين أولان باتور ثلاثين ساعة سفرا بالحافلة. كانت تضع على عيناها اليسرى غطاء أسود، وترتدي أوفرول جينز، وتدلّك كلتا يديها جيئة وذهابا ونحن نتحدث سويا، وكانت عيناها اليمنى تبرق مرسله شعاعا أزرق.

أخبرتني أنها منعاملات ضمن "فيلق السلام" Peace Corps وقالت

أنه اتحاد أمريكي ترعاه الدولة أسسه جون كينيدي، يضم مجموعة من الشباب الذين اجتازوا المرحلة الثانوية أو الذين قد أتموا دراستهم ثم تطوعوا لمدة عامين يقدمون فيهما أعمالا خيرية في أي مكان في العالم مقابل راتب رمزي. ذكرتني كلماتها بالشبان الصعاليك Die Gammler والمتذمرين Die Nörgler والطلاب الألمان الباقين في الدراسة

لأعوام طويلة Langzeitstudenten، فسكت وأخذت أشرب عصير البرتقال الخاص بي.

بدأت أولان باتور نفسها مثل برلين-شرقية لطيفة بُنيت بين مجموعات صغيرة من جبال تكسوها الخضرة، كانت الشمس مشرقة، والسماء صافية تشوب زرقتها الداكنة رتوش خضراء. لم يكن في المناطق المحيطة بالمدينة إلا خيام الجير البيضاء وقد تلاصقت جنبا إلى جنب، وكان الطريق الذي يربط المطار بالمدينة يمر على تجمعات الخيام تلك، تتبّعها صفوف متوالية من المساكن سابقة التجهيز، ثم محطة لتوليد القوى تعمل بالفحم وتنفث في السماء دخانا بنيا قاتما، ثم أخيرا قلب المدينة الذي تراصت مبانيه في منظر بهي حول ميدان كبير هو ميدان "زوكباتور" Sükhbataar، كان تيزيانو ترزاني قد وصف أولان باتور قائلا إنها "بالنسبة إليه تشبه لعبة على صورة مدينة أهداها أب سخي لابنه في ليلة عيد الميلاد علامة على حبه إياه."

كان ترزاني محقا، فهناك عدد من المتاحف وبيوت الأوبرا التي شيّدت على الطراز الروسي السائد نهاية القرن الماضي، وعدد من المباني السكنية ذات طوابق ثلاثة تعطي إحياءا بولنديا، بالإضافة إلى بعض البنايات القبيحة المكسوة بالزجاج الأزرق العاكس تنسب إلى ما بعد الحداثة، إن القوة السوفيتية العظمى السابقة قد تركت أولان باتور - فيما يبدو - كأنها داخل لعبة زجاجية من اللعب التي يهزها الصغار في أيديهم قد وضعها أبوان في حجرة الأطفال قبل أن يخلدا إلى النوم. وقد بدا العالم من خلال كرتها الزجاجية المقعرة نظيفا لامع الصورة.

"هنا ربما أمكنني أن أجرب البودك." هكذا حدثتني نفسي وأنا أطلب من سائق التاكسي أن يأخذني إلى أرقى مطعم هناك، ظلت أتمتع "بودك، بودك"، ولم يكن معي سوى ما خف من الأمتعة.

"خان بروي" مطعم خلاب في الهواء الطلق. على أرائك خشبية رأيت مثلها في مقاهي ميدان "فينربلاتس" Wiener Platz بمدينة ميونخ يجلس بعض المنغوليون أمام كؤوس كبيرة ممتلئة ببيرة ذات رغوة، يتكلمون بلغتهم الرخيمة الغنية بالحروف الساكنة، ويتبادلون الحديث في هواتفهم النقالة أو مع جلسائهم على الطاولات المجاورة، وقد وضعت على الطاولة الخشبية الطويلة علبا كثيرة مفتوحة فيها حلوى الـ "توفيفه" Toffifee، من وقت لآخر يضرب أحدهم صاحبه ضربة قوية براحة يده، كانوا بأجسامهم يشبهون الملاكمين السويسريين أصحاب اللكمات الخطافية، كانت بعض الطيور تغرد فوق الأشجار، فجلست حيث يجلس القوم.

تحدثت إليهم بالإنجليزية قائلا: "معذرة على المقاطعة." فرد أحدهم: "No understand. You speak German?"، كان المتحدث يرتدي قبعة صغيرة رغم الحر القائل. اتضح لي أن الجميع يتحدثون الألمانية، وأنهم قد درسوا الهندسة الميكانيكية في ألمانيا الشرقية. رفعت مجموعة من الجالسين أيديهم عاليا مشكلين كُبة، واخذوا يهتفون بعبارات هي: "أخوية!" و "أخوية اشتراكية!" و "مرحبا بك في منغوليا!" ثم رفعوا جميعا كؤوس البيرة عاليا، وناولني المنغولي ذو القبعة الصغيرة كأسا ممتلئة كي أشاركهم الشراب.

سألني أحد المنغوليين: "ماذا تفعل هنا في بلدنا الجميل منغوليا؟ بيزنس؟ صفقات؟ كان الرجل الذي سألني يرتدي

حُلة رياضية ناصعة البياض، مصنوعة من المشمع ومفتوحة من الأمام، لم يكن يرتدي أسفلها أي شيء، ما جعل كرشه البني الكبير باديا للناظرين:

- أنا سائح، وأود أن أتذوق البودك.

- تتذوق ماذا؟

- البودك.

- بودك؟

- نعم البودك.

- آه، البودك.

اكتست وجوهم بتعبيرات تتم عن هيام شديد، بعضهم ابتلع ريقه متلذذاً، والبعض الآخر أدخل إصبعين في فمه وأخذ يلعقهما، أما ذو القبعة الصغيرة فقد أخذ يربت على كرشه.

- البودك يجعلنا أقوياء!

- البودك يعطي طاقة!

- خاصة العينين!

- لكن ينبغي عليك أن تأكله قبل شهر سبتمبر، أي قبل

أن يتكون دهن الشتاء في جسد المرموط.

- لا لا، إنه لا يكون شهياً وسميناً إلا في سبتمبر.

- ليس صحيحاً، لأن اللحم إذا كثر شحمه يصبح لزجاً

وسيء الرائحة.

هنا سأل ذو الحلة الرياضية البيضاء:

- ماذا قلت للتو؟

فقال آخر وهو يطبق على رقبة الثالث:

- فلتقل هذا مرة ثانية!

كان القوم قد نسوا أنني لا أزال أجلس معهم، فقلت متسائلاً:

- معذرة، هل موضوع مشعل القطع صحيح؟

- نعم، صحيح تماما، هذه هي الطريقة الصحيحة للشيء، وهي أن يستخدم المرء مشعل قطع.
- وماذا عن الطاعون الدملي؟
- ضحك الرجال وأشاروا بالنفي قائلين:
- فقط الجبناء والصينيون هم الذين يخشون الطاعون الدملي.

لم يكن هنا في مطعم "خان بروي" إلا أكالات ألمانية، فعلى قائمة الطعام المزخرفة تجد دجاج بالكاري وشرائح لحم محمر، شرائح لحم بالقشدة وسجق بقري محمر، توست هاواي، جبنة الكامبير المحمصنة مع التوت البري الأحمر والتوفيفه.

- إذن في أي مطعم يمكنني أن أجرب البودك؟
- أجابني المنغولي ذو القبعة الصغيرة، والذي يدعى "داشرافدان":

- لا يمكنك الحصول على المرموط إلا خارج المدينة، في خيام الجير الموجودة بالريف، سنرتب لك هذا الأمر غدا، هل أنت مرتبط بشيء قبل مساء اليوم؟
- في الحقيقة لا.
- إذن فلتأت معي إلى الأستاذ الشعبي، فهناك حفل موسيقي، وأنت ضيفي.
- نعم، بكل سرور، ولم لا؟ ولكن أي نوع من الحفلات هو؟

- اليوم سيغني "دي جاي بوبو" DJ Bobo.
- وهكذا ذهبت أنا وصديقي المنغولي الجديد داشرافدان إلى حفل "دي جي بوبو" في أولان باتور.
- في ساعة مبكرة جدا من صباح اليوم التالي دق جرس الهاتف بجوار سرير في الفندق، كانت ليلة أمس مجهدة

جدا، إذ استمر داشرافدان يشرب ليترات من لبن الخيول
المخمر، وأصر أن يرقص مع كل وصلة رقص للفنان
السويسري، وحضر الحفل قرابة الثمانية آلاف منغولي، كان
صياحهم يصم الأذان كلما عرض دي جي بوبو وصلة من
وصلاته الخاصة على المسرح. كانت الساعة في المنبه
٥:٤٥، وكان جسمي يؤلمني:

- ألو؟

- صديقي! أنا داشرافدان. فلتأت إلى البهو، فأنا قد
استأجرت سيارة.

- في هذه الساعة؟

- نعم، بالتأكيد يا رجل، فلتنظر من النافذة.

وضعت السماعة ولففت نفسي في ملاءة سرير الفندق

وخرجت إلى

الشرفة. فإذا الشمس مرتفعة في السماء قليلا، والنهار في
صيف منغوليا القصير طويل قائظ، كان داشرافدان يقف
أسفل الشرفة في بهو الفندق وأمامه سيارة مرسيدس بلون
الكمثرى وهو يلوح لي بيده. وإلى جواره وقف رجل أكثر
ضخامة منه يدخن غليوناً، وامرأة قصيرة جدا بدت عابسة
الوجه. ناداني داشرافدان:

- فلتأت، سنذهب لنأكل البودك! هيا أسرع!

شد داشرافدان على يدي وهوى بضربة قوية على كتفي
حتى كدت أنبطح على وجهي، ثم قدم لي السائق الذي ضرب
غليونه في كعب بيادته اليسرى ليفرغه مما فيه، وقدم بعده
السيدة "أوتجونباير" التي ستأخذنا إلى أكلة البودك في
الريف، أما داشرافدان نفسه فقد اعتذر عن المجئ معنا بسبب
شيء ما يتعلق بلبن الفرس لم يفهمه هو نفسه بالضبط.

كانت مقاعد المرسيديس-١٩٠ مغطاة بكسوة بيضاء، وكان الكشف الأيسر محطما، جلس السائق الذي يدعى "بَطًا" في الأمام وإلى جواره السيدة أوتجونباير، وجلست أنا في المؤخرة، انطلقنا عبر ضواحي المساكن الجاهزة التي تشع في شمس الضحى باللونين الأبيض والأصفر، كان هناك صبيان صغار يجلسون على مصدات الطريق الجانبية ويلوحون لنا بأيديهم وأنوفهم مندسة في أكياس من البلاستيك مملوءة بمادة محللة.

أشارت السيدة أوتجونباير قائلة: "هذه هي الضواحي." حاولت أن أمزح فأشرت إلى الصبيان الشامامين قائلا: "وهؤلاء هم ثمار الإشتراكية."

همهمت السيدة أوتجونباير: "ممم!" وأوتجونباير تعمل موظفة في مكتب سفريات شبه رسمي اسمه

"يولخين"، وهي شيوعية حتى النخاع، شعرها قصير قاتم اللون، وترتدي نظارة ثنائية البؤرة تخفضها كلما وجهت حديثها تجاه المقعد الخلفي كي تضيفي على كلماتها نوعا من التأكيد، درست في فترة الشيوعية هندسة التعدين في مدينة "بيكاتيرنبورج" Ekateringburg - إحدى مدن الكيان الفدرالي السابق في روسيا "سفيردلوفسك" Swerdlowsk - وهي تعمل الآن مرشدة سياحية، قالت لي في حزم:

- هؤلاء بالأحرى هم ثمار الرأسمالية، فقبلها لم يكن هناك شيء مثل ذلك.

- ممم.

خرجنا من المدينة لنجد أنفسنا فجأة محاطين بأرض واسعة مفتوحة، على جانب الطريق ترعى قطعان من

الماعز، وفي الأفق تستطيع العين أن تميز ملامح قطيع من الجمال يختفي حثيثاً وراء تلال خضراء رقيقة.

أخذ السائق بطا يترنم بأغنية ما، مصدراً من حنجرته أصواتاً مثيرة للانتباه، نغمة عالية تصحبها في الوقت نفسه نغمة عميقة ذات رنين، قالت السيدة أوتجوناير إنها أنشودة حنجرية منغولية تسمى "هومي" Höömij، وتحكي هذه الأغنية عن اثنين من الرعاة يحبان امرأة واحدة، وهي أغنية - كما يقول بطا - تغنى في الأسفار الطويلة المملة لكي لا تأخذ المرء غفوة، كان وقعها على الأذن طيباً، غير أنها مملة جداً ومنومة تنويماً مغناطسياً، وضعت أصابعي بين الصفحات التي كنت أقرأها من كتاب عن حياة البارون "رومان فون أونجرن-شتيرنبرج" Roman von Ungern-Sternberg، واستسلمت للنوم.

بطا الذي كان سائق دبابات في الجيش المنغولي، أو كما يقول Tankist، ظل ينعس هو أيضاً طوال الطريق، كانت السيارة المرسيديس تنزلق يمينا ويسارا فيرفع بطا رأسه ويغنى أغنية حنجرية أخرى لمدة دقيقتين ثم تعود أجفانه لتسقط مرة أخرى، انتهت فجأة صائحا: "احترس من فضلك!"، كنا في هذه اللحظة نمر فوق جسر قَبَعَت تحته سيارة جيب سقطت من فوقه، وبدا وكأنما أدركت سائقها غفوة.

رد بطا:

- أنا أتظاهر فقط بالنوم.
- ولم تفعل ذلك؟
- لا تقلق أبداً، فأنا سائق دبابة سابق.

- لكن الدبابات يمكنها السير في كل مكان، أما السيارات فلا، إذ من الممكن أن تتقلب.
وجب علينا منذ تلك اللحظة أن نبقى "بطا" مستيقظا، كانت الشمس قد حميت فوق الإستبس الأخضر، والسيارة منطلقة بسرعة ثابتة تبلغ ثمانين كيلومترا في الساعة، والجراد يقفز بداخلها عبر النوافذ المفتوحة، قلت مخاطبا السيدة " أوتجونباير:

- سيدة أوتجونباير، ألا تقولين شيئا عن ذلك؟

أجابتي قائلة:

- في رأيي أننا نكره الصينيين. ثم عادت لتغفو من جديد.

تناول بطا أحد أشرطة الكاسيت من داخل كيس بلاستيك، وأدخله في جهاز التسجيل، فجأة انتبهنا جميعا، فقد كانت موسيقى "بوني إم" Boney M. العظيمة، بدأنا جميعا نغني ونحن نتوغل في الفضاء المنغولي اللانهائي كيلو مترا بعد كيلو متر، غنينا سويا "Ra-ra-Rasputin"، و"Ma Baker"، و"Sunny"، و"!"Hooray! Hooray! It's a holi-holi-day!"، و"Rivers of Babylon". بدا أن هناك شيئا ما يعجب المنغوليين في هذه الأعمال العالمية لـ "فرانك فارين" Frank Farian، وقد حاولت أن أوضح لبطا والسيدة أوتجونباير أن عاملتي نظافة من "سارلاند" Saarland تعملان لدى "فرانك فارين" كانتا تغنيان كل الأغاني في الحقيقة، وأن الفرقة كلها لم تكن سوى خدعة، إلا أنني تلعثمت كثيرا في شرحي لهما، حتى أسكتاني في النهاية بإشارة من يديهما غير مهتمين.

التهم الاثنان كميات كبيرة من حلوى التوفيفه بينما كنا نمر

على

أحد حواجز شرطة المرور التي لم تكن تفتش سوى السيارات القادمة من الاتجاه الآخر عائدة إلي أولان باتور، وكان هناك رجالان عند الحاجز يرتديان معاطف طبية وكمامات، استدرت نحوهما لكن كنا قد ابتعدنا عنهما كثيرا:

- عن أي شيء تفتش الشرطة؟

- أخ! يبدو أن هناك مرضا ما تفشى من جديد.

أجابتنى السيدة أوتجونباير وهي تمضغ توفيفه قد امتلأ بها فمها، مضى وقت طويل جدا قاربنا فيه على المساء، إلى أن وصلنا معسكرا عبارة عن مجموعة من الخيام البيضاء، أوقفنا المرسيدس أمام المعسكر واتجهنا إلي الخيام، وقد حظيت أنا بجير رائع كبير نزلت فيه وحدي، كان جوه باردا برودة لطيفة، وكانت كل الخيام مصنوعة من اللباد بحيث تكون باردة في الصيف، دافئة في الشتاء، أخذت أشرب علبة "دايت كولا" أحضرتها معي من أولان باتور، وجلست في مدخل خيمتي أرقب كيف تهوى الشمس ببطء وتغمر المراعى بأشعة ذهبية، مرّت عليّ عنزة صغيرة سوداء فسقيتها بعض الدايت كولا وأعطيتها شيئا من جبن مطبوخ وجدته معي بالصدفة.

أخذت أفكر في تلك العلاقات المدهشة الموجودة في العالم وكيف أنى هنا وسط مراعي الإستبس بآسيا الوسطى أطمع عنزة منغولية قطعة من الجبن السويسري المطبوخ، وكيف أن هذا الجبن مصنوع من حيوانات هي أبناء عمومة لهذه العنزة، ثمة دورة حيوية لمنتجات الألبان، بدا لي فجأة أن الأشياء كلها ترتبط فيما بينها بصلة قرابة، وتتألف مع بعضها أشد التألف، وتُمثل دائما جزءا من كل لا يتجزأ، وبينما أنا

داخل في تأملاتي إذ ببطا يدخل خيمتي ويسألني إن كنت أود رؤية البودك مساء اليوم .

كان بطا قد أحضر معه راعيا صغير السن قدم نفسه باسم "أرومبالت"، ذهبنا سويا إلى خيمته وتعرفتُ على زوجته وابنه الصغير الذي ألبسه والداه ثيابا كان واضحا أنها ثياب فتاة، فكان يضع حول رقبتة سلسلة صغيرة من لآلئ بلاستيكية، ويرتدى فستانا صغيرا وقرطين للأذن.

شربنا لبن فرس مخمر ذا مذاق ملحي مكربن، وأكلنا كسرات صلبة مقرمشة بُنّية اللون مصنوعة من زبادي رائب ومجفف يسمى "أرول"، إن كل شيء هنا لذيذ جدا.

كانت زوجة أرومبالت قد زينت الجير بملصقات عليها صور بطات والت ديزني الشهيرة "تيك" و"تريك" و"تراك" Tick, Trick Track، والكلاب المشاغبة Beagle Boys، ووضعت على مذبح منزلي صورة "الدلاي لاما"، وسط الخيمة يوجد فرن كبير يسخن على ناره الهادئة دن كبير فيه لبن، والابن الصغير يحبو على أرض الخيمة وهو يلعب البلى بقطع التوفيف التي أحضرناها معنا.

تحدثنا عن قطعان الماعز وعن الصيف الذي كان حاميا هذا العام، كما تحدثنا عن الشتاء الرهيب قبيل عامين والذي تجمدت من برودته حيوانات كثيرة من القطيع بالرغم من أن كلب "أرومبالت" الأسود الكبير كان يبقئهم ملتصقين بعضهم ببعض، كانت جلسة طيبة والجيران يمرون على الخيمة ويدسون رؤوسهم عبر فتحتها يلقون التحية ثم ينصرفون، وخارج الخيمة تصهل خيول أرومبالت وهي تحك حوافرها في سياج الحظيرة برفق.

كدت أنسي البودك، فرغم أن الجلسة عند أرومبالت كانت هادئة ومريحة، إلا أن بطا كان خارج الخيمة يفعل شيئاً ما في هذه الأثناء، ثم دعانا لنخرج إليه وقد بدأ الظلام يحل.

في ضوء ضعيف منبعث من مصباح كهربى، ومع آخر أشعة ترسلها الشمس تناول بطا حيوانا من القوارض ووضعه علي حامل خشبي وأخذ يشق بطنه بسكين، لم يكن هذا الحيوان يشبه المرموط، دنوت من "بطا" قليلا فرفع ناظره إليّ وغمز بعينه مبتسما ثم قال: "ليس البودك إلا كابوسا، تعرف؟ ليس إلا روحا شريرا." ثم ألقى بالحيوان مشقوق البطن

علي الأرض.

أخذ كلب أرومبالت الأسود الكبير ينهش جسد السنجاب وهو سعيد، كان

فراء الكلب سمىكا مليئا بأشواك الأرقطين، المساء صيفى دافئ، والفئران تملأ الإستبس، والكلب يسحب بيوزه هذا الشيء الصغير وينهش منة قطعة بعد قطعة لكن بحذر، ثم عمت الظلال السوداء.

obeikandi.com

هوبارد

مسرحية/٢٠٠٦

شخصيات المسرحية حسب الظهور

المنادي

سفين

لودفيك

جونتر بروفيت

كارل فون زيمنس

أوشو

البارمان (عامل البار)

الرجل ذو البيريه

السائح العاري

كاتسيمير: فدائي بولندي

فيم فينדרز

جُرْدا بروفيت

ساحرة المُنْتَرَه

مَمُون: إله المال

برونو كلوستر: مالك الجاليري

هورست كولر

مخنث هَرَم يرتدي ملابس النساء

(ملاحظة حول العرض: يجب أن تتمتع خشبة المسرح ببناء متناسق إلى أقصى حد.)

مشهد افتتاحي

(ضوء في منتصف خشبة المسرح المظلمة، مُنادي يلوح بيده تلويحا شديدا مبالغا فيه، المُنادي رجل أشقر، جفنا عينيه مكحلان بظلال تركوازية اللون، يرتدي صديري من الجلد خيطة فيه رقع توحى بفقر مصطنع، يعلق على حزامه جلاجل نحاسية تصدر قعقعة مع كل حركة من حركاته.)

المُنادي: عريضة! عريضة! نريد عريضة!
(من يمين المسرح تساق عشرات من ماعز تشتعل فيها النيران، ثم ظلام مرة أخرى.)

(المسرح مضاء. تسير عليه مركبة صفراء ضخمة ليست بعيدة الشبه عن عربة إصلاح قضبان السكة الحديد، مكتوب على جانبها بحروف سوداء "تيزا" Tesa، وعليها يُسَطَّح عدد من الأطفال يرتدون ثيابا مهلهلة ويشمون مادة لاصقة من كيس بلاستيك في صمت وبعيون متسعة شاكية.)

١

(حجرة في قلب برلين، صباح باكر، أريكة، أرفف كتب، منضدة، جهاز كمبيوتر، أمام أرفف الكتب مرتبة يتمدد عليها لودفيك بين النوم واليقظة، يدخل سفين مرتديا لحية وشعرا

مستعارا شعثا، وبين اللحية والشعر تضاد في الشكل
والحجم.)

سفين: فلتسمع هذا!

(يعزف سفين لدقائق طويلة نغمات السلم الموسيقي على
آلة الساكسفون، مصدرا نشازا لا يحتمل. ثم يلقي بالساكسفون
على السرير في غضب.)

سفين: لن أصبح أبدا عازفا جيدا مثل "ميلز ديفيس".
لودفيك: انتبه معي: صراعات، لا شيء سوى صراعات،
كل يوم تتجدد، أعمال عنف ضد أعمال عنف، يوميا دون
خجل، الأسلحة تدور في الكرة الأرضية، لا تتوقف في أي
مكان، تسحل، تقتل، تغتال، تبعث في الأجساد برودة الموت،
كلها ممارسات لا معنى لها، تربك، تجلب البؤس، تجعل
الصغار يعانون بلا ذنب، يتضورون جوعا مشتهين الخبز،
صراعات، لا شيء سوى صراعات، كل يوم تتجدد، أعمال
عنف ضد أعمال عنف، يوميا دون خجل.

سفين: وماذا بعد؟ هل هناك أخبار من مجلة "فاندلر"؟¹

لودفيك: قد رُفضت القصيدة، كما رفضت باقي الأشياء.

سفين: لقد حلمت بـ "سلفيو" مرة أخرى، كنا معا في
المسرح، وبعد حوالي نصف ساعة تقريبا ظهرت عليه
الأعراض، كانت صورة مرعبة، في البداية ارتسمت على
وجهه ابتسامة شامتة، ثم بدأت أعضاؤه ترتعش بلا توقف،
وأخذ يهذي بكلام فارغ، قال أنه يريد أن يحطم التلفاز،
ويطرد الروح الشريرة، ويجلب علينا الموت، كان مرعبا
حقا.

¹ Wandler هي مجلة أدبية نصف سنوية تصدر مطبوعة وإلكترونية على شبكة المعلومات الدولية.
للمزيد انظر الموقع التالي: <http://literaturwelt.de/wandler> (المترجم)

لودفيك: مادمننا لا يمكننا الوصول إلى المجد هنا فلنسافر إلى بولندا، وربما كانت فكرة جيدة أن نرسم هناك وشما على أجسامنا.

سفين: لكن من أين نحصل على إرشادات عن الحجز بالفنادق في بولندا؟ وعن المطاعم الجيدة، والحفلات، ومن أين لنا بنصائح عن أفضل أطباء الأسنان، وعمليات التجميل، ورسوم الوشم، وإصلاح السيارات، والدهانات، وعن فرش جلدي جديد ومتميز لسيارتنا؟ أتعرف! نستطيع أن نطلب هناك عقارات بسعر مناسب، إنها حقا حلول بسيطة موفرة للمال.

لودفيك: ليس من وراء هذا طائل، نحن في حاجة إلى الإلهام. ألم تكن بالأمس في المسرح، ما الذي جرى بالضبط في المسرحية؟

سفين: انتبه معي، كان هناك ظلام دامس، ثم ظهرت في هذا الظلام شجرة يجلس عليها قزم يلوح بيده، ثم جاء فأر ألي ضخم وأخذ يجري على خشبة المسرح من اليسار إلى اليمين، كان مصنوعا من الورق.

لودفيك: في الحقيقة هذا عرض متطرف نوعا ما. سفين: كان الناس مصدومين جدا، وبعضهم انصرف محتجا بعد خمس دقائق، وكان هذا جيدا.

لودفيك: أعتقد أننا إذا أردنا أن نفعل شيئا يمكن أن يقارن بذلك فيجب علينا أن نغوص إلى أعماق أرواحنا.

سفين: لدي هنا "ليكوبوديوم"، حصلت عليه من مُعالجة روحية.

لودفيك: أرني! ...كم يبلغ ثمنه؟

سفين: انظر! إنه يباع في حقيبة جلدية خاصة، حقيبة "صمويل هانيمن" الجلدية.

لودفيك: فلنبدأ بجرعة ثلاثية منه! هل هذا ممكن؟

سفين: يستطيع المرء أن يرفع الجرعة حتى اثني عشر قرصاً.

لودفيك: حسناً، أعطني ثلاثة! لا، أعطني مائة!

(يمضغ الاثنان الأقراص الصغيرة.)

سفين: هل تلاحظ أي شيئاً؟

(يتمدد لودفيك على الأرض بطريقة مسرحية متكلّفة.)

لودفيك: كيف تشعر أنت يا سفين؟

سفين: أنا لا أستطيع أن أتحمل أي معارضة، يخرجني الغضب بسرعة عن طوري. متكبر. ديكتاتوري، أتحدث بنبرة أمرة. سيء الظن، مرتاب، لؤام. عندي نفور من الحديث، اشمئزاز من الحياة، أفكار تدعو إلى الانتحار.

لودفيك: وأنا خوّاف، أنتفض كلما سمعت خشخشة. مرهف الحس، سهل التأثر، أبكي عندما يشكرني أحد. حائق، غاضب.

سفين: لا تدع موضوع فاندلر يعصر قلبك! فاندلر ليست هي المعيار.

¹ دواء على هيئة أقراص أو شراب ويستخدم في العلاج التجانسي Homöopathie، واسمه يشير إلى نبتة عشبية تسمى رَجُل الذنب، ويعالج كثيراً من الأمراض بناء على نظرية الطب التجانسي، ومن الأمراض التي يعالجها الأرق والاضطراب والمشاكل الجنسية عند الرجال. (المترجم)

لودفيك: ولكنني أتابع الأحداث في وسائل الإعلام، وأدونها في أشعار، أنا ناقد للعصر بشكل دائم، ثم بعد ذلك لا أجد سوى الرفض، ولا شيء سواه.

سفين: حتى موضوع الكلب؟! موضوع "قهقهة"؟! لودفيك: نعم نعم، لم يكن ملائماً لأطروحات "فاندلر". سفين: فلنقرأها عليّ مرة أخرى، أرجوك! لودفيك:

كلب مربوط بسلسلة طويلة سيقانه غليظة وغير مستقيمة وله فوق ذلك ذيل خانس ويحب أن يدعى باسم قابله آخر بفتلة قصيرة "فرانتس" آذانه كانت كبيرة منتشرة معلقة بيد فتاة صغيرة فجأة استلقى الكلبان على القفا وكان مولودا ولادة مبتسرة فدوّت قهقهة من كل من كان واقفا

سفين: نعم نعم، هي هذه.

لودفيك:

فهم ما رأوا شيئا كهذا مطلقا لذا تَسَمَّروا وأعينهم محمقة ولم يسعهم إدراك هذي المسألة وجاء مسعفون بأطواق مجلجة لإنقاذ الكلاب كثيرة العدد ولم يكن إذ ذاك الليل قد امتد

(صمت طويل لا يكاد يُحتمل)

سفين: إيه!

لودفيك: ماذا؟

سفين: لودفيك! إن هذا كله تقليدي جدا. يجب علينا أن نتعلم كيف نخرج عن المألوف. يجب أن نقوم بمغامرات فنية بألوان مبهرة، فيها نقد وسخرية وعريضة، يجب أن نستولي على فرشاة الرسم، وأن نحدث عواصف فكرية عاتية، ونثير أعاصير من السعادة التجريبية.

لودفيك: أتعني أننا يجب أن نكون أكثر تطرفاً؟

٢

(ظلام. تبدأ الموسيقى، ومعها تزداد الإضاءة تدريجياً بشكل غير ملحوظ. لودفيك وسفين يستلقيان تحت عجلة دوارة منوَّمة مغناطيسياً، ينهضان ببطء من أرضية خشبية المسرح وهما يؤديان حركات إيقاعية راقصة، يستمران في الارتفاع عن الأرض حتى يصل رقصهما مع القطعة الموسيقية إلى ذروة الانفعال، وتزداد في الوقت نفسه سرعة دوران العجلة.)

لودفيك: سأعلم حالاً ما هو اسمي، فلتعطني المزيد من الليكوبوديوم.

سفين: تفضل! أنا أحس بسخونة شديدة.

لودفيك: نعم، إنها الحمى.

سفين (مؤدياً حركات فانتاز ماجوريا^١): إنها فكرة جيدة أن نرسم في بولندا وشما على أجسادنا.

(يظهر أوشو: مبتسماً، بأيدي مطبقة، ينشر البركات وهو يومئ في لطف، له لحية رمادية طويلة جداً، ملتف برداء أبيض.)

أوشو: بريد من أوشو.

سفين: نعم.

أوشو: أنت اسمك بيبو^٢.

لودفيك: وأنا؟

أوشو: عجولة هي روح الرجل.

^١ تصوير أشباح. (المترجم)

^٢ إحدى شخصيات عالم سمسوم وهو طائر أصفر رفيع المنقار يشبه البطة. (المترجم)

(يندفع على المسرح ثمانون بيبو أصفر، يرقصون رقصة الكانكان^١ التقليدية فيما يشبه الباليه، يواصلون الرقص مع أوשו المبتسم في حنو.)

لودفيك: واسمي؟ هل تعرفه يا سفين؟
سفين: اسمك أشانتانيا.

لودفيك: هيا بنا نذهب إلى الـ"فار-أوت"^٢، هل من الممكن أن تعيرني حذاءك الأبيض؟

سفين: أيهما؟ المضفر أم الإيطالي الأنيق؟
لودفيك: سيان، المهم أن يكون أبيض.
سفين: ها هو، تفضل. هو لك.

(يرتدي الاثنان الآن ثيابا بيضاء مكونة من سروالين وقميصين وحذاءين، ومكتوب بالإنجليزية على ظهر القميصين "إملأني!" (Fill me up))

لودفيك: إن لدينا هدفا، ونود أن نوضح الكثير.
(تُزال العجلة الدوارة من المسرح بواسطة أحد العمال، يصبح الضوء أبيض، تبدأ شاشة بيضاء في الإنارة، ضوء نيون أبيض في كل مكان، ينتشر بعض الطبالين على المسرح وهم في حالة انتظار.)

لودفيك: أين نحن؟ هل هذا هو الـ"فار-أوت"؟

كارل فون زيمنس: هنا طبول البدر، نريد أن نحیی القمر معا.

(يأخذ لودفيك وسفين طبلتين صغيرتين قدمهما لهما عازف بوق كان يعزف هو جالس على الأرض في وضع

^١ رقصة الـ Cancan هي رقصة شهيرة ذات مغزى جنسي، كانت تعرض قديما في الملاهي الليلية، وفيها تتراص الراقصات في صفوف ويرفعن إحدى أرجلهن عاليا حتى يظهر ما بين أرجلهن من ملابس الداخلية. (المترجم)

^٢ Far-Out هو ملهى ليلي في مدينة برلين. (المترجم)

القرفصاء. يجلس الاثنان إلى جانب باقي الشباب الذين ينتظرون بطبول صغيرة كذلك.)
سفين: لقد ضيِّع هو أيضا الفرصة على نفسه لأن أفقه محدود جدا، يعجز أن يتعرف على الفنان العبقري.
لودفيك: إملأني.

(برنة جرس يبدأ الجميع في قرع الطبول بصوت خفيض، تبدأ أغنية من نوع "تكنو ترانس" Techno-Trance، يرقص كارل فون زيمنس على خشبة المسرح حافي القدمين، وفي يديه سيوف ضوئية كالتي في أفلام "حرب النجوم" يؤدي بها رقصة سيوف ضوئية يفسرها المشاهد كما يشاء.)

كارل فون زيمنس: تعالوا! دوروا! تعالوا جميعا! تعالوا!
(شيئا فشيئا يحتوي كارل فون زيمنس كل الطبالين في رقصته، يرقص لودفيك وسفين معه أيضا، عندما توشك المقطوعة على النهاية يغادر كل الطبالين خشبة المسرح ويتجه لودفيك وسفين إلى البار منهكين من الرقص، هناك إضاءة أسفل البار كما في بار "ذا شايننج" The Sheining في "ستانلي كوبريكس" Stanley Kubricks.)
لودفيك: كان هذا فظيعا، مخيلة كئيبة، ليس فيها فن حقيقي حسب رأيي.

سفين: نعم صحيح، تنقصها المادة، ربما يمكننا ما هو أفضل، ربما نستطيع أن نكون مؤلفين مسرحيين، ربما نستطيع أن نحدث ثورة في المسرح، وأن نصدم الجمهور.)
لودفيك: والصحافة.

سفين: تقريبا كالآتي. المشهد الأول: عربي من قوات العاصفة¹ Waffen-SS يرتدي عمامة، يجبر أساقفة ألمان على كنس الشارع بفُرش أسنان وهو جاثون على ركبهم.

لودفيك: هذا جيد يا سفين، هذا جيد. المشهد الثاني: ثلاث فتيات ليل هائجات يخرجن من ملهى نهاري، يرفعن تنوراتهن القصيرة جدا، يستلقين على خشبة المسرح ويُلن. سفين: المشهد الثالث: زنجي يغتصب يهوديا أرثوذكسيا في "برنتسلاور برج" Prenzlauer Berg.

لودفيك: المشهد الرابع: شخص مبتور الأطراف معاق ذهنيا يوضع على المسرح داخل عربة يد بعجلة واحدة ويظل يصيح طوال الوقت مرة على "إنجيلا ميريكل"، ومرة على كلبه.

لودفيك: تابع! المشهد الخامس: أطفال روضة يرقصون في دائرة حول نافورة دم وهم ويؤدون تحية هتلر العسكرية. سفين: المشهد السادس: رجل على المعاش يجلس على أريكة في حديقة عامة ويمارس العادة السرية، بينما يفتت بجانبه مراهقون متدمرون قطع كرواسو.

لودفيك: المشهد السابع: إلى جوارى امرأة حامل تنفجر مشيمتها، رجلان يستمئنان بأيديهما، ثم تلد المرأة طائرا ميتا. سفين: المشهد الثامن: اثنان من المثليين يخطفان "سوكس" قطة "بيل وهيلاري كلينتون" ويهيناها، وبعدها يغتصباها يلقون بها ببساطة.

¹ قوات العاصفة Waffen-SS اسم فرق عسكرية نازية مسنولة عن الكثير من جرائم الحرب النازية، ويسمى البعض فرق الموت. (المترجم)

لودفيك: المشهد التاسع: رجال شرطة يباغتون سياسيا وهو يُلبس حفاظات في حجرة أطفال، ويُرش على جسمه كله بودرة أطفال جونسون & جونسون.

سفين: المشهد العاشر: في النهاية تبقى خشبة المسرح خالية إلا من كشاف ضوء واحد يظهر رجلا هرما مخنثا يرتدي ثيابا نسائية ويغني أغنية حزينة، باللغة الأسبانية. ثم يزيل عن وجهه الزينة والدهان.

لودفيك: شيئا يشبه الإحساس بدنو الأجل، هذه خاتمة مبدعة جدا. يا بارمان! هل لديك سجع أو ثعابين بحرية، أو موز؟

سفين: أو نماذج مصغرة لغواصة بحرية؟ عامل البار: أهلا بكما عندنا في "فار-أوت"، تحصلون هنا على إرشادات مفيدة عن الحجز في الفنادق، وعن أفضل المطاعم، وعن الحفلات، بالإضافة إلى نصائح عن أفضل أطباء الأسنان، وعمليات التجميل، ورسم الوشم، وصيانة السيارات، والدهانات، وفرش جديد ومتميز لسيارتكم. ويمكن أيضا أن ندلكم على عقارات بسعر مناسب. لدينا حلول سهلة وموفرة للمال.

سفين: ولديكم مسرحيات جنسية هابطة بحق؟

عامل البار: هل أنت جديد في برلين؟

سفين: وهل تُعرض هذه في برلين؟

لودفيك: نعم.

عامل البار: هل لي أن أناولكما قائمة الطعام؟

لودفيك: سيفتح الآن في الحديث شيئا فشيئا، لأننا سنطلب في الحال طلبات كثيرة جدا بحيث يمكن للمحل أن يمول نفسه من خلالنا فقط.

سفين: أود شيئاً حلوا!
لودفيك: شاي كاموميل^١.
سفين: نعم.

عامل البار: إذن واحد شاي كاموميل.
لودفيك: وأنا سأخذ فقط شريحة كبيرة من اللحم بدون أي إضافات، هل هذا ممكن؟ فقد بدأت للتو رجيماً أتبع فيه نظام الامتناع عن أي كربوهيدرات No-Carb-Diät.
عامل البار: ألا تأخذ معه أيضاً طبقاً من السلطة بالخل والزيت. لأنه عندما تقوم برجيم يتبع نظام الكربوهيدرات المنخفضة Low-Carb-Diät يستطيع الجسم أن يحرق اللحوم بشكل أفضل، وهذا ما يسمونه الـ Glyx-Diät.

سفين: الـ Glücksdiaät^٢.
عامل البار: ألا تعرف الـ Glyxdiät. عندما تأكل قطعة من اللحم، يرتفع معدل الأنسولين.
سفين: لقد رأيت حلماً الليلة الماضية.
لودفيك: كابوس.

سفين: رأيت مبنىً ضخماً عالياً فيه حجرات كثيرة، كنت أضطر دائماً إلى فعل شيء ما قبل أن أدخله، لذا اقتلعت دلفتي النافذة، دائماً ما كنت أعبث بشيء، ولست أدري إن كان هذا ضرورياً للدخول أم للخروج. ثم عدت فثبتت الدلفتين مرة أخرى، في ساحة العيد كانت تجري أحداث مشاهد كثيرة في صورة قصص لا رابط بينها.
(يقلب عامل البار عينيه وينصرف.)

^١ عشبة طبية تسمى البابونج (المترجم)

^٢ كلمة ألمانية مركبة تعني "رجيم الحظ" أو "رجيم السعادة" (المترجم)

سفين: لا أتذكر من هذه المشاهد إلا القليل، ولا يحضرني ترتيبيها، بعض مزاولي مهنة الطب كان عليهم أن يجتازوا امتحانا، لم يكن امتحانا في الطب، بل كان عليهم أن يقرءوا غصون أشجار الفاكهة، ويبدو أن الرقابة عليهم كانت سيئة، كان هناك أيضا شيء يباع له علاقة بالسيارات.

لودفيك: بي إم دابليو؟

سفين: نعم، لم أعد أتذكر بالضبط. عموما كانت السيارات بيضاء، لا أعلم أكثر من هذا.

لودفيك: حاول! يمكنك ذلك.

(يبدو سفين كأنما يدخل نفسه في حالة غيبوبة، تَرِفُ عيناه، ينحني إلى الأمام بشكل غير طبيعي.)

سفين: مبنى، مبنى كبير، مبنى اجتماعات، مبنى شركة، بهو، خشب، خشب جميل، قديم بعض الشيء، فتحة سوداء، قبو، بئر، غطاء على القبو، برودة، أقدام باردة، أقدام يتصبب منها العرق، رائحتها غير كريهة، قلب، خفقان متكرر في القلب، مَرِح كابين خمس عشرة سنة، ثمان عشرة سنة، عيد، طعام، حانة، مخمورون، موسيقى، لون، بعض مزاولي الطب، أموال، أموال كثيرة، خوف من لصوص، ارتباك، فوضى، هرج، عين يسرى، ناحية يسرى، جريمة، ينبغي أن تخفي، تَسْتُر على الجريمة، يُضبط أثناء التقاط المال، لا شيء يهتم، لم يعاقب، مرهق، يستريح بعدها، عطس، سعال وقت الصباح، زكام، سفر على جانب واحد، الطريق الصحيح، الحدود، وصلة بين القلب والمعدة.

لودفيك: الحدود.

(لودفيك وسفين يدفعان عربة أطفال لونها أزرق قاتم عبر أحد كواليس برلين، تمرق بجانبها حمامة مربوطة في خيط "دوبارة".)

سفين: جارنا في بلجيكا كان لديه أكوام من هذه في مسكنه، أشياء سميئة جدا، بشكل مقيت، ثم أصيب ببربو الحمام.

لودفيك: اضطروا آنذاك أن يطهروا عشش حمام كثيرة بالدخان، في مدينتي "جنت" Gent و"أنتفرين" Antwerpen. سفين: زعموا أن أعمدة الدخان كانت ترى من ولاية سكسونيا...

لودفيك: ... هل اتصل بك المدير حقا؟

سفين: نعم.

لودفيك: ثم؟؟

سفين: قال المدير أن فكرة العربي من قوات العاصفة، وفكرة المرأة الحامل وكل الأفكار الأخرى التي كانت عندنا، شوهدت على المسرح على الأقل أربعين أو ثمانين مرة بالفعل.

لودفيك: في مسرحه؟

سفين: لا، في كل مكان وباستمرار، في العالم كله، في كل

المسارح.

لودفيك: هل قال لك هذا شخصيا؟

سفين: لا، عن طريق رسالة قصيرة بالهاتف SMS.

لودفيك: على كل حال المهم أنه رد.

سفين: في الحقيقة كانت فقط مساعدته.

لودفيك: السيدة "مالكوف" في الحقيقة سيدة في غاية اللطف دائما.

سفين: لكنها قالت هذه المرة أننا ينبغي ألا نتصل بهم ثانية.

لودفيك: حتى بعد ثلاثة ملايين سنة؟

سفين: لا أدري، نحن في حاجة ماسة للتفكير في شيء جديد، فالمسرح فن عفا عليه الزمان، وبالغ الناس في تقديره.

لودفيك: هل قرأت التصنيف الجديد في مجلة "ذي آرت" The Art؟ أوردت قائمة بأسماء الفنانين الأكثر ثراء في العالم كله. هل تعلم من الذين احتلوا المراكز من واحد إلى عشرة؟

سفين: لا. بيل جيتس Bill Gates؟

لودفيك: ليس سيئا.

سفين: ستيفن سبيلبرج Steven Spielberg؟ ريك

أستلي Rick Astley؟

لودفيك: لا. إنهم فقط رسامون. لوحات زيت وأكريل وأكوارييل.

سفين: الرسم. الرسم. هل تعني أننا يجب أن نصبح رسامين؟ ممم! لكننا لم ندرس أي شيء عن الرسم.

(في هذه اللحظة يمران على محل لبيع مستلزمات الرسم

اسمه "بوب روس" Bob Ross).

لودفيك: هل تعرف مدرسة "بوب روس" في فن الرسم؟

سفين: كلا.

لودفيك: انتبه معي! نريد أن نرى إن كان بوب روس موجودا أم لا.

(يفتح الاثنان بابا من الورق المضغوط).

جونتر بروفت: مرحبا!

لودفيك: لدي سؤال في غاية الغباء.

جونتر بروفت: تفضل!

لودفيك: هل بوب روس هنا الآن؟

(يتفرج سفين باهتمام على اللوحات. وكلها عبارة عن

صور زيتية

لشلالات مياه ومناظر طبيعية خيالية وصغار حيوانات ونساء

صقليات^١. مرسومة حسب التكنيك الخاص ببوب روس.)

سفين: فهمت ...

جونتر بروفت: آآ، كلا. بوب روس ميت منذ فترة طويلة،

مات سنة اثنتان وتسعون.

سفين: ومن الذي يرسم كل هذه اللوحات إذن؟

جونتر بروفت: زوجتي.

سفين: أوه!

لودفيك: زوجتك.

جونتر بروفت: زوجتي درست في وقت سابق مع بوب

روس، في "فلاندرن"^٢ Flanders، أثناء

"الريسياتانس"^٣ Résistance.

لودفيك: وكم تكلفنا الواحدة - لحظة واحدة - كم تكلف هذه

هناك؟

جونتر بوفيت: هذه تساوي الآن ستين يورو، والتي هناك

مثلا تساوي ثمانين يورو.

لودفيك: لحظة، كم تبلغ تكاليف الخامات التي نستخدمها

نحن كفانين لمثل هذه؟

^١ من مدينة صقلية بإيطاليا. (المترجم)

^٢ منطقة في فرنسا. (المترجم)

^٣ حركة مقاومة فرنسية ضد الاحتلال الألماني في الحرب العالمية الثانية. (المترجم)

سفين (بصوت خفيض): الآن سيتضح الأمر.

لودفيك: كم تبلغ نسبتنا كفانين؟

جونتر بروفيت: ماذا تعني بذلك؟

سفين: كم هو الربح؟

لودفيك: صافي الربح.

جونتر بروفيت: ربحي أنا؟

سفين: لا، نعم. ربحك أنت وربحنا نحن، وطبعاً ربح

زوجتك.

جونتر بروفيت: معذرة، سنغلق المحل الآن. ينبغي أن

تنصرفا الآن من فضلكما. انصرفا الآن من فضلكما.

لودفيك: شكراً جزيلاً، إلى اللقاء!

سفين: هل لدى حضرتك كارت؟ كلا؟ جيد، خسارة، شكراً

جزيلاً على كل حال. إلى اللقاء، سيد بروفيت!

(يغادر المحل عبر الباب الورقي، يصدر من عربة

الأطفال صوت نههة منخفضة مكتومة)

لودفيك: هل تفكر فيما أفكر فيه؟

سفين: نعم، بالتأكيد.

لودفيك: هذا بسيط جداً، ولذلك هو شيء عبثي.

سفين: نعم! نأخذ زوجة بروفيت، ونربطها عندنا في قبو

التدفئة بشريط لاصق، وهناك يجب عليها أن تتجز لنا ست أو

سبع لوحات يوميا.

لودفيك: ثم نحمل هذه اللوحات يوميا إلى جاليري "هوي"

ونعطيها لـ"برونو كلوستر"...

سفين: ...وإذا بيعت الواحدة في جاليري "هوي" بثمانين

ألف يورو ستصل نسبة الربح مائة مليون بالمائة.

لودفيك: لا، خمسين مليون بالمائة، لأن نسبة خمسين ستذهب للجالييري.

(يتبادل الاثنان دفع عربة الأطفال أمامهما في اتجاه ميدان "ألكسندر بلاتس" Alexanderplatz، وفي هذه الأثناء ينحيان على العربة لإعادة تشغيل شريط الكاسيت الذي يصدر النههة.)

سفين: أنت يا لودفيك.

لودفيك: نعم.

سفين: في الحقيقة هذا عمل غير مشروع، أعني تقييد زوجة جونتر بروفيت في القبو، هذا محظور.

لودفيك: وماذا نضع غير ذلك؟ الفكرة جيدة فعلا، وعلاوة على ذلك نحن لا نستطيع أن نرسم مطلقا.

سفين: وماذا عن دورة تعلم الرسم؟ بل إننا نستطيع أيضا أن نعلم أنفسنا بأنفسنا، لا يمكن أن يكون الأمر بهذه الصعوبة.

(يلحق بهما جونتر بروفيت جريا، وهو ملفوف في رداء أبيض، يجر قدمه اليسرى وراءه بقوة.)

جونتر بروفيت: توقفا! انتظرا! إنها النهاية! هل سيجلب هذا الأعياد لبيوتكم؟ أسعار المواد الغذائية ارتفعت في الفترة

الأخيرة بشكل رهيب! لا تفكر إلا في البطاطس! وهل يوازي الهراء المتواصل من صديقك سعر قطع "فتة الجبنة" الذي

ألتهمها للتو؟ فلنقتنع بأنك ستظل تُخدع إلا إذا أصبحت من طبقة أصحاب الأملاك! الحدود!

لودفيك: توقف! على رسلك يا سيد بروفيت. فلنهدأ. لا يزال لدينا سؤال: متى ستبدأ دورة بوب روس للرسم؟

جونتر بروفيت: أقول – بتحفظ: نهاية أكتوبر. فوالد الفنانة التي ستقدم الدورة، أعني والد زوجتي حالته ليست على ما يرام الآن.

سفين: لكن هل نستطيع أن ندرج أسماءنا الآن على قائمة شهر أكتوبر؟

جونتر بروفيت: كلا.

لودفيك: كم تتكلف إذن دورة الرسم؟

سفين: أربعون يورو.

لودفيك: والخامات والقماش والفرشاة والألوان؟

جونتر بروفيت (بلكنة نمساوية): كل هذا داخل في الحساب.

سفين: وستبدو اللوحات تماما كلوحات بوب روس التي تعرض في التلفاز؟

جونتر بروفيت: تقريبا.

لودفيك: ونستطيع أن نأخذ الرسوم معنا إلى البيت كل مساء؟

جونتر بروفيت: بالتأكيد.

(يستدار جونتر بروفيت، وينطلق عبر شارع "نويه شونهاوزشتراسه" Neue Schönhauser Straße، وهو يصرخ ويعرُج بقوة، وأثناء جريه يتدلى لسانه من فمه كلسان الأفعى.)

لودفيك: إذن لسنا في حاجة لتقييد السيدة بروفيت في القبو بشريط لاصق.

سفين: كلا، لأننا سنرسم اللوحات بأنفسنا في دورة الرسم هذه، ثم نحملها إلى جاليري "هوى" وبهذا نوفر حوالي ٣٠ يورو إضافية في كل لوحة.

(يدخل المنادى إلى ميدان "ألكساندر بلاتس" بملابسه ذات الجالجل)

المنادي: إنه لشيء فظيع! عربدة! نريد عربدة!
(رجل يرتدى بيرية قطيفة لونه أحمر داكن ويجلس في القاعة مع المتفرجين، ثم ينهض، يرتدى هذا الرجل معطف مطر طويل قاتم اللون، يجعله يبدو وكأنه ذو منصب، يرتدى أيضا نظارة ثنائية البؤرة ويدخن سيجارة صغيرة منتهية.)
الرجل ذو البيريه القطيفة: نسيت أن تقول "عربدة" مرتين.

المنادي (مضطرب وغازب): عربدة، عربدة! نريد عربدة!

٤

(شاطئ على بحر البلطيق، يستلقي بعض السياح فوق مناشف موضوعة على الرمال الذهبية، يمرق بجوارهم طائر نورس مربوط بحبل دوبارة، يسحب أحد بائعي الأيس كريم عربدة يد خشبية تبدو وكأنها من العصور الوسطى، يصدر جلبة وهو يروج بضاعته، على أحد جانبي العربة تشرق حروف سوداء لكلمة "تيزا" Tesa)

(سفين ولودفيك يحملان سويا حقيبة من القماش لونها سماني، تبدو الحقيبة ثقيلة وكأنها ملئت بقوالب من طوب، يشمر الاثنان سرواليهما إلى الركب، ويرتديان ملابس خريفية تتناقض تناقضا غريبا مع منظر السياح شبه العارين علي الشاطئ.)
سفين: أمازالت بعيدة؟

لودفيك: هناك في الخلف حيث يمتد المرسى الخشبي داخل الماء. هناك توجد الحدود.
سفين: هذه المسافة تبلغ علي الأقل خمسمائة مليون كيلو متر.

لودفيك (وهو يستدير): انظر! لقد قطعنا كل هذا وأنجزنا أكثر من نصف المسافة.

سفين: أليس من الأفضل أن نرجع؟

لودفيك: كلا، لم نعد نستطيع الرجوع الآن.

سفين: ولكن...

(سائح عاري ذو غليون ولحية كثة يلاحظ سلوكهما اللافت للانتباه، يحمل في يده عصا أسقف ويدلكها بيده دون كلل.)

السائح العاري: هل تبحثان عن شيء؟

لودفيك: نريد أن نعبر الحدود.

السائح العاري: هناك في الخلف، حيث يرتفع المرسى الخشبي في الماء.

(يبدأ السائح العاري في الشرب من زجاجة عسل كان قد

أحضرها معه، يسيل العسل من فمه على بطنه فيدلك جسده كله به.)

السائح العاري: هناك تجدان الحدود.

لودفيك: رأيت. لقد قلت لك ذلك.

سفين: هل عبرت حضرتك هذه الحدود يوماً؟

(ينفجر السائح العاري في الضحك بلا توقف، يضع

غليونه بين ساقيه ويتولى عنهما منصرفاً وهو يكركر ويلهث

من الضحك.)

سفين: الأمر خطير جداً.

لودفيك: يجب أن نجرب، رجل العسل هذا لا يدري عما يتكلم.

سفين: ولكن لتذهب أنت أولاً.

(يانتقط لودفيك وسفين الحقيبة ذات اللون السمعي ويحملانها سوياً،

تتعثر خطاهما في اتجاه الحدود، وبعد مدة يصلا إليها، والحدود عبارة عن حاجز آيل للسقوط، كتل خرسانة، شبكة ممتدة في الشاطئ، أحد المتطوعين الفدائيين يرتدى ملابس مموهة ويستلقى بوقاحة في المكان أمام الجمهور.)

سفين: إن الحدود تشبه شبكة الكرة الطائرة .

لودفيك: هناك يستلقى أحد الجنود، سنسأله.

(كاتسيمير يصدر صوت نغير.)

لودفيك: نهارك سعيد، هل تتحدث لغتنا؟

كاتسيمير : ماذا تريدان؟ لا يمكنك المرور من هذا المكان. سفين: أنا أريد لنفسي طيبة شابة تحمل قلم مسكرة، وتضع على الكومودينو ديوان شعر، ويبدأ الشتاء، وتحس هي بالبرد، تعود إلي البيت في المساء، متعبة وحزينة، وجنتاها محمرتان من البرد، وأنفها كذلك، ولكنها رغم ذلك جميلة جداً، وعندما أهم بمواساتها تبكى، وتدخل حجرتها منفردة.)

كاتسيمير (محدثاً لودفيك): ماذا جرى لصاحبك؟

لودفيك: لكن هنا الحدود بالتأكيد.

(يشير كاتسيمير إلى لافتة الحدود المربعة التي يبرزها في

هذه اللحظة يقوم بتثبيتها وقد كتب عليها "تيزا" Tesa)

كاتسيمير: ألا تستطيعون القراءة يا رفاق؟ ممنوع المرور،

ممنوع.

(يبدأ لودفيك في البكاء بصدق حقيقي)

كاتسيمير: ممنوع، بتاتا، الحدود مغلقة، كثيرون يريدون العبور من هنا، طوال الوقت، لكنه ممنوع، القانون ينص على ذلك، ليس هناك استثناءات، قل لصاحبك يكف عن النواح.

لودفيك (وهو يتنشق): أمام مثل هذه الأشكال من العنف الطبيعي يقف الإنسان والتقنية عاجزين. لم يصمد سور من الأسوار، انجرفت النباتات والأشجار، موجة يبلغ ارتفاعها عدة أمتار، كانت تندفع بقوة هائلة، لم يكبح جماحها شيء، ضربت مدناً وقرى وحقولاً، لم تخلف وراءها سوى الفوضى، بؤس، عدد الجثث غير معقول، رائحة الموت في كل مكان.

سفين: لودفيك، أرجوك اهدأ! نحن لا نستطيع أن نتخطى الحدود، نحن نفضل الاستحمام في البحر بدلا من ذلك. عندما نعود إلي برلين يجب أن نكون مرتاحين حتى نستطيع اجتياز دورة الرسم.

(يخطو لودفيك في الماء بإحدى قدميه بحركة مسرحية فيها مبالغة، صوت موجة صغيرة يأتي من بعيد، يتقهقر لودفيك إلي الوراء وهو يرتجف.)

لودفيك: أمنا الأرض، لم فعلت هذا؟ هل جرحناك إلي هذا الحد حتى رأيت نفسك مجبرة على إقائنا في الفوضى؟ أم أنه ليس أنت، بل الله الذي في السماوات؟ هل أردت يا رب أن تعطينا إشارة نتذكر بها واجبنا وأنا نعيش هنا فقط كضيوف؟

كاتسيمير: "أوبفيرمين" Ubifirmen.

سفين: كلا. إنها من مجموعته القصصية "تسونامي".

(يأتي السائح العاري جريا وهو يفرك عصابه.)

السائح وكاتسيميير وسفين ولودفيك (ثابنتين في كورال وأعينهم شاخصة إلى أعلى يقولون بصوت واحد): فيضانات مدوية، أناس يصرخون، أطفال عيونهم المكفهرة تشتكي، وسبابة الرب ترتفع محذرة.

٥

(يعود سفين ولودفيك إلى وسط برلين، في أيديهما أكياس بلاستيك فيها موصلات وقوابس كهربية، يمران بمحل بوب روس لمستلزمات الرسم، وأوراق الخريف تتساقط على المسرح.)

لودفيك: ها نحن في الخريف، ربما يوجد الآن دورة رسم سفين: يجب أن نسأل.

(يفتحان الباب الورقي)

سفين: نهارك سعيد يا سيد بروفيت.

(أصيب جونتر بروفيت في الفترة السابقة باستجماتيزم شديد، لذا يرتدى نظارة مقاس ٨ ملوثة بالدهون.)

جونتر بروفيت (ينظر إليهما نظرة عابرة): نهاركم سعيد يا سادة.

سفين: نحن الآن في أكتوبر بالفعل.

لودفيك: وقد قلت لنا آخر مرة أن دورة الرسم تبدأ في أكتوبر.

سفين: ساعتها أردنا أن نسجل اسمينا.

جونتر بروفيت: نعم، وقد طلبتُ مساعداً من هولندا، ولكن لا أحد يعرف من سيأتي بالضبط.

سفين: هل زوجتك في هولندا؟

جونتر بروفيت: هاها، كلا كلا، زوجتي يجب عليها أن
تعتني بأبيها المريض جدا، إنها في المستشفى كل يوم تقريبا.
سفين: نحن آسفون جدا، نرجو ألا يكون هناك مكروه!
لودفيك: لكن عندما يصل مساعدك سنكون على رأس
القائمة.

سفين: لا أن تنسانا!
جونتر بروفيت: مُرًا عليّ دائما كلما أمكن، فمن الوارد أن
تُحجز الدورة من فورها.
لودفيك: لكننا جنناك بالفعل أكثر من أربعين مرة.
جونتر بروفيت: حسنا، داوما على الاتصال بي في الفترة
القادمة مرة بعد مرة، رقم هاتفي معكما.
سفين: أكثر من أربعين مرة!
لودفيك: قل لي يا سيد بروفيت، أليست زوجتك في
المستشفى...

سفين: في أي حجرة بالضبط؟
جونتر بروفيت: حجرة ١٤٠، أنطولوجيا، لكن لماذا
يهمكما هذا الأمر إليّ هذا الحد؟ هل تريدان خطفها مثلا؟
هاها! تعرفان! عندما تضعان أصابع أقدامكما اليمنى
واليسرى في أذانكما، ثم يقوم أحدهم بسحبها فإنها تصدر
صوتا كهذا: بلوب! بلوب! تقريبا هكذا: بلوب.
سفين (بصوت عال جدا): لودفيك، لا طائل من وراء هذا،
لن نلتحق بهذه الدورة.

(ينظر لودفيك عبر النافذة ويرى المخرج "فيم فندرز"
Wim Wenders وهو يصيح في هاتفه النقال. يرتدى فيم
فندرز حلة لونها سمى فاتح ويمشى بخطا سريعة إليّ معهد
جوته في شارع "نويه شونهاوزرشتراسه".)

لودفيك: ها هو فيم فندرز. أسرع!
سفين: إلى اللقاء، يا سيد بروفيت.
(يخرج جونتر بروفيت طرف لسانه ويحركه كالأفعى
محييا الرجلين.)

جونتر بروفيت: بلوب بلوب! ولا تخطفنا منى زوجتي!
(ينغلق الباب الورقي وراءهما، يجرى سفين ولودفيك
وراء فيم فندرز الذي يختفي في مدخل بوابة معهد
جوته. كادت أن تمسهما شاحنة منطلقة تبرق عليها حروف
كلمة "تيزا" Tesa.)
سفين: يا الهي.

لودفيك: أسرع!
(في مدخل البوابة يوشكان على الاصطدام بفيم فندرز
الذي كان مستندا إلى باب مصعد. يجدان سلم حلزوني يقود
إلى أعلى، يعتذران ويصعدان درجات السلم الحلزوني
مرتبكين وبلا هدف، يدخل فيم فندرز إلى المصعد.)
لودفيك: على أي زر اضغط؟

سفين: انتظر، اسبقتي أنت، وأنا سأعد.
(يظلم المسرح وتظهر أرقام الكترونية حمراء كبيرة تظل
في تصاعد مستمر.)

سفين: واحد.
لودفيك: الطابق الأول؟
سفين: واحد.
لودفيك: الآن اثنان!
سفين: اثنان، ثلاثة، أربعة. أربعة، الطابق الرابع يا
لودفيك.

لودفيك: تعالي بسرعة!

(يصعد الاثنان درجات السلم جريا، حتى الطابق الرابع،
عندما يصلان إلى نهايته، ينزلق الباب ويختفي وراءه فيم
فندرز)

لودفيك: خسارة. ماذا الآن؟

سفين: انتظرا! هناك لوحة مكتوب عليها: "رن الجرس
على الناحية الأخرى بجانب المصباح!"

لودفيك: وعلى الباب الأخر مكتوب: "من فضلك اطرق
الباب! وإذا لم يفتح لك، من فضلك قم برن الجرس على
الجانب المقابل! شكرا!"

سفين: وماذا الآن؟

(يفتح الباب الأول، امرأة شابة تنظر عبر الباب.)

المرأة الشابة: هل استطيع مساعدتكما؟ ماذا تفعلان هنا؟

سفين: نحن نقوم بجولة عمل.

المرأة الشابة: ماذا؟

لودفيك: مجرد جولة.

المرأة الشابة: لحظة واحدة. أستمنا لودفيك وسفين؟

سفين: بلى، نحن هما.

المرأة الشابة: لأنني رأيتكما قبل سبع سنوات في "خريف

جوتنج للأدب" Göttinger Literaturherbst.

(صوت صيحات عالية تأتي من وراء الباب.)

لودفيك: وماذا تفعلين هنا في الداخل مع فيم فندرز؟

المرأة الشابة: نعم، إنه هنا. هذا مكتبه.

سفين: أوه!

(تنفلت عنزة محترقة عبر فتحة الباب وتمر بجوار المرأة

الشابة التي تتقافز خلفها وتجرها من حبل غليظ لتعيدها داخل

المكتب، مزيد من الصياح.)

لودفيك: من الأفضل أن نذهب الآن.
سفين (بصوت خافت): ألا ينبغي علينا أن نستدعي الشرطة؟

لودفيك: الأوبيفير من؟ إنهم موجودون هنا فعلا.
(تعرض في الطابق الأرضي رقصة باليه صامته لأفراد شرطة يابانية يبلغ عددهم عشرة ويرتدون زيا رسميا ذا لون أزرق قاتم، وعليه أوشحة بيضاء كبيرة ربطت على أجسامهم على شكل x، وعلى رؤوسهم ما يشبه نصف كرة أرضية مضاءة من الداخل، وشيئا فشيئا يشكلون هرما بشريا.)
(باليه الشرطة يصمم باستخدام ألحان/تصميم رقصات من أعمال "إكهارت إيلرس" Ekkehard Ehlers).

سفين: شرطة العالم، التي لا تحرك ساكنا كالعادة.
لودفيك: التي تغض الطرف دائما.
سفين: نعم، بدلا من ضبط شركات الاتصالات الكبرى التي تربح كل يوم أموالا طائلة تزيد على ٣٠٠٠٠٠ طن، تجدهم يبذرون الأموال هنا، من أجل الباليه والتحايل.
سفين: الشرطة تعرض رقصة باليه، وهي الآن مغيبة، وهذه لحظة مناسبة لدخول المستشفى.
لودفيك: حجرة ١٤٠، أنطولوجيا.

٦

(يسحب سفين بجهد بالغ جهاز تمارين منزلي ويدخل عبر باب القبو، يجلس لودفيك على أحد المقاعد ويحاول أن يسقي السيدة "بروفيت" المنهكة تماما مشروب مياه غازية عن طريق خرطوم به قمع. "جرّدا بروفيت" مقيدة بشرط لاصق

على كرسي رسم، أمامها لوحة على مرسم خشبي فيها
رتوش أولية لمنظر طبيعي خيالي من مناظر بوب روس.
وفي الخلفية لوحات عديدة مكتملة.)

سفين (يشهق): يا إلهي! إنه ثقيل، ساعدني!

لودفيك: وأي شيء هذا؟

سفين: هذا جهاز تدريب منزلي، سنفيد السيدة بروفيت
عليه حتى لا تتورم عضلاتها. هل أكلت اليوم ملحاً بالفعل؟
لودفيك: عجباً! قد منعتَ أنت ذلك الأسبوع الماضي. وقلت
فقط مياه غازية وقهوة.

جردا بروفيت: فقط قطعة "سَمِيط" صغيرة، أرجوكم!
لوجه الله، أتوسل إليكما!

(يلتقط سفين قطعة سَمِيط من جيب سرواله، يكحت من
عليها قطع الملح الخشن بإصبعه، ثم يناولها للسيدة بروفيت.)
سفين: خذي، أملاح معدنية، ينبغي أن يكفيك هذا.

جردا بروفيت: ولكني أعاني من جوع فظيع.

لودفيك: فلتعطيها قطعة سَمِيط، وإلا سقطت من الإعياء
وأتعبتنا.

سفين: لا، ممنوع الأكل، فقط ملح. يجب أن تظل منتبهة
ترسم لنا على مدار الساعة، ومن الضروري أن تأتيها بقهوة
طازجة! يجب أن تذهب إلى الحدود كما يفعل الفنانون
الحقيقيون، هيا، تعال!

(يسحب سفين السيدة بروفيت ويجلسها على جهاز
التمارين المنزلي، يحكم وثاقها بمزيد من الشريط اللاصق ثم
يشغل الجهاز، يدور بدلاً الجهاز بسرعة شديدة فتفتلت رجلا
المرأة الموثقة ويدها.)

جردا بروفيت: أرجوك لا تفعل! كف عن ذلك! سأواصل الرسم!

سفين: عضلاتك ستصاب بالضمور، ونريد ن نمنع ذلك.

(يلتقط بكرة لاصقة ويكلم فيها.)

جردا بروفيت: ممم-ممم-ممم!

(بعد مرور عدة دقائق يغلق سفين الجهاز، وقد أصبحت

جردا بروفيت غائبة عن الوعي.)

سفين: هكذا، انتهت تمارين العضلات، فسحة قصيرة

للاسترخاء، أليس كذلك؟

لودفيك: لكننا لا نستطيع أن نأخذ راحة لأنفسنا مطلقاً،

فبعد غد سيأتي "كلوستر" صاحب الجاليري لزيارة الأتيليه،

ساعاتها يجب أن يوجد المزيد من اللوحات.

سفين: عندما يأتي السيد برونو كلوستر، سننصب اللوحات

بشكل جمالي ونخفي السيدة بروفيت خلف أرفق القبو.

لودفيك: كي لا يراها.

(يزحزح سفين السيدة بروفيت عن جهاز التمارين ويعيدها

إلى كرسي المرسم.)

سفين: استيقظي! سيدة بروفت! لودفيك! أحضر زجاجة

المياة الغازية وخلة الأسنان.

(يقوم لودفيك بوخز السيدة بروفيت بخلة الأسنان.)

لودفيك: سيدة بروفيت! هلمي! فلنستيقظي أرجوك! يجب

أن ترسمي لنا المزيد من اللوحات، اسمعي ما يقوله سفين،

وإلا فلن تنالي حريتك ثانية أبدا!

جردا بروفيت: ممم-ممم-ممم.

لودفيك: انتظري! لعنا نوقفك على رجلك. فوضعك الآن

مؤلم بعض الشيء...

(يمزق لودفيك الشريط اللاصق الذي يقيد ذراعها الأيمن فيؤلمها.)

لودفيك: هكذا، إنها منعشة، أليس كذلك؟

جردا بروفيت: ممم-ممم-ممم!

(يعطيها لودفيك فرشاة في يدها ويدير الكرسي في اتجاه لوحة الرسم.)

سفين (بغضب): فلترسمي الآن! أريد أن أرى اليوم شلالا وبنورا ما لجبال الألب.

لودفيك: وطريقا ملتويا يمر عبر غابة صغيرة من أشجار الصنوبر.

(تغمس السيدة بروفيت الفرشاة في لوح الألوان المميّز الخاص ببوب روس، ثم تسقط الفرشاة من يدها.)

سفين (يصرخ): هذا غير مسموح! لودفيك! مزيد من المياه الغازية! وإذا لم يفد هذا أيضا فسنضطر إلى استخدام الحقنة الشرجية مرة أخرى. وهذا مالا نريده، أليس كذلك؟

جردا بروفيت (تهز رأسها متعبة): ممم-ممم-ممم!

لودفيك: لا تجبريني على ربط الفرشاة في يدك!

سفين: سيكون هذا ذنبها! على مسئوليتك الشخصية يا سيادة بروفيت! لودفيك!

(يثبت لودفيك الفرشاة في معصم يدها بشريط لاصق.)

سفين: لودفيك، تحقق من أنها تطبق بدقة أسلوب النقاط عند رسم أوراق الأشجار! فالحركة المتميزة للنقاط وكذلك للالتفافات مهمة جدا. وهي بالتأكيد تريد أن تستعيد حريرتها، أليس كذلك؟

لودفيك: الأمر جيد هكذا. بل معقول. أعلى وأسفل، يمينا ويسارا، ثم ها هنا كوخ صغير لأحد قاطعي الأشجار، يبدو من بعيد، في الأفق، هكذا.

سفين: جميل جدا. جميل جدا. سنعود مرة أخرى بعد ساعتين. فلنتالي الآن قسطا من الراحة. لودفيك! قيدها مضطجعة على ظهرها. حتى لا تقومي بأي شيء، سيده بروفيت!

لودفيك: وحتى لا تختنقي سنزيل الشريط اللاصق عن فمك، فنحن في الأخير لسنا وحوشا. (يقيده لودفيك يديها وينزع عن شفيتها الشريط اللاصق نزعة مؤلمة تصدر صوتا.)
جردا بروفيت: ماء. ماء.

(يضع لودفيك وسفين على الأرض أمامها جفنة فيها مياه غازية، فتشرب منها بنهم كأنها قطة عطشى. ثم ينصرف الاثنان مغلقين باب القبو.)

سفين (من الكواليس): سنذهب إلى الحديقة، فلدينا عمل يجب أن نقوم به.

(تسحب السيدة بروفيت نفسها بمشقة وهي مقيدة، وتعتلي بمعانة كرسي الرسم، تتناول بأسنانها قطعة جديدة من الكتان وتضعها على طاولة الرسم، تمسك بأسنانها وبجهد جهيد فرشاة عريضة في فمها، وتغمسها في إناء للألوان وبحركات عنيفة من رأسها تنضح قماش الكتان بألوان كثيفة: أزرق وأحمر وأصفر.)

(لودفيك وسفين يخططان للزيارة المرتقبة من صاحب الجاليري. في الحديقة العامة يستلقي الاثنان على ظهريهما فوق منشفة خشنة، وفي فم كل منهما عود من عشب، وثمره تغريد فج لطائر يصدر صوته من شريط تسجيل.)
سفين: طيور القُبْرَة تحلق على ارتفاع منخفض، هناك عاصفة تعلن عن نفسها.

لودفيك: لقد تكلمت مع سكرتيرة الجاليري: برونو كلوستر يريد أن يرى على الأقل ٣٠ لوحة من المقاس الكبير. مناظر طبيعية، بورترية لمشاهير، طبيعة صامتة، ألوان زاهية، بعيدا عن الألوان الرمادية، فالجاليري له زبائن كثر من "ميامي" ممن يمتلكون منازل مصممة بأسلوب "آرت ديكو" Art Deco، وهؤلاء لا يمكن أن يفتنوا لوحات كئيبة. لذا يجب على السيدة بروفيت أن تعمل ليلا ونهارا، وهذا يعني أنها في حاجة ملحة لطعام جيد ومزيد من المياه الغازية.

سفين (ناظرا حوله): كل هذا ظهر في الخريف. المُتَنَزَّه ليس أخضر على الإطلاق، بل هو أقرب إلى السمرة.
لودفيك: هذه صور أرشيفية، مئات الملايين من الصور. سفين: هناك في الخلف. انظر.
لودفيك: وماذا هناك؟

^١ آرت ديكو (Art Deco)، هي موجة تصميم شعبية راجت بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٣٩، أُنزمت بالعديد من الفنون كالعمارة، التصميم الداخلي، والفنون البصرية مثل الموضة، والرسم، التصميم الرقمي، السينما، وتصميم المجوهرات. جمع هذا الطراز بين العديد من الأشكال الفنية التي ظهرت في بداية القرن العشرين، خصوصا التكعبية، الحداثة، الفن الجديد. (المترجم)

سفين: بالتأكيد هذا كنز من الذهب يعود لقوات العاصفة
Waffen-SS ولم يكتشفه أحد قبلنا، تعال انظر هناك!
(على مسافة منهما تنهض ساحرة المُتَنَزَّه العجوز من
ملاءة سرير كانت معها، تنهض عارية، ثم ترتدي ملابسها
في تكلف بحيث يستطيع من ينظر أن يتابعها أثناء ارتداء
الملابس خطوة بخطوة.)

لودفيك: أوه نعم، هناك تلميذة بيانو تمشي وحيدة تماما.
سفين: كلا، ليست هذه. أنا أعني ساحرة المُتَنَزَّه.
(تبدأ الأمطار في السقوط. فيرفع سفين ولودفيك المنشفة
الخشنة فوق رأسيهما، تجمع الساحرة أشياءها في سلة وتخرج
تحت الأمطار، وتشطح بيديها أثناء ذلك، وتستنشق من أنفها
بقوة كالمصاب بالزكام، تظل واقفة أمام سفين ولودفيك
مباشرة ولكنهما لا يلاحظان أنها بالفعل تقف دونهما، تنظر
إلى أعلى، إلى السماء.)

ساحرة المُتَنَزَّه: هِي هِي هِي. عندما تمطر يهرع الناس
إلى منازلهم.

سفين (وهو ينظر من تحت المنشفة إلى أعلى): ماذا قلت؟
ساحرة المُتَنَزَّه: هِي هِي هِي. عندما تمطر يهرع الناس
إلى منازلهم.

(يلمع برق شديد خلف رأسها يعقبه مباشرة صوت رعد.)
ساحرة المُتَنَزَّه: نحلات، طاولات، شاشات،
كمثرات، فأرات، آلات
موسيقىات، زرقاوات، عمياوات، برقيات.¹

¹ هذه الكلمات وضعت كمقابلات للمفردات الألمانية التي تقولها الساحرة والتي تبدأ كلها بنفس الحرف (B) وهي، Biene, Biertisch, Bildschirm, Birne, Bisamartte, Blasinstrumente، وقد لجأنا لوضعها بصيغة جمع المؤنث السالم لتعذر ترجمتها إلى العربية بمفردات لها نفس الحرف الأول، وسيتكرر هذا في مواضع لاحقة. (المترجم)

(يبدأ لودفيك في البكاء.)

سفين: لودفيك! أنصت إليّ! إذا سار كل شيء على ما يرام، سنقيم معرضاً في نيويورك في أي وقت تشاء. "بيج أبل"^١ دائبة الحركة، هناك دائماً شيء ما يحدث، كل شيء يسير بسرعة فائقة، كل شيء يتحرك، "بيج أبل" تجعل المرء يدمن عليها.

ساحرة المُنْتَزَه: إما أن يعشق المرء هذه المدينة وإما أن يبغضها، لا شيء بين الاثنين. قوارب، قباقيب، ثعالب، مكاتب، أطايب، أقارب، مراكب.^٢

سفين: يجب أن نصف للسيدة بروفيت بدقة ما ينبغي أن ترسمه الآن من مناظر، سنعطيهما قائمة.

لودفيك (يتنشق من أثر البكاء): حسناً! انتبه معي! المنظر الأول: قدم عاري على عشب أخضر، يجلس على القدم أرنب من القماش فيه بعض الرقع.

سفين: جيد، جيد جداً. المنظر الثاني: طبق على منضدة خشبية، فيه بيضة أومليت وقطع كباب وفاصوليا، من اليسار إلى اليمين تبرز داخل الصورة سكاكين وأشواك.

لودفيك: المنظر الثالث: منظر علوي لكرسي مرحاض يوجد بداخله مرمى كرة قدم.

سفين: المنظر الرابع: امرأة سوداء فقيرة تغفو في مترو أنفاق مدينة نيويورك.

لودفيك: المنظر الخامس: ثلاثة رجال فوق عربة يد يجرها كلب

أبيض هزيل على مرج أخضر.

^١ اسم شهرة لمدينة نيويورك. (المترجم)

^٢ مقابلات ذات صلة بالمفردات الألمانية الآتية Pappelboot, Panther, Pantoffel, Papier, Papaya, Partner, Passagierschiff. (المترجم)

سفين: المنظر السادس: أراجوز ينظر أمامه من خلال علبة ثقاب وهو يضحك ضحكة صفراء، وأمام العلبة أربعة أزرار كبيرة.

لودفيك: المنظر السابع: امرأة عارية لها أجنحة نسر تجثو أمام نموذج معلق في الهواء لآثار حلقة "ستونهنج" ¹ Stonehenge Rondell، وتخفي وجهها بين يديها.

سفين: المنظر الثامن: حقيبة جلدية قديمة مفتوحة وبداخلها ستة منبهات تحفة ملفوفة في نسخ مجمعة الأوراق من صحيفة "دي تسايت" Die Zeit.

لودفيك: المنظر التاسع: امرأة إفريقية عارية الثديين تشرب كأساً من النبيذ الأحمر وتمدها مبتسمة لتشرب في صحة الناظر للوحة.

سفين: المنظر العاشر، المنظر المحوري بين الأعمال المعروضة، يتم تعليقه على المدخل بحيث لا تخطئه عين كل من يزور الجاليري: كتاب مذكرات، حَجَر أسود مخيط على الغلاف الأمامي لهذا الكتاب، فيما عدا ذلك يكون الكتاب مستويا تماما، وغير مميز في طباعته، عليه غلاف جلدي موشى بدقة من جميع الجوانب بواسطة خيط من الجلد، أوراق الكتاب مصنوعة يدويا من ألياف طبيعية، لذا تتمتع بدرجة امتصاص عالية، ويظهر في أجزاء منها رونق زاهي الصفرة، الكتاب ملفوف عليه خيط من الجلد، إنه كتاب الحياة والموت.

¹ ستونهنج أثرحجري يرجع لعصر ما قبل التاريخ في سهل ساليسبري بجنوب غرب إنجلترا. (المترجم)

لودفيك (وهو يتنشق): لكن إذا لاحظ الناس أننا لم نكن أبدا أصحاب هذه اللوحات، بل السيدة بروفيت...
سفين: هدى من روعك! لن يعلم أحد بذلك أبدا، لأننا لن نحكي عنه لأحد، لكن سيكون الأمر أكثر أمانا إذا أسكتنا السيدة بروفيت الآن وللأبد على النحو التالي: بعد أن نفك وثاقها نستدرجها بحيلة ما إلى الشارع ثم إلى قبو آخر نسد منافذ الهواء والصوت فيه حتى لا يسمع أحد صرخاتها المخيفة وهي تموت.

لودفيك: ومن سيرسم مناظرنا إذن؟

سفين: فيما بعد سنعمل صورا فوتوغرافية محورة بالكمبيوتر، كما كان يفعل "وار هول" Warhol، فقط بالأبيض والأسود.

لودفيك: لا أدري.

سفين: آا ثم نُخرج بعد ذلك فيلما جنسيا مثليا، انتبه معي: "اثنان من الرسامين على الجدران بالرداذ، جان وتوم، يضبطان في حالة تلبس باللواط"، إلا أن الجنديين الذين ضبطاهما يكونان على سجيتهما جدا إلى حد الإثارة، ولا يكونان أبدا مؤذيين، لذا لا يبرحانهما ضربا وإنما يوبخانهما فقط.

لودفيك: نعم، جيد. أو يشبه قولنا: "شرطة الرشاقة، تظهر في أوقات متأخرة لممارسة الهرولة - والسراويل محسورة لأسفل.

¹ أندى وار هول Andy Warhol ولد في ٦ أغسطس ١٩٢٨ وتوفي في ٢٢ فبراير ١٩٨٧ فنان أمريكي من أصل تشيكي. يعد من أشهر فنانى الولايات المتحدة للنصف الثاني من القرن العشرين. كان رساما يقوم بالطباعة بالشاشة الحريرية، كما كان صانع أفلام مرتبطاً بحركة فن البوب في الولايات المتحدة (١٩٣٠ - ١٩٨٧). أسس مجلة "إنترفيو" Interview في عام ١٩٧٣. (الترجم)

سفين: الظلام يحل بسرعة بطريقة ما، والوقت لا يزال
الثانية بعد الظهر.

(يشدد المطر باطراد، يرفع الاثنان المنشفة الخشنة فوق
رأسيهما، الجو يظلم بسرعة وتبدأ الرعود.)

ساحرة المُنْتَزَه: حمامات، محطات، كرات، موزات،
جنيهات، برشلونيات.^١

سفين: أشعر وكأننا مقيدان بساحرة المُنْتَزَه عن طريق
حبل طويل غير مرئي، وكأنه ليس للمرء حيلة سوى أن
ينصت إليها.

لودفيك: سفين! أنا خائف جدا.

ساحرة المُنْتَزَه: جمرة، جامبيا، جامبرينوس، جائر،
جارفيلد، جاز، جنون، جانيميد، جرح.^٢

(السماء ترعد، والبرق يلمع أعلى خشبة المسرح.)

سفين: أوه، لا! هيا نسير إلى البيت.

لودفيك: لم أعد أستطيع الحركة، أشعر وكأن جسدي كله
مخدر.

(يظهر "ممون"، إله المال، على المسرح، له وجه روح
شرير على صورة طائر، يحوم حوله سرب من النحل، يده
عبارة عن مخالب طويلة.)

ساحرة المُنْتَزَه: هَيَّ هَيَّ هَيَّ هَيَّ. عندما تمطر يهرع
الناس إلى منازلهم، عدا الذين فقدوا القدرة على الحراك.

^١ المفردات الألمانية المقابلة هي: Bad, Bahnhof, Ball, Banana, Banknoten, Barcelona .
والترجمة تقريبية للحفاظ على صيغة الجمع. (المترجم)

^٢ المفردات الألمانية المقابلة هي: Galle, Gambia, Gambrinus, Ganove, Garfield, Gasalarm, Ganglionen, Ganymed, Gaumenspalte
الحرف الأول. (المترجم)

ممون: ثلاثة في سبعة يساوي واحد وعشرين، ثمانية
عشر زائد أربعة يساوي اثنين وعشرين.
(السماء ترعد، ونحل "ممون" يطن.)
ساحرة المُتَنَزَّه: مدغشقر، مداود، مادريجال، مجدالينا،
مدريد، مجاعة، ماغنسيوم، ممون، ممون.¹
(سفين ولودفيك يتشبث كل منهما بالآخر ويصرخان.)
ممون: سبعة عشر زائد ستة يساوي ثلاثة وعشرين،
أربعة في ستة يساوي أربعة وعشرين.
ساحرة المُتَنَزَّه: هل تسمع أصوات من أعلى؟ من بعيد؟
من قريب؟ نعم، على طول الجبل كله تعصف أنشودةٌ سحريةٌ
غاضبة.

(سفين ولودفيك يَنْشِجان ويرتعثان، تظهر السيدة بروفيت
من وسط الظلام في مؤخرة المسرح وهي ترتدي ثوبا
أبيض، وتشع بهاء وهيبة.)
جردا بروفيت: أنا منك أيها الأب! خلصني!
(مَلْكان معلقان بحبل ينزلان من أعلى يمسكان بالسيدة
بروفيت في رفق ويرفعاها معا إلى أعلى، يختفي ممون
وساحرة المُتَنَزَّه في سحابة من الدخان، يظلم المسرح ويُسمع
دوي الرعد الأخير.)

٨

(ينظف لودفيك وسفين القبو بممسحة، يجران جسد السيدة
بروفيت الخامد خلف دولاب الأرفف، توضع اللوحات العشر

¹ المفردات الألمانية المقابلة هي: Madagasker, Madenwurm, Madrigal, Magdalena, Madrid, Magersucht, Magnesium, Mammon, Mammon على وحدة الحرف الأول. (المترجم)

التي نضحتها السيدة بروفيت بالألوان في أحد الأركان بلا
اعتناء، في مقابل ذلك يتم ترتيب لوحات المناظر الطبيعية
الخيالية المرسومة بأسلوب بوب روس ترتيبا فنيا دقيقا لأجل
الزيارة المرتقبة لصاحب الجاليري.)
(طرقات على الباب.)

لودفيك: إنه السيد كلوستر، صاحب الجاليري! بسرعة!
لوحة غروب الشمس أمام جزيرة "هليجولاند" Helgoland!
هيا يجب أن تعلق في مكان آخر!
سفين: هل الظرف جاهز معك؟
لودفيك: نعم نعم، بسرعة، افتح الباب!
سفين: نهارك سعيد يا دكتور كلوستر! كيف كانت
الرحلة؟

برونو كلوستر: المكان عندكم جميل، كنت أول أمس في
ميامي، درجة الحرارة هناك مرتفعة جدا، تعرفان؟!
المعرض الفني على أشده، على كل حال نأمل ألا يفشل في
النهاية.

لودفيك: هذا لا يمكن أن يكون في صالحنا.
سفين: سمعت أن الزبائن هذا العام مولعين بالألوان
الزاهية.
لودفيك: التقاليع الفنية ذات الألوان الزاهية هي الموضة
الآن.

برونو كلوستر: هل لديكم بيكربونات صوديوم؟ فأنا أشعر
بشيء من
الغثيان جراء طبق لحم الغزال الذي أكلته بالأمس عند
"كيرفور كيان".

¹ جزيرة في بحر الشمال استعادتها ألمانيا من بريطانيا سنة ١٩٥٢. (المترجم)

سفين: لودفيك! هلا نظرت في الأرفف!
(يذهب لودفيك إلى الأرفف لكي يحضر بيكربونات
الصوديوم، تنزلق إحدى قدمي السيدة بروفيت إلى الأمام
بسبب تصلب الجثة، فيركلها لودفيك ثانية خلف دولاب
الأرفف.)

لودفيك: بيكربونات، بيكربونات...
سفين: جميل أنك وجدت وقتا لكي تشرفنا بالزيارة، هل
تسمح لي؟
(يأخذ برونو كلوستر الظرف ويدسه في معطفه بصمت.)
سفين: لدينا أشياء مخصوصة لحضرتك. مناظر طبيعية
ذات ألوان زاهية.

برونو كلوستر: دعها دعها، سأراها بنفسني على مهل.
(بأعين مضيقة يفحص برونو كلوستر اللوحات
المعروضة المرسومة بأسلوب بوب روس وهو يرفع نظارته
تارة ويخفضها أخرى، تنتهي جولته بعد نصف دقيقة.)
برونو كلوستر: هيه أيها السيدان، اعذراني! لا أستطيع أن
أفيدكما بشيء، بل ربما أقول لن يستطيع أحد أن يفيدكما
بشيء.

لودفيك: ولكن كيف ذلك؟
برونو كلوستر: لم أر شيئا شبيها بهذا على مدار رحلتي
المهنية الطويلة، اللهم إلا عند فنان التلفاز ذاك، ما اسمه؟
جون روس؟
سفين: بوب.

لودفيك: بوب روس.
برونو كلوستر: أنا أوصيكما بإلحاح أن تغيرا نشاطكما
إلى المسرح أو الشعر أو ما شابه.

لودفيك (يائسا): لقد جربنا كل هذا بالفعل. لكن في الحقيقة
أمنيتنا الوحيدة هي أن نكون رسامين! نود أن نكون رسامين!
سفين: نحن فنانو رسم حقيقيون! لذا دعونا لا نضيع الوقت
في الحديث عن كلينا! هل رأيت كل اللوحات بالفعل؟
برونو كلوستر (بلهجة نمساوية): إليك عني، دعاني
وشأني بعيدا عن تفاهاتكما. هل لديكما دورة مياه؟
لودفيك (مستسلما): نعم، تفضل في الخلف، بجانب
الأرفف مباشرة!

(يظل برونو كلوستر واقفا أمام الأرفف ويلحظ بطرف
عينه كومة اللوحات التي رشتها السيدة بروفيت بالألوان،
وببطء شديد يخفض نظارته.)
برونو كلوستر: لحظة واحدة...

سفين (متمتما): غبي. لماذا لم تبعد هذا الهراء...
(يلتقط برونو كلوستر اللوحة أعلى الكومة، يبعتها عن
نظره قليلا ليتفحصها، يخفض النظارة ويرفعها، يعلقها على
الحائط بحرص، يتراجع خطوتين إلى الوراء، ثم خطوتين
للأمام، يلتقط اللوحة الثانية من الكومة ويضعها بحرص إلى
جوار الأولى.)

برونو كلوستر: لماذا لم ترياني هذه أولا؟
سفين: أخ، هذه أشياء قديمة، من العام الماضي...
برونو كلوستر: هذا المزيج من الألوان، هذه الطاقة،
ثمة... موتٌ بداخله، وبعثٌ أيضا، إنها طاقة خالصة، نور،
عقلانية فائقة في الوقت نفسه: الاقتصار على الألوان
الرئيسية الثلاثة، هل تريان؟
لودفيك: أحمر وأصفر وأزرق.

برونو كلوستر: بالضبط، مثل هذا التركيز نادر جدا جدا،
لم أر شيئا مشابها إلا في لوحات الموت لـ"مارك
روتكو" Mark Rothko، أو لوحات "ساي تومبلي" Cy
Twombly، أحيانا لا يعدو الأمر أن يكون حدسا، تلميحا في
أحد الخطوط، نفثة من فكرة، رفعة بيد. كأسلوب الفنان
"بولوك" Pollock...رائع.

سفين: هذه ثمنها، ثمنها...إممم...ثمانون ألف يورو!
برونو كلوستر: ثمانون ألف، ثمانون ألف... فليكن، فهي
تساوي عندي هذه القيمة، نعم تساوي عندي هذه القيمة، هذه
عشر لوحات، يعني الإجمالي ثمانمائة ألف يورو.
سفين: ماذا قلت؟...آه نعم، طبعاً، كلهم بالطبع ثمانمائة
ألف، نعم نعم.

برونو كلوستر: أعمال ممتازة، سأتصل فوراً بـ
"بوكهارد"، فهناك شيء يجب عمله بمنتهى السرعة...
لودفيك: نتمنى أن نقيم معرضاً في الجاليري الخاص بك
بمناسبة المعرض الفني! فلا بد أن هناك كافيّار ونيبذ بالمجان.
سفين: ونريد أن ننزل في فندق "أدلون" Adlon!
لودفيك: وشمبانيا مجانية!

برونو كلوستر: طبعاً أيها السيدان، طلباتكمما مجابة مجابة،
صندوق كامل من الشمبانيا، صندوقان، ستعرض لوحاتكمما
عندنا الأسبوع المقبل، سيكون هذا أهم افتتاح هذا العام، قد
فهمت الآن خطتكمما العبقريّة.
لودفيك: كيف ذلك؟

برونو كلوستر: أردتما بلوحات بوب روس أن تحتوياني
أولاً، أن تختبرا هل أنا أصلاً جدير بتمثيلكما أم لا، نعم،
أردتما أن تختبرا حكمي.

سفين: نعم، بالضبط.
برونو كلوستر: وأمل أن أكون قد اجتزت الاختبار،
بالمناسبة ما اسمكما؟ لودفيك وسفين، هذا جيد ورنان.
(يمد بذراعيه على هيئة شريط خيالي أمام عينيه.)
برونو كلوستر: الثنائي الفني لودفيك وسفين! عظيم جدا.
لودفيك: ونحصل نحن على خمسين بالمائة من الأرباح!
هكذا هو الأمر، الأرباح تقسم.
برونو كلوستر: طبعاً، طبعاً، لا تقلقا أيها السيدان!
الخمسون بالمائة هي
عادة عندنا، وإذا جاز لي أن أرجوكم في معروف: الشهر
القادم سيكون معرض الـ "فريز" Frieze في لندن، وسنحتاج
إلى عشرة لوحات أخرى، تماماً بالأسلوب ذاته.
سفين: بالضبط؟ ولكن كيف لنا أن نفعل شيئاً كهذا؟
برونو كلوستر: أنا أعلم أن الوقت ضيق، ولكني أعول
تماماً على قدرتكم الإبداعية.
لودفيك: لكن هذا سيكلف أكثر من ثمانمائة ألف يورو.
سفين: هذا سيكلف ثلاثة ملايين يورو.
برونو كلوستر: ثلاثة ملايين؟ هممم. قوما بالعمل،
سأناقش هذا مع بوكهارد، وأعتقد أن الأمر لا يبدو سيئاً.
لودفيك: نعم.
برونو كلوستر: والآن، لقد سررت بلقائكما، مساعدتي
"ريجولا" سترتب كل الأشياء الأخرى معكما، إلى اللقاء!
لودفيك: إلى اللقاء، دكتور كلوستر!
(لودفيك وسفين يقفان وحدهما في القبو.)
سفين: أنت أيها الغبي! كان لابد أن نطلب ثلاثين مليون
يورو.

(مرة أخرى في الحجرة وسط برلين، أريكة، أرفف كتب، منضدة، جهاز كمبيوتر، أمام أرفف الكتب مرتبة، يضاف إلى ذلك رموز للرفاهية المستقبلية: مُتَلَج شمبانيا، علب كافيار فارغة، مضارب تنس، كتاب "هلموت نيوتن" Helmut-Newton-Buch "سومو" Sumo الذي يزن بالإضافة إلى الحامل المعدني ثمانين كيلوجراما، كرات تنس وجولف مبعثرة في كل مكان.)
لودفيك: ذنب موتها في رقبتك.

سفين: لو أكلتُ هي ما يكفي من ملح الصوديوم والأملاح المعدنية - وواضح أن هذا كان مسئولياتك أنت - لاختلف الحال تماما.

لودفيك: لقد اشتريت بالفعل دجاجة مشوية، وأنت الذي حضرت إعطاءها لها، لقد ماتت من الإعياء، والآن ليس لدينا أحد يرسم لنا الدفعة التالية من اللوحات المرشوشة.
سفين: الدجاج المشوي يجعل المرء سميئا ومجاملا، لذلك لا يمكنه إبداع فن حقيقي.

لودفيك: هذا ليس صحيحا.
سفين: بلى، لأننا لو كنا سَمَنَّاها لما حصلنا الآن على اللوحات المرشوشة التي أعجبت برونو كلوستر جدا لدرجة أنه أراد أن يدفع لي مقابلها ثلاثة ملايين وثمانمائة ألف يورو.

لودفيك: يدفع لك؟ يدفع لنا، أنا ما زلت موجودا حتى الآن.
سفين: نعم نعم، لنا.

لودفيك: ومن أين لنا أن نحصل على اللوحات الجديدة؟
سفين: يا إلهي! اللوحات المرشوشة نستطيع أن نرسمها
نحن بأنفسنا!

لودفيك: صحيح تماما! بالضبط! ليس الأمر صعبا إلى هذا
الحد، هي بعض زخات بأهداب فرشاة ملونة.

سفين: نعم، ولكن الفكرة ليست كذلك على الإطلاق، لقد
أصبحت أنت الآن سميئا ومجاملتا حتى غدت عاجزا عن
إدراك أي فكرة واضحة، انظر إلى هذا الهراء الموجود هنا،
كرات جولف، علب كافيار، إنها سيماء الرفاهية، كل ما
احتقرناه فيما مضى، المال ليس مهما بالنسبة لي! وأنت تلهث
وراء العربون التالي من جاليري "هوي" لكي تستطيع أن
تشتري لنفسك المزيد من كرات التنس. كم هي كرات التنس
التي تريد أن تقتنيها في حياتك؟ مائة؟ مائة ألف؟ ترليون
مليار كرة تنس؟ بالطبع يمكننا أن نرسم الآن عشر لوحات
أخرى ثم عشرا، ثم عشرا، ونكيل المال، ثم نكيل المال،
ولكن الفكرة ليست كذلك أبدا!

لودفيك: ما هي الفكرة إذن؟

سفين: تذكر أشعارك مرة أخرى، تذكر جهادك في سبيل
كل كلمة! وتذكر رفض "فاندلر"! ورغم ذلك ثابت على
العمل. والآن؟ قصيدة "قهقهة" التي ظلت ليالي كاملة تكتب
فيها وتجوّدها، أمازلت تستطيع أن تنشدها؟

لودفيك: نعم، طبعاً!

سفين: إذن أنشدها مرة أخرى الآن! هيا!

لودفيك:

كلب مربوط بسلسلة طويلة سيقانه غليظة وغير مستقيمة
وله فوق ذلك ذيل خانس ويجب أن يدعى بـ... أن

يدعى ب...

سفين: نعم، كيف يحب أن يدعى؟
لودفيك: إممم! آه، تذكرت: باسم فرانتس.
سفين: وماذا بعد؟ ماذا تقول بعد ذلك؟
لودفيك:

قابله آخر بفتلة قصيرة معلقة بيد فتاة صغيرة
أذانه كانت كبيرة منتشرة وكان مولودا ولادة مبتسرة
فجأة استلقى الكلبان على فدوت... إممم! فقال المارة....
القفا

انتظر!...، لا، دقيقة واحدة! فجأة استلقى الكلبان في
المكان، لا، كان مولودا ولادة مبتسرة، ثم وُلد
كثيرون....

سفين: رأيت؟! لم تعد تحفظ شعرك أنت.
لودفيك: نعم.

سفين: لقد فقدت ذاتك في بحر من كرات التنس.
لودفيك: أتعني هذا حقا؟

سفين: وهل تعرف ماذا تكون أنت؟ أنت أيضا مجرد كرة
تنس، كرة تنس بين ملايين الكرات التي يشبه بعضها بعضا.
لودفيك: أوه، ربما تكون محقا.

سفين: نعم بالتأكيد أنا محق، كرات التنس ليست مهمة،
الكافيار ليس مهما، المال ليس مهما!

لودفيك: نعم ولكن ما المهم إذن؟

سفين: الفن هو المهم، مكانتنا في التاريخ، الخلود.
لودفيك: نعم هذا رأيي أيضا.

سفين: الحدود.

لودفيك: ماذا، الحدود؟ في بولندا؟
سفين: لا ينبغي علينا أن نذهب إلى الحدود، أو أن نبلغها،
بل يجب أن نتخطاها.

لودفيك: نعم نعم.

سفين: يجب أن نصبح خالدين.

لودفيك: نصبح خالدين...

سفين: نعم، نصبح خالدين، ولا يجعلنا خالدين سوى....

لودفيك: إمام... الموت.

(لحظة تفكر.)

لودفيك: أتعني...

سفين: نعم.

لودفيك: ولكن... سنكون ميتين بالفعل.

سفين: تدبر معي! كل الفنانين الكبار ماتوا ثم بعد ذلك

مباشرة أصبحوا مشهورين جدا.

لودفيك: مثل بوب روس.

سفين: نعم، بوب روس طبعاً، ولكن أيضاً مارلين مونرو،

جيمس دين، ميلز دايفس، بيكاسو.

لودفيك: أنت تعني، أننا ينبغي أن نقتل أنفسنا؟

سفين: نعم، هذا ما أعنيه تماماً.

(مرة أخرى لحظة صمت يملؤها تفكر، أثناء ذلك

يعبت لودفيك

بكرات التنس.)

لودفيك: الآن أم متى؟

سفين: نعم الآن، سنصبح خالدين، وستكون لوحاتنا

المرشوشة هي وصايانا.

لودفيك: وصيتنا إلى عالم لا يعنيه شيء إلا المال.

سفين: تسوية لحسابنا معه.
لودفيك: نعم، نريد أن ننذ كل الأشياء الدنيوية، وأشد
صور النبذ تطرفا هو التماهي في اللاشيء.
سفين: أصبت، سنحظى بشهرة عالمية، سنكتب عنا كتب.
لودفيك: تماثيل من المرمر سنتصب في ميادين القرى
تكريما لنا.
سفين: لا، تماثيل المرمر بالذات سنمنعها تماما في
الوصية، هذا إعجاب بالنفس.
لودفيك: حسنا، ممنوع تماثيل، ولكن الأطفال سينشدون
أشعاري في مدارسهم.
سفين: ومعها قصيدة "قهقهة".
لودفيك: وكذلك سلسلتي الشعرية "تسونامي".
سفين: انظر! معي هنا حمض "بروسيك".
لودفيك: يالها من زجاجات جميلة!
سفين: عندما تكون مستعدا، ويصبح الأمر بكامل إرادتك،
سنشرب هذا السم سويا.
لودفيك: أريد أن أنشد قصيدة وداع.
سفين: لا، ليس لدينا وقت لذلك، هاك! سنشرب هذا الآن،
ثم بعد ذلك يعثرون علينا، ويحملون جسدنا الخامدين
الموسدين على الورود عبر شوارع برلين.
لودفيك: ويصحب الجنازة فتيات صغيرات يبكين، ويتقدم
الموكب الرئيس هورست كولر، يتبعه الوجهاء والأعيان
بملايس رسمية مهيبة.
سفين: وتعزف أوركسترا برلين موسيقى جنازية بقيادة
"كلاوديو أبادو" Claudio Abbado، ويمنع المرور في كل
مكان.

لودفيك: وتنكس الأعلام في كل ألمانيا.
سفين: أسبوعا كاملا.

لودفيك: بل شهرا، ويمنع الحديث حتى بالنسبة للأطفال.
(يفتح سفين ولودفيك الزجاجتين، يجرع لودفيك زجاجته
على الفور، أما سفين فيرفع زجاجته إلى فمه، لكنه لا يضعها
على شفثيه، بل يحاكي بلسانه صوت زجاجة تُفرغ ما بها،
يسقط لودفيك على الأرض ميتا.)

(يذهب سفين إلى الدولاب ويخرج حبلا من القنب سابق
الإعداد، يعقد الحبل حول رقبة لودفيك، ثم يضرب أزرار
هاتفه متصلا برقم ما.)

سفين: ألو، جاليري "هوي"؟ السيد كلوستر؟ أنا سفين، من
الثنائي لودفيك وسفين، حدث شيء فظيع، لقد شنق لودفيك
نفسه، نعم منذ لحظات، لم يستطع أن يتحمل كل هذا، مأساة،
نعم، لم يقو على تحمل النجاح المفاجيء، كان حساسا جدا،
نعم، إنها روح فنان حقيقي.

١٠

(معرض فني في جاليري "هوي"، لا يزال المكان شبه
خال من الزوار، على الجدران تتدلى لوحات جردا بروفيت
العشر المرشوشة وقد رُكِّزت عليها الأضواء بعناية، على
الأرض في منتصف القاعة يُبسط رداء أبيض من الكتان
ينقاطر عليه من أعلى سائل بني اللون، يقوم برونو كلوستر
بتقديم سفين إلى الضيوف الذين يفدون على المكان.)

برونو كلوستر: ها، "رودولف فون بولجارين" Rodolf von Bulgarien! أود أن أقدم لك سفين، أحد الثنائي الفني لودفيك وسفين.

سفين: لي الشرف، سموك!

برونو كلوستر: وها هو "لارس فيندهورست" Lars Windhorst، بالتأكيد تعرف برج "فيندهورست" في شنغهاي.

سفين: تشرفنا!

كلوستر برونو: هورست كولر، الرئيس الألماني، أي شرف هذا!

سفين: فخامة الرئيس!

(يشير الرئيس باهتمام إلى الرداء المبسوط على الأرضية وقد تكونت عليه أشكال فنية بالنقاط والرش.)

هورست كولر: ما اسم هذا النوع من الفنون؟

سفين: نحن نسميه "الرسم بالتقطير".

(يأخذ برونو كلوستر سفين وينتحي به جانبا.)

برونو كلوستر: هذا نجاح كبير لنا جميعا، كم هو مؤسف ألا يعيش لودفيك معنا هذه اللحظة.

سفين: لكنه - في رأيي - مرتبط الآن بالمعرض بطريقة رائعة للغاية، أنا أعرف أن هذه الترتيبات موافقة لروحه تماما، لو كان هنا لقام بالعمل كما قمنا به بالضبط.

برونو كلوستر: بالطبع، أنا واثق من ذلك، وإذا تسنى لي أن أتحدث إليك مرة أخرى بخصوص معرض "فريز" في لندن فلتقل أنه بالنسبة للوحات العشر الجديدة لا يزال ممكنا جدا، حيث أن لودفيك لم يعد معنا.

سفين: بكل تأكيد، لا تقلق أبدا! عشرة، عشرين، هذا لا يمثل فارقا بالنسبة لي، وكما تعلم...

(يتلاشى الحوار بينهما في خضم تمتات تتعالى شيئا فشيئا من قبل الزوار الذين ملأوا الجاليري عن آخره، ترتفع التمتات حتى تتحول إلى كورال من المحادثات الجماعية، لا يكاد المرء أن يميز منها كلمة واحدة.)

(من أعلى، فوق الرداء الأبيض المبسوط على الأرض يتدلى بالتدرج زوج من الأحذية، ثم رجلا سروال يقطر منهما سائل بني وأصفر يسقط على الرداء المبسوط، يظل الشيء ينخفض وينخفض وهو يستدير حول نفسه ببطء، إنه لودفيك مشنوقا.)

(يفتح باب مرتفع قليلا عن أرضية المسرح بحيث يرتقى إليه بعتبات صغيرة، موسيقى، يدخل المخنث الهرم في كامل زينته النسائية وينزل عتبات السلم ببطء وهو يغني أغنية مسجلة هي الأغنية الإسبانية الحزينة Puro Teatro، أثناء غنائه يخلع عن نفسه مظاهر التحنث النسائية: الرموش الصناعية، الفراء، الثديين الزائفين، الشعر المستعار، الشرائط اللاصقة التي تشد جلد وجهه، ثم يقف تحت لودفيك المشنوق، يختلط السائل البني والأصفر بمكياج وجهه فيلطخه بيديه.)

Playback

Igual que en un escenario,
finges tu dolor barato
tu drama no es necesario,
ya conozco ese teatro.
fingiendo, que bien te queda el papel.

después de todo parece
que es esa tu forma de ser.
Yo confiaba ciegamente,
en la fiebre de tus besos.
mentiste serenamente
y el talón, cayó por eso. uhmm!!
Teatro, lo tuyo es puro teatro
falsedad bien ensayada,
estudiado simulacro..
Fue tu mejor actuación,
destrozar mi corazón ..
y hoy que me lloras de veras,
recuerdo tu simulacro.

Perdona que no te crea, me parece que es teatro.

مثلما يكون على خشبة مسرح
تتظاهر بالملك الرخيص
مأساتك ليست حقيقية
فأنا أعرف هذا المسرح
تتظاهر بأن الدور يناسبك
وفي النهاية تظهر الحقيقة
ويتضح أن هذا أسلوبك أنت
وأنى فى حمى فُبلاتك
كنت على ثقة عمياء
كنت تكذب بهدوء
إلى أن انكشف سترك
مسرح، مسرحك هو مسرح خالص
زيف مجربٌ بشكل جيد
خيال مدروس
وكان أفضل أعمالك
تحطيم قلبي
واليوم تبكىنى بشدة
فأذكر شبحك
عذرا، فأنا لا أصدقك، يبدو لى أنه مسرح

(إسدال الستار)

كل المنسيات تتراكم تحت السقف زيارة إلى أفغانستان/ ٢٠٠١

لم أعد أشعر بنصف يدي اليسري، فقد نامت من البنصر حتى باطن الإبهام، أصبنا بهذا دفعة واحدة، أنا وعليّ وباربارا، ظننا أن السبب يكمن في التدخين، وظللنا وقتنا طويلا دون أن يرغب أحد منا في الذهاب إلى الطبيب خوفا من أن يكون الوقت قد تأخر كثيرا، كنت أشعر بوخز وحكة وكأني أقبض على وسادة من الأشواك، وكلما ضغطت عليها تداعي الجلد لذلك وأصبح لونه أبيض كأنما أحرقتة الشمس بشدة، لم يكن ثمة ألم في الواقع، فقد كان الإحساس مفقودا بالكلية.

كانت دواعي السفر إلى أفغانستان كثيرة - أصبح عدم الشعور بالأطراف أكثر سوءاً - إذ كان المتحف القومي في كابول يقدم عرضا عظيما ورائعا لمجموعة تماثيل شبه وثنية مصنوعة من الخشب جلبت من "نورستان"، كما كان المخرج الفرنسي "كريستوف دو بونفيلي" Christophe de Ponfilly يخرج فيلما سينمائيا في أعالي البلاد في وادي "بنشير" علي بعد خمس ساعات بالسيارة شمال كابول، وتبين فيما بعد أنه يعمل في ظروف أقل ما يقال عنها أنها صعبة.

وبنشير وادي معروف جيدا، إذ كان معقلا لأحمد شاه مسعود وجيشه، أسد البنشير والقائد العسكري لتحالف الشمال، قاهر السوفيت وقاهر طالبان، بطل الأبطال وأكثر المجاهدين هيبه وحضورا. لقي مسعود حتفه في التاسع من سبتمبر لعام ٢٠٠١ جراء هجوم شنه تنظيم القاعدة كمقدمة للسفوفنية العظيمة "مركز التجارة العالمي"، التي حدثت بعده بيومين، فقد ادعى اثنان من العرب أنهما فريق تصوير مغربي وقاما بتفجير نفسيهما بآلات تصويرهما المفخخة على مسافة قريبة جدا من أحمد شاه مسعود، الذي مات بعدها بنصف ساعة متأثراً بجراحه. كان أحمد شاه مسعود دائما ما يثق بالمصورين وآلاتهم، وكثيرا ما تطوع بإجراء محاورات مع كل من أتى إلي واديه منهم، وقد سمح لمخرج أفلام وثائقية فرنسي، وهو الصديق القديم كريستوف دو بونفلي، باصطحابه لمدة سنوات على مدار فيلمين.

بدأت الرحلة على متن طائرة أفغانية تابعة للخطوط الجوية الأفغانية "أريانا" من ميناء إسطنبول الجوي بالغ الكابة والذي يبدي مظاهر زائفة للحدثة العالمية عن طريق الإكثار من حانات البوب الإيرلندية المضاءة بمصابيح الهالوجين، وقد تأخر إقلاع الطائرة لمدة ست ساعات، كان بعض الأمريكان يققون على أرض المطار بجوار الطائرة مرتدين نظارات شمسية وأحذية ثقيلة، وتحت المحرك أمريكي آخر من الواضح تماما أنه شاذ جنسيا، كان يتحدث في هاتف مثبت على أذنه وهو يؤرجح يديه بقوة، بالإضافة إلى أمريكيين يقفان عند جرار الحقائق ورجل يرتدي أوفرول لا يبدو من ملامحه أنه تركي كان يوجه الطائرة إلي الممر بعصاتين ضوئيتين.

صعد زنجيان قويا البنية يرتديان سُترات فسفورية إلى الطائرة وتفحصا غرفة قيادة الطائرة أولا، ثم أخذوا يمسحان كل الشقوق بِخِرَق فاتحة اللون، ثم فتشا الركاب واحدا تلو الآخر، وقارنوا الأسماء بقائمة علي لوحات كتابة إلكترونية، ثم جلسا في المقدمة بالقرب من غرفة القيادة وطارا معنا، كانت حركتهما بطيئة، منهجية، متشككة، كانا يشربان بحذر من زجاجات مياه معدنية صغيرة جلباها معهما، جلسا صامتين، أنظارهما إلي الأمام، لا تنتظر عبر النافذة إلي الخارج.

طرنا فوق الأناضول وكردستان، ثم فوق الهضبة الإيرانية، ومرت

من تحتنا سريعا مدينة "مشهد"¹ بتناسقها الرائع، ثم تلتها في النهاية قفار صحراوية رتيبة يوحي لونها البني والأصفر وكأنما سُجِّي العالم بغطاء من تراب: جبال متشابهة على الدوام، كأنها موجات تَغْشَى صفحة بحر بني قذر، أحيانا كان الصقيع يبدو من فوق قمم الجبال، إلا أنه أيضا كان متسحا ومبرقتشا بصخور موزعة بعشوائية كحبات فلفل أسود على تلال من الملح، كانت تلك أفغانستان.

من حين لآخر كان أحد الأمريكيين ذوي السترات الصفراء يتفقد المراحيض الخلفية، لكن لم يسفر ذلك عن شيء، حلقت الطائر فوق كابول في مسارات متداخلة كحلقات البصل، لم يكن تحليقا طبيعيا سلسا، وإنما حلزونيا متقاربا حتى لا تغدو هدفا سهلا للصواريخ، وأعقب هذا التحليق هبوط سريع متقلقل.

¹ مشهد أو طوس كما كانت تسمى قديما من كبريات مدن ايران ومن اعظم مدن خراسان ، فتحت في أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان. (المترجم)

وجوه برونزية خشنة: طاجيك، هزاره، بشتون، وأوزبك. كثير من الرجال المدججون بالسلاح. تُفحص جوزات السفر في حاوية خضراء مصنوعة من الصفيح المموج. يدخن الركاب السجائر واحدة تلو الأخرى. تُخرج شرطة المطار زجاجات الويسكي من حقائب الركاب الهنود الذين يسبون ويلعنون، ثم يستسلمون للأمر في النهاية عندما يرون الأفغان يلوحون بغضب وقد عظمت أبدانهم وعلت هاماتهم.

أخذ سائق التاكسي يصيح "فليحيا هتلر" Heil Hitler، فهو - كما يقول - يحب الألمان ويحب هتلر، ويستحسن فكرة عودة جنود ألمانيا إلى كابول مرة أخرى. ويرى أن الأفغان والألمان هم في النهاية من الجنس الآري، هكذا قال السائق ثم انطلق.

كان للنفوذ الألماني تاريخ طويل في أفغانستان - أول من قدم إليها "فرنر أوتو فون هنتينج" Werner Otto von Hentig و"أوسكار فون نيدرماير" Oskar von Niedermayer (حاج ميرزا) الذين قاما بزيارة أمير كابول عام ١٩١٥ ليزاحموا الروس والإنجليز على مسرح السياسة الدولية، أو ما يسمى "اللعبة الكبيرة"، بالرغم من أن ألمانيا لم يكن لها أي دور كبير من قبل، ولم تصبح قوة استعمارية إلا متأخراً جداً. في عام ١٩١٥ وبتكليف من وزارة الخارجية القيصريّة حمل ضابط المدفعية البافاري الشاب "نيدرماير" لأمير كابول رسالة من "فيلهيلم الثاني" Wilhelm II يقدم فيها عرضاً للتحالف، يضع بها حجر الأساس لتعاون أفغاني - ألماني دام قرابة قرن من الزمان في المجالات الاقتصادية والتعليمية والثقافية والعسكرية. بعد ذلك بأعوام قليلة عرض "ألبرت شبير" Albert Speer لأمير أفغانستان خططاً لإعمار كابول

لم يتبقَ منها إلا طريق مشجر مستقيم طوله كيلومتر واحد يربط وسط المدينة بالقصر الملكي الذي تم نسفه مؤخرا. هناك إذن سبب كاف لمجيء "الشركة الألمانية للتعاون التقني" Gesellschaft für Technische Zusammenarbeit" أولا، ومن بعدها معهد "جوته" الذي نقل إلى مبني سفارة ألمانيا الشرقية السابقة، وهو مبنى فخم من الستينيات، في الطابق الأول منه جلس الدكتور "نوربرت شبيتس" Norbert Spitz وتحدث حديثا مطولا لمدة ساعة بالضبط عن صعوبات التواصل الثقافي في هذا البلد. كان إنسانا مهذبا للغاية، ناولني فنجانا من القهوة المفطرة، ثم دعاني في النهاية لحضور مهرجان الشعر المزمع إقامته في شهر نوفمبر بمدينة "هيرات".

يقع "فندق مصطفى" على الجانب الأيسر خلف شارع "تشيكن"، وكان بار هذا الفندق يعتبر واحدا من الأهداف المفضلة لهجمات الصواريخ والقنابل اليدوية، لذا كانت ستائر الطابق الثاني مسدلة ليل نهار. على طاولة البار تناثرت زجاجات بيرة ماركات "بود لايت" و"ستيلا أرتويز"، في السقف نُبتت مرايا صغيرة تنعكس فيها أضواء مائة شمعة، بين الحين والآخر ينقطع التيار الكهربائي، فيدور أحد المولدات وتتواصل موسيقى البوب الهندية من شريط تسجيل، وينزل في "فندق مصطفى" تجار العقارات الأتراك ووكلاء السيراميك الأمريكيان وجنود مرتزقة من جنوب أفريقيا، وسماسرة استخبارات باكستانيون، وينزل فيه أيضا الممثل "هنينج كوبر" Henning Kober عندما يزور كابول. كل هؤلاء يلتقون معا في بار "فندق مصطفى" ويشربون

البيرة، وكل شهر يطلق أحد هؤلاء الرجال رصاصة في السقف، رغم منع حمل السلاح في الفندق منذ فترة طويلة. كانت مدينة مظلمة، مشوقة جدا، فقيرة جدا، من يتجول ليلا - وهو أمر لا ينبغي فعله - يسمع في طريق عودته إلى منزله أصوات مئات الأشخاص تتناهي إلي مسامعه تأتيه من نواصي الطرقات، ومن الأحرش، ومن خلف الأسوار العالية

أرأيت كيف تنتقل الذبابة علي قطعة سكر؟ يا هذا؟ من الذي يتحدث؟ من الذي يتذكر؟ صوت من هذا؟ "لقد فعل "الطاجيك" هذا: ربطوا "الهزاري" بسلسلة وعلقوه على خطاف وقطعوا أذنه وألقوا بها في أحد الأركان."

"وقد فعل الهزاره هذا: نشروا جمجمة بشتوني ميت وسكبوا الزيت المغلي في رأسه، علي مخه، وأخذت الجثة ترتعش وتتراقص كما لو كانت علي خشبة مسرح." "وقد فعل البشتون هذا: قيدوا يدي أحد الطاجيك خلف ظهره وأطلقوا الرصاص علي ركبته اليسرى، ثم أجبروه علي الوقوف فوق الجليد حافي القدمين، وكلما انحنى أو ضعفت ساقه المهشمة عن حمله هددوه بإطلاق النار علي ركبته الأخرى، وكانت ليلة قاسية البرد، وظلوا يلعبون به هكذا لساعات طويلة، وفي النهاية أطلقوا الرصاص علي رأسه وانصرفوا."

وماذا بعد؟

"الشيشانيون كانوا الأسوأ علي الإطلاق، رجال ضخام بلحي مظلمة ورؤوس حليقة لونها أسود مائل للزرقة، كانوا كالحيوانات، عندما أتوا تحولنا إلى الجانب الآخر من

الطريق، وثبتنا أعيننا في أرض الشارع حتى لا نضطر إلي النظر في أعينهم، لما انسحبت حركة طالبان من كابول، تحصن ستة شيشانيين في مُتَنَزَّه "شاريناو"، وأخذوا يطلقون النار بعشوائية من داخل المتنزه علي كل شيء يتحرك: أطفال، سيارات أجرة، شيوخ، أيا كان فالأمر عندهم سيان، ثم لفوا على أجسادهم مواد ناسفة وعزموا على تفجير أنفسهم عندما يأتي الأمريكيان، إلا أن قناصة من تحالف الشمال أطلقوا عليهم الرصاص وأردوهم قتلى. لكن هذا لم يغير شيئا، فهم اليوم صيادو جوائز مالية للإيقاع بالمطلوبين، "اكسكيوتيف أوتكُم" Executive Outcomes، مرتزقة، هؤلاء الناس، عندما نراهم نتحول إلى الجانب الآخر من الطريق ونظل ناظرين إلى أسفل."

من الذي يتحدث الآن؟ ذكريات من هذه؟

"يجلب الظلام خوفا مبهما يصبح بعد قليل واضحا، محددا، ملموسا يشد الحواس: أتمشى ليلا، أرى أضواء نيون على كشك كباب، دخان، بركة مياه صغيرة، أسمع صرير الإطارات، تتبعتها صيحات وتعليمات، تعترض إحدى السيارات الطريق من الأمام، تحكم أخرى الحصار من الخلف، يقفز الرجال من السيارات، يلبسون كيسا من الكتان في رأسي، يخفضون رأسي بجوار المقعد الخلفي، أشم رائحة السيارة، رائحة جلود الأحذية، رائحة الصنادل والأقدام. تنتطلق السيارة، أقبع في وضع القرفصاء، أسمع الهمسات. ثم بعد وقت طويل يرفع كيس الكتان، يخطف بصري ضوء ساطع، ثمة كشاف قوى يؤلم العينين، أحدهم يحمل كاميرا

¹ شركة أمن خاصة مشهورة على مستوى العالم شاركت في عمليات خاصة بدول مختلفة من العالم منها جنوب إفريقيا وسيراليون. (المترجم)

فيديو، وآخر يرفع لافتات لونها أسود في أخضر، رجال ملثمين مدججين بالسلاح، في يد قائدهم سكين طويلة النصل، ثم الذبح وفصل الرأس. الله أكبر، "War Porn".

وفي الصباح، عندما تبخرت الكوابيس وانبلج صبح كابول وأشرق

المدينة وعلت أبواق سيارات الأجرة، كانت الأصوات قد ذهبت أدراج الرياح، فركبنا إلى خارج المدينة حيث توجد الجبانة الأوربية، وهناك التقينا بحارس الجبانة الهرم "رامي مُلا"، الذي أرانا - وهو يحكي لنا بفخر أن "الملا عمر" ضربه ذات مرة - قبر الباحث المجري العظيم السير "أوريل شتاين" Aurel Stein؛ وقد مات رفيق دربه السيد "سفين هيدنز" Sven Hedins هنا في كابول عام ١٩٤٣م إثر أزمة قلبية.

هنا أيضا يرقد جنود قوات حفظ السلام الدولية ISAF، جنود بريطانيون وألمان وأسبان وضعوا على مقابرهم أكاليل الزهور. بينما طال الإهمال مقابر الشبان الهيبز الذين ماتوا هنا نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، وهم في غالبيتهم من الألمان، على شواهد قبورهم تقرأ أسماء مثل "مايكة" و"بريتا" و"شتيفان"، كانوا يلبنون نداء "فريك ستريت" Freak Street أو يتبعون رائحة "الأفغان السود" على طريق طويل من برلين أو شتوتجارت إلى كاتماندو حتى سقطوا في كابول، كانوا جنود الحب والسلام ذوي الشعر الطويل.

خلف وادي "بنشير" تقع ولاية "نورستان" - وهي كلمة تعني وادي النور - حيث كان "كريستوف دو بونفيلي" يخرج فيلمه، سكان هذا الوادي هم أحفاد الجنود المقدونين الذين جاؤوا مع الإسكندر الأكبر، هكذا يقال، وهؤلاء لم يُكرهوا

على الدخول في الإسلام إلا في أواخر القرن التاسع عشر، كانوا حمر الشعور، يزرعون كروم العنب ويعصرونها خمرا، ولهم طقوس لم يتخلوا عنها تماما إلى اليوم، وقد ترجع هذه الطقوس في أصولها إلى عبادة إله الخمر "دونيسيوس" عند الإغريق، وفيها يرقصون ويثملون من شرب الخمر، وتخرج نسائهم سافرات واثقات يأخذن إليهن من شئن من الرجال.

ويقع جزء من منطقة نورستان هنا في الأراضي الأفغانية، بينما يقع الجزء الآخر في منطقة "جترال" في باكستان، ولم يكن هذا سهلا على النورستانيين.

كانت تماثيلهم الخشبية التي لها ارتفاع رجل بالغ تعرض وقتها في المتحف القومي في كابول، أشكال رائعة، مليئة بالأسرار، نحتت من الخشب بعظمة وروعة بالغين، بعضها يعكس ملامح السيكتيين^١ والبعض الآخر يعكس ملامح الكلتيين^٢ أو الاسكيمو. وكان الكثير من هذه التماثيل الخشبية الرائعة مطليا بالغراء، مجموعة منها بلا أذرع، وأخرى بلا رؤوس، وثالثة بها آثار شقوق عميقة خلفتها فؤوس طالبان.

كان الدخول إلى وادي بنشير عبر طريق صخري بين جبلين ينفتح على الوادي نفسه الذي لا يزيد عرضه عن كيلومتر واحد، ويبلغ طوله قرابة سبعين كيلومترا. وعلى طول مدقات من الحصى والشقاف يمتد نهر زمردى سريع

^١ السيكتيين Schyths/Scythians هم شعب بدوي متنقل ينحدر من أصول إيرانية، حل محل السيريين الذي كانوا قد جاؤا من سهول روسيا، وقد نزح الإسكتيون من سهول أوراسيا إلى جنوبي روسيا في القرن ٨ ق.م، واستقروا بغربي نهر الفولجا شمال البحر الأسود حيث كانوا على صلة بالمستعمرات الإغريقية حول البحر الأسود. تعرف اليوم بشبه جزيرة القرم (أوكرانيا حالياً). (المترجم)

^٢ الكلث أو السلت Kelt هم أي مجموعة أوروبية تستخدم اللغة الكلثية التي تعتبر فرعاً من اللغات الهندو-أوروبية. بالرغم من أن الكلث اليوم منحصرون في الحافة الكلثية المزعومة في ساحل الأطلسي من جهة غرب أوروبا، فإن اللغة الكلثية كانت اللغة المهيمنة على أوروبا. (المترجم)

التيار، تعلق رغوته البيضاء في بعض المواضع، ويخترق الوادي كأنه شريط تبريد، وقد اصطفت على جانبي الطريق دبابات سوفيتية وصلت إلى الممرات السفلية ثم توقفت، حيث رقدت هياكلها المعدنية وكأنها جثث خنافس عملاقة عمياء ميتة، يلعب عليها الأطفال الآن.

بعد فترة وصلت سيارة الـ"لاند كروزر" ضريح الزعيم أحمد شاه مسعود الذي دفن على ربوة عالية، بالقرب من مسقط رأسه في قرية "جانجالك"، حتى يمكنه أن يطل على واديه الحبيب "بنشير"، داخل الضريح جلس شيخ كبير يصلي في ناحية من هذا المكان الهاديء على أرض القبر المستوية الخضراء.

خارج الضريح التقينا بفرنسي أبيض الشعر جميل الهيئة، أجرينا معه حوارا علمنا منه أن صديقه القديم ورفيقه في الحرب "كريستوف دو بنفيلي" يخرج فيلما على بعد عدة كيلومترات شمال الوادي، قال صاحبنا أنه يرغب بقوة في الذهاب معنا، وقدم نفسه إلينا، كان هو الجنرال "موريلو" Morillon، القائد السابق لقوات الأمم المتحدة، الرجل الذي منع هو وجنوده وقوع مجزرة سربرنيتشا¹ على مدار عامين كاملين، ركبنا معا إلى مكان التصوير، وبدا أن "كريستوف دو بونفيلي" سعيد باللقاء، تم تصوير كل شيء، ثم حضر العشاء: أرز وشاي وفتائر "نان" وخبز مفروء.

¹ سربرنيتشا مدينة بوسنية تقع بالقرب من الحدود الصربية، تقع إلى الشمال الشرقي من العاصمة البوسنية سراييفو، ومذبحة سربرنيتشا، مجزرة شهدتها البوسنة والهرسك عام ١٩٩٥ على أيدي القوات الصربية وراح ضحيتها حوالي ٨ آلاف شخص ونزح عشرات الآلاف من المدنيين المسلمين من المنطقة. تعتبر هذه المجزرة من أفظع المجازر الجماعية التي شهدتها القارة الأوروبية منذ الحرب العالمية الثانية. (المترجم)

جلس الفرنسيون وحدهم، وقد رغبوا أن يبقوا كذلك، بينما انضم خبراء التفجير الألمان إلى الأفغان، ليتناولوا الطعام معهم على الأرض، مر بنا صحفي سويدي من جريدة "تريبون دو جينيف" Tribune de Geneve، كان متجها إلى حدود نورستان شمال الوادي، ولم يكن معه من غطاء يلتحف به.

في المساء داخل المعسكر غطيظ، وغازات، وروائح كريهة، ومسامرات، كنا نرقد على الأرض، وكانت جدران المعسكر من الطين. وجد الناطقون بالألمانية أنفسهم معا بعدما انسحب الناطقون بالفرنسية إلى لغتهم الفرنسية وحجراتهم الخاصة، وأخذ الألمان يأكلون دبية من حلوى الجلوتين وبسكويت الـ"هانوتا" الذي جلبه خبراء التفجير معهم من "ليبيج" Leipzig.

- هل سيطول بقاءك في أفغانستان؟
- قد دعيت لحضور مهرجان الشعر المقام في "هيرات" في نوفمبر.
- في هيرات؟ في هيرات حيث يمشي الرجال ممسكين بزهور بين أسنانهم. أما هنا في بنشير فلا يفعلون ذلك، وفي قندهار أطاحوا الأسبوع الماضي برأس مهندس إيطالي.
- منذ سبعة أسابيع ونحن لا نأكل إلا الأرز، لم أعد أحتمل.
- يمكنك أن تمص مكعبا من مكعبات المرققة.
- اسمع: بفررررت.
- هاهاها!
- بفرررت-توووت.

في الخارج تعوي الذئاب على قمم الجبال، الذئاب الأفغانية الفضية، البرد قارس، وفي الداخل يحرق أحد خبراء التفجير أقدام زميله النائم الذي لم يستبدل جواربه منذ تلك الأسابيع السبعة، مستخدماً عبوة رش حارق مضغوطة، كان الفرنسيون أناس من طراز خاص، إذ بدا عليهم أنهم يعيشون الحياة بتركيز، فهم منسجمون مع العالم، أمزجتهم أقل بلغمية، وهم أيضاً علي مستوي عال من الثقافة، يلفون كوفيات حول أعناقهم، يتركون لحاهم بين الحلق والإعفاء، يتحدثون بالفرنسية في تحد واستعراض، وليس بالإنجليزية حتى وإن كانت الانجليزية هي اللغة التي يمكن أن يتوحد عليها الجميع من روس وألمان وأفغان وفرنسيين.

بدا الفيلم جيداً، فالشمس ساطعة، وادي بنشير خلاب، الأشجار المستخدمة كديكور، بساتين التفاح، البقاع الباردة كثيرة الظل، أشجار الخوخ والبرقوق، أشجار التوت الكثيرة التي لا تحصى بأنواعها المختلفة؛ فمنها الأسود والأبيض والأرجواني، أشجار الدلب، أشجار الحور السامقة الشاهقة، أشجار الصفصاف العطرة الحمراء والبيضاء، وأشجار الصفصاف المستحي، والمروج الخضراء، والجداول المتدفقة، والزهور البيضاء والصفراء، كل شيء يبدو رائعاً قد أحسن الله صنعه، والفنيان الروس الذي ارتدوا ملابس كملابس الجنود الروس يقومون بدوريات خلال بساتين التفاح، وأسلحتهم الكلاشينكوف في وضع الاستعداد، بينما يجلس المجاهدون القدامى الذين حاربوا السوفيت منذ ٣٠ عاماً على الأرض بجانب طاقم الإعداد يراقبون ما يحدث أمام الكاميرات، يتخللون لحاهم الرمادية الطويلة بأصابعهم، يتسمون ويأكلون المشمش.

وفي المساء أعلن عشرون كومبارسا عن رغبتهم في الذهاب إلى كابول للانتخاب. وطالبوا بأجورهم، فنوديت أسماؤهم واحدا تلو الآخر، وبصموا بحبر أزرق على قائمة، واستلم كل منهم بعض أوراق البنكنوت، ثم غادر العشرون المعسكر في جوف الليل؛ حيث لا تُقَل الحافلات أحدا إلى كابول، وإنما رغبوا في المشي، والفرنسيون يسبون ويلعنون، ولكن بلا جدوى.

في اليوم التالي غادر الجنرال ماريون، بطل سربرنيتشا، مسعود بطل البنشير، زاخا بوردو البطل الروسي الفرنسي في الفيلم، كريستوف دو بونفيلي، المجاهدون، الكومبارس، المستشارون العسكريون، المصورون، كانوا جميعهم أبطالاً هنا، كلهم برجولتهم أبطال بصورة أو بأخرى. ثم فُض المعسكر، وأصبح موقع التصوير في اليوم التالي على مسافة أبعد قليلاً أسفل الوادي.

أصابت الفتاة المسؤولة عن نص الفيلم نوبة بكاء ونحيب هستيرية فور رؤيتها المعسكر الجديد، والمرحاض الوحيد لا ينبغي نزحه، لكنهم نزحوه، فكان ينز ماء بني اللون ذو رغوة من ثقب في الحائط، لم يكن هناك كهرباء، ولا حتى شموع، تكومت السكرتيرة على كرسي من البلاستيك، ووضعت يديها على خديها وانخرطت في البكاء، فقال كريستيان دو بونفيلي أن الأمر سواء بالنسبة له، فلديه فيلم ينبغي تصويره، ومن لا يناسبه العمل هنا في أفغانستان فهو حر في الرحيل وقتما يشاء.

بعدها أملى دو بونفيلي ما يلي على محرر من جريدة "دي تسيت" die Zeit الألمانية كان هنا أيضا في وادي بنشير ينجز قصة لجريدته:

"وفي النهاية، حينما ينتهي تصوير الفيلم، لن أعود أبدا إلى أفغانستان. فكل ما يهم الناس هنا اليوم هو المال ثم المال ثم المال. أما الأفغاني النبيل فقد اختفى للأبد. الأفغاني الذي عرفته لم يعد له أدنى وجود. فلننسه، وأنا عندي ذكرياتي الخاصة، وداعا." في النهاية أيضا نسينا أن نذكر أن أيدينا ما عادت تفقد الإحساس، لم تتم بعدها أبدا، فقد أبرأتها أفغانستان.

نهاية الخيط (١)

مراسلة/٢٠٠٣

هو اعتراف بأن الطبيعة لم تمنحنا إلا طبقة واحدة من الجلد رقيقة جدا، وأنه على الكائن مرهف الحس أن يدع جهازه العصبي خارج جسمه.

ج.ج. باللارد^١

عزيزي السيد المحترم/ كراخت

نحن نعرب عن انبهارنا بكتبكم ومقالاتكم ونرجو من سيادتكم التكرم بكتابة مقال للطبعة المزمع إصدارها قريبا من "فيدجوال" Visuell، وهي مجلة تصدر بشكل غير دوري، وتعبّر عن رعاية البنك الألماني للفن بوجوهه المختلفة. ويسرنا دعوة سيادتكم إلى زيارة نيويورك، حيث سيتم إعلان مشروع "البحث عن الكلمة" Wordsearch لـ "كارين ساندر" Karin Sander في الرابع من أكتوبر في مكتبة نيويورك. والمشروع الثاني هو معرضنا بعنوان "رجل في المنتصف"

^١ كاتب بريطاني ولد في شنغهاي بالصين ١٩٣٠، اشتهر بأعماله الأدبية في مجال الرواية التاريخية والقصة القصيرة، يغلب على أعماله تناول موضوعات من الخيال العلمي والحداثة. (المترجم)

Man in the Middle الذي سيقام يوم السبت في متحف الـ"إرميتاج" Hermitage بـ سانت بطرسبرج . ويسعدني أن أرسل إليكم نسخة من مجلة "فيدجوال" والأوراق الخاصة بالمشروعين ويسرني أن أسمع آرائكم حول الموضوع، ومن المفترض اليوم أن تظن أن حضرتك قليلا لأن أحد الفنانين سوف يحكي على الغداء عنك وعن وجبة العشاء التي تناولها معك في بانكوك، وأثناء احتساء القهوة سيحكي أحد المصورين عن لقاء آخر معك في "باريسر بار" Pariser Bar في برلين ... هكذا هي الحياة في البنوك...

أرق تحياتي!

آريانا جريجوتايت

الرئيس العام لقسم الفن

السيدة القديرة/ جريجوتايت

شكرا علي رسالتك. فضلا أرسلني إليّ جميع الأوراق علي عنواني البريدي في بانكوك! ويفضل أن يكون ذلك عن طريق شركة "فيد اكس" Fed Ex للشحن، حيث أن الوقت سيكون ضيقا جدا. من هؤلاء الذين قابلتهم في برلين وبانكوك؟

مع أطيب أمنياتي!

كريستيان كراخت

السيدة القديرة/ جريجوتايت

أما عن رحلة الولايات المتحدة الأمريكية فلن أتمكن من القيام بها، وأما عن بطرسبرج فأستطيع أن أسافر إليها بسرعة كما قيل. فهناك رحلة مباشرة من بانكوك إلي موسكو

علي متن طائرة تابعة لشركة "إيروفلوت" Aeroflot للملاحة الجوية، ولكن متي تحبين تسلم المقال؟ سأكون في انتظار بريدكم ومعهم الأوراق الخاصة بالفنانين، وسوف أرسل لكم بعض الأفكار - Shoku.

مع أطيب تمنياتي!
كريستيان كراخت

السيد المحترم/ كراخت
من أو ما هو "Shoku"؟
أطيب تمنياتي!
أريانا جريجوتيت

عزيزتي/ أريانا جريجوتيت
Shoku باليابانية تعني "أنا مصدوم"، ولا تقال إلا عندما يأخذ المرء الأمور على غير محمل الجد، والفنات اليابانيات يضعن راحة أيديهن على أفواههن، ويرفعن حواجبهن ويقلن وهن متأثرات جدا: "Shoku"
تحياتي!

كريستيان كراخت

عزيزتي/ أريانا جريجوريت
الكتالوجات التي تفضلت بإرسالها، وصلنتني صباح اليوم- ولا بد أن أعلن أنني اندهشت، فلقد كانت البنوك في رأيي فاسدة الأجواء؛ ولست أدري هل البنك الألماني تورط أم أنه في الحقيقة يُحسن تحكيم وتقدير الأعمال الفنية، وهذا واضح

في اختيار الفنانين وفي العرض المصور للكتالوجات نفسها، ولقد أعجبنى مقال الصورة في "فيدجوال" (الرؤى الخاصة الموجودة في الافتتاحية) عن موظفي البنك الذين يرتدون أجهزة اتصال لاسلكية تعتبر بالنسبة لهم بمثابة أدوات فنية، سوف أكون مسرورا بالمساهمة بأي طريقة أستطيعها ويشرفني أن يُطلب مني ذلك.

ما نوع المقالة التي تريدان أن أكتبها؟ هل تريدانها في مثل طول مقال روزينكويست الذي يميل كثيرا إلى أدب الرحلات؟ كما قلت سابقا أرغب بشدة في السفر إلى سانت بطرسبرج، فهل يناسبك يومان في الأسبوع الأول من أكتوبر؟ فأننا أستطيع مواصلة الرحلة إلى فرانكفورت أو برلين، ثم أعود إلى بانكوك في الثاني عشر من أكتوبر، أو قريبا منه. ويمكنني، في أفضل الأحوال، أن أسافر إلى بانكوك ثم إلى موسكو ومنها إلى سان بطرسبرج ثم إلى فرانكفورت ثم إلى أعود إلى بانكوك.

فضلا أرسلني إليّ بأفكارك حول هذه الأمور بأسرع ما يمكن.

مع أطيب تحياتي!

كريستيان كراخت.

ملحوظة. لا تحضرني الأمسية التي كانت في "باريس بار" Paris Bar، فهذا البار كما هي طبيعته (مكان يكثر فيه الشرب)، ولكن يبدو أن في الذاكرة شيئا عن تناول العشاء مع "ريركريت تيرافانيجا" Rikrit Tirvanija ومع شلة كبيرة من الناس، وعن استفاضتنا في الحديث عن "هانس أولريش أوبريست" Hans-Ulrich Obrist ... ربما كانوا كلهم هناك كما تعلمين. (أسبراي جاك؟) اغفري لي ضعف ذاكرتي.

اليوم اصطحبت كلبا كبيرا إلى منزلي دهسته سيارة نيسان في شارعنا وسحقت رجله اليسرى حتى صارت أشلاء، أخذته إلى مستشفى الكلاب مصطحبا معي بعض الأصدقاء التايلانديين، وقد أجريت له عملية في فخذ، لكنني أخشى أنه ربما تبتر رجله، وهو يرفض تناول طعام الكلاب المقلب، ولأن كلب تربي في شوارع بانكوك فهو معتاد على تناول قطع لحم الخنزير والدجاج المتبله جيدا، وثمة شيء مثل الفرو الأبيض يطوق أنفه وفمه وقد قال الطبيب أنه ليس مولودا به في الحقيقة، ولكنه حدث نتيجة ربط فمه برباط من المطاط الصناعي، ولا بد أن بعض الأطفال التايلانديين الأشقياء فعلوا به هذا، وأنا أمل أن يكون أكثر سعادة هنا برغم ما حدث. كانت الشمس غائبة طوال اليوم، مع أن فصل الرياح الموسمية قد عاد من جديد، أغلب الظن أنني لن أكل اليوم على الغداء سوى سلاطة، وأنا عادة لا أشرب الخمر أبدا قبل الرابعة مساء، ورغم أننا ننتظر هذا المساء زيارة عصابة من السمجين، من بينهم السكرتير الثاني وزوجته، هذا اليوناني البدين، إلا أنني لن أبدا الفعاليات مبكرا، أعدك بذلك.

عزيزتي/ آريانا جريجوتيت،

سأسافر الآن مباشرة وقبل أن أتحدث معك ثانية، وسوف أتدبر أمر تأشيرة السفر إلى روسيا عبر الإنترنت، فقط أخبريني مع من أتكلم في سان بطرسبرج؟ هل يعلم هؤلاء الناس أنني ذاهب إليهم؟ وهل يمكنك أن تتركي لي أسماء معارفك في الفندق الأوروبي؟

تحياتي!

كريستيان كراخت

عزيزي / كريستيان كراخت

وهو كذلك، رحلة سعيدة! الدكتور "بوريس أسفاريتش" Boris Asvarich هو أمين قسم الفن الألماني هناك في متحف الإرميتاج، فضلاً عن إرسال إليه بريدا الكترونيًا.
مع أطيب تحياتي!
أريانا جريجوتيت

عزيزتي / أريانا جريجوتيت

الكلب نائم الآن والحمد لله، والناس بالطابق الأسفل في ضجيج وسكر وعريضة، وقد أحضر السكرتير الثاني اليوناني معه بعض الكيتامين، وأستطيع سماعه وهو يتقافز على سقف غرفتنا القبيحة القريبة من الشارع. ليته يرحل بمخدراته إلى أي مكان آخر.

ها هو السفير الصومالي قادم، عزيزي محمد، الرجل القدير جدا. ليس من المفترض أن أخبرك بهذا، ولكنه بدأ يطوف بانكوك بعربة مكتوب عليها "للبيع" مليئة بالكتب التي كتبها بنفسه عن أزمة الصومال، ولأنه لا توجد حكومة حقيقية في الصومال، فإنه بالطبع لا يتقاضى من حكومته أي شيء، وبالرغم من ذلك فقد ظل سفيراً للصومال، إنه عالق هنا في بانكوك مع كتبه، وهو على وشك الاضطرار إلى حضور حفلات الدرجة الثالثة مثل حفلاتنا وسرقة الطعام من البوفيه. على كل حال قد أخبرتك الآن، في الخارج بدأ المطر ينهمر من جديد، والشوارع كلها غارقة في المياه، ومع ذلك فبانكوك من أروع الأماكن. أنا مبتهج جدا بسفري إلى روسيا صباح الغد. وأسمع أن "أبروفلوت" مذهلة.
أطيب تحياتي!

كريستيان كراخت

عزيزتي / أريانا جريجوتيت

وصلت صبيحة اليوم إلى سان بطرسبرج ، لقد كانت المراحيلض على متن الطائرة "إيروفلوت" رائعة للغاية، ثمّة نافذة مستديرة مرفوعة على الجانب تسمح أثناء غسل الأيدي بالنظر إلى الخارج، كانت زرقة سماء النهار تختفي كلما نظرت ببطء إلى أعلى، وتبدو كأثر من نور الشمس في زرقة الليل التي تغمر الوجود.

كانت "سان بطرسبرج" مكللة بشعاع بلطريقي فاقع الصفرة وقد مالت الشمس فاستطالت ظلال البشر على حوائط البيوت، ومن بعض المستنقعات امتدت في السماء أشجار الخريف وكأنها أصابع غليظة لسيدة عجوز، تناولت كوبا من الشاي في حجرة بفندق "جراند هوتيل دو يورب" Grand Hotel d'Europe، ولم تكن هناك رسائل منك، وبعد اتصال هاتفي دام ساعات علمت أن "بورس أسفاريتش" أمين قسم الفن الألماني بمتحف الإرمياج مسافر في رحلة إلى ألمانيا تستغرق ثلاثة أسابيع، وقد قرأت في جريدة "نويه توريشر تشايتونج" Neue Züricher Zeitung أن هذه الرحلة عبر روسيا والتي أقرأ فيها بعض أعماله لم تلق ترحيبا كبيرا لدى الجمهور، وقد كتبت الجريدة أن الناقدة الأدبية المرموقة "باربارا سموروفا" Barbara Smurova حكمت علي كئيب أنها ثرثرة فارغة مملّة وأن لقاءاتي الأدبية فارغة. وبالأمس قابلت "باربارا سموروفا" في موسكو، وهو شاب لطيف جدا يستخدم لعمله كناقدا اسما مستعارا لشخصية امرأة في رواية لـ "نابوكوف" Nabokov.

مع أطيب تمنياتي!
كرستيان كراخت

عزيرتي الأنسة/ "سموروفا"

لقد سعدت بتناول الغذاء معك في موسكو بالأمس، هل قرأت جريدة "نويه تسوريشر تسيتونج"؟ يا للغرابه! لقد كتبوا أنني كنت في جولة كُتبت إلي روسيا، وهذا أمر غير صحيح علي الإطلاق، فقد طلب مني البنك الألماني أن أكتب عن المتحف الألماني هنا في "سان بطرسبرج" وعن الفن الألماني، كل الموضوع أنه ليس هناك أحد يصحبنى في جولة حول المدينة، هل من أحد تعرفه هنا ربما يهتم بقضاء بعض ساعات قليلة في جولة خاطفة حول "لينينجراد".

مع أطيب تمنياتي!
كرستيان كراخت

عزيري السيد/ كراخت

أخبرني "ستانيسلاس جريدا سوف" أن بعض الجرائد في زيوريخ اقتبست وجهة نظري عن روايتك ١٩٧٩ قائلين أن كتبك مملة، وآسف أنا لا أذكر شيئاً آخر مما قالوه، ولذا فأنا أظن أنني ناقد فظيع، إذا لم يستطع الناس أن يفهموا ما أردت قوله، لقد تركت رواية ١٩٧٩ انطباعات جيدة عندي، وأعتذر عن إنجليزيتي الخرقاء، حسنا، وعلي كل حال فإنه يبدو أنني لم أكن قادرا على التعبير عن مشاعري بالروسية جيدا. لقد أردت من وجهة نظري أن أتحدث عن الفراغ الغريب الذي شعرت به في كتابك، وأنا لم أعن أبدا فراغ الحبكة أو ما شابه ذلك. وإنما كنت أتحدث عن فراغات داخلية تكمن في

كل إنسان، وكان يبدو لي أن هذا الفراغ يمكن أن يُملأ بأشياء من أنواع مختلفة، كالتمسك باتجاهات معينة من الموضة، أو بعض الأفكار السياسية، أو أي شيء بوجه عام، إنه أمر لا يشغل البال كثيرا، ربما يكون هذا ما لم تكتب عنه، لكنها الطريقة التي كنت أقرأ بها كتابك، علي كل حال أردت أن أعبر عن شكري لك علي هذا الكتاب، وأخبرك أنني آسف حقا علي أن ترجمة وجهة نظري قد تم تحريفها في السويد.

المخلص

باربارا سموروفا

ملحوظة: لعلك تحتاج للاتصال بالسيد "ميخائيل براشينسكي" Mikhail Brashinsky في سان بطرسبرج، فهو شخصية مرحة ومثقف جدا.

عزيزتي / آريانا جريجوتيت

ظللت طوال النهار أتجول بصحبة المخرج "ميخائيل براشينسكي" في متاهة "لابرينت" Labyrinth في متحف الإرميتاج. واختبأنا في دواليب إمبراطورية وشاهدنا الساعة العظيمة الخاصة بالقيصر، وهي عبارة عن بيضة ذهبية هائلة، موجودة في غابة ذهبية من فطر عيش الغراب، ويحميها طائر العنقاء الخرافي المصنوع من الذهب أيضا، ويقع معرض البنك الألماني في حجرة خلفية يصعب الوصول إليها. وفي المعرض ترى كيف يسقط ضوء بلطقي لبني اللون على رسومات "بويس" Beuys، وقد أراني ميخائيل براشينسكي مربع "مالفيتش" الأسود مرة ثانية ومراحيض الرجال الفخمة بمتحف الإرميتاج، ثم ذهبنا إلى حجرة الضيوف وهناك أكثرنا من شرب الفودكا، وتناولنا

البصل الفضي الصغير المخلل في الملح- بالمناسبة ما هو اسمه؟

مع أطيّب أمنياتي!
كريستيان كراخت

عزيزي/ كريستيان كراخت
الفنان الذي قابلته في برلين وبانكوك هو "توبياس
ريبرجر" Tobias Rehberger
أرق تحياتي!
أريانا جريجوتايت

عزيزتي/ أريانا جريجوتايت
ربما نسيت أن أحكي لك أنني مررت بطريقة ما على
البيت الريفّي الخاص بالكاتب الكبير "الكسندر
براخانوف" Alexander Prakhonov، حيث أراني هذا
الشيوعي العجوز مجموعة فراشاته المحنطة، وهو يحرك
ذقنه للأمام وللخلف، ثم تناول سلاحه، وذهبنا بزجاجة فودكا
إلى غابة البتولا خلف بيت "براخانوف"، الذي أخذ يشكو من
عدة أشياء في روسيا الجديدة – أذكر منها شيئين: الـ"إيكيا"¹
Ikea والعرض الموسيقي الاستعراضّي "شمال-شرق"
Nord-Ost. أنا أفتقد كلبّي، سأطير مساء اليوم إلى برلين إن
كان الأمر قد أنجز بالنسبة إليك.
مع أطيّب تمنياتي!
كريستيان كراخت

¹ محلات أثاث سويدية ذات شهرة عالمية. (المترجم)

عزیزتی / آریانا جریجویت

طالما لم نستطع التحدث عن معرض "جيرهارد ريشتر" Gerhard Richter إلا قليلا وحيث أن السيد "فايسبيك" Weisbeck يود أن يريني شيئا هاماً، أردت أقول لك أن كل شيء سيتم، وثقتي في ذلك كبيره،- فهناك خطة مؤداها أن ننشر الكثير من نصوص The-Smithes-Zitate قدر المستطاع في جريدة "فرانكفورتر أجمائنه زونتاغستسيتونج" Frankfurter Allgemeinen Sonntags-zeitung، وقد نوبنا هذا أنا و"ماركوس فايسبيك" و"نيكلاس ماك" Niklas Maak.

دمت بخير!

كريستيان كراخت

عزیزتی / آریانا جریجویت

أشكرك شكرا جزيلاً على اختياري لموضوع "جيرهارد ريشتر" في "جوجنهايم برلين" Guggenheim Berlin، ولكنني بالرغم من ذلك قلق، فقد رأيت البارحة في منامي "كورت كوبيان"، وهو في طريق العودة، وكان منزعاً جداً، كان في نهر، وقال أنه لم يعد في الدنيا رحمة.

مع أطيب تمنياتي!

كريستيان كراخت

عزیزتی / آریانا جریجویت

لديّ صور رائعة لك، وبالطبع معها نص، أعني كلاهما، ومعني أيضاً ذكريات كذكريات "جيم كروس"، هل وصلتك مني ورقة مرفق بها برید؟ إنها ما أملك من إيصالات

مكالمات تليفونية وبعض المحاولات المرعبة في الوصول
إلى "بوريس أسفاريثش" في ليننجراد- أنا على الأقل مع
"إلينا"، كما تعرفين.
لا، لم أفعل هذا.
أبدأً أبدأً

في رحاب اشبرنجر ذكريات/ ٢٠٠٥

منذ الطفولة المبكرة – لاسيما في مراحلها المتأخرة - التي تتمدد وتتثنى مع الذكريات كألة الأوكورديون وأنا أري روح "أكسيل شبرنجر" Axel Springer تتجول عبر ممرات مخيلتي، أحيانا تكون روحه مجرد رائحة، عبق طيني جاف منبعث من براية قلم رصاص، أو لمسة عابرة لقبعة شاطئ لونها بيج ومصنوعة من الليف أخذتها بعد اللعب في الكثبان الرملية من دولابه ببيته الكائن بجزيرة "زيلت" Sylt في أحد أوقات العصاري الساحرة.

القبعة التي كانت أكبر من مقاسي بعشرة أرقام، والتي اهترأت حوافها، لم أعد قادرا على تذكر هل كان ثمة اسم محفور داخلها أم لا؟ كان عندي أيضا بعض أحذية بيضاء من الليف، وقمصان لا حصر لها ماركة "هارفي أند هودسون" Harvie & Hudson من شارع "جيرمن ستريت" Jermyn Street بـ"سانت جيمس" St. James، وبالتأكيد

^١ ناشر ألماني ولد في هامبورج عام ١٩١٢ وتوفي في برلين ١٩٨٥، كان شخصية مثيرة للجدل بما يملكه من نفوذ يرجع إلى قوة دار النشر التي عرفت باسمه والتي كان لها أثر كبير في مجال الصحافة في أوروبا حتى اليوم، عرضت قصة حياته في فيلم اسمه "الناشر" "Der Verleger" سيتحدث المؤلف لاحقا عن بعض مشاهده. (المترجم)

مجموعة من "هاتشيسون" Hutchison، وهي قمصان أكبر من أي قمصان عرفتها في حياتي، قمصان لينة رائعة بكل الألوان الممكنة، وبها خطوط ألوانها هي اللبني الفاتح جدا، والأبيض المشرب بزرقة، والأبيض المشرب بحمرة مثل حلوي الأطفال في محل "برايتون بير" Brighton Pier لم يُر مثله من قبل، أو في "كوني أيسلاند" Coney Island، قمصان براقعة كالصيف كأنها مغسولة تواء، ومكوية، كل قميص له علبته التي يوضع فيها بدقة مثل الحلوى اليابانية المصفوفة واحدة تلو الأخرى في ورق من الحرير له خشخشة.

المميز في الأمر أن الذكرى دائما لا تسمح إلا بالغوص في أسلوب هندام "أكسيل شبرنجر"، في أناقته: البيت الكائن بشارع "أبر بروك ستريت" Upper Brook Street كان بيتا ضيقا، سمح لي أن أسكن في حجرة صغيرة منه، لا أذكر هل كان لون السجاد أصفر ليموني؟ وكانت سلالم المنزل بالداخل متقاطعة، متعددة الطوابق، تبدو وكأن القفز الآمن علي درجاتها العالية ممكن صعودا وهبوطا. كان هناك أيضا رئيس للخدم وجهه في غاية السماحة، يرتدي صيديري، وله رموش بيضاء كثيفة، ويتكلم بصوت خافت، كنت أنظر دائما في الدواليب، لأنني كطفل لم أكن أستطيع أن أتقرس في وجه هذا الرجل.

حينما أفكر في شبرنجر أتذكر أيضا "جاي جاتسباي" Jay Gatsby، جزيرة زيلت كانت هي "إيست إيج" East Egg في رواية "ف. سكوت فيتسجيرالد" F. Scott Fitzgeralds. كان شبرنجر أحيانا ما ينظر في الغسق إلي الضوء الأخضر الذي كان يومض هناك بلا انقطاع علي مسافة بعيدة في الخلاء

تماما كما كان جاتسباي العظيم ينظر. إن حياة شبرنجر هي
- كما أراها - كتاب رائع جدا أو فيلم جيد جدا.
من وجهة نظري أسوأ مشاهد هذا الفيلم غير المتقن
المعروف باسم "الناشر" Der Verleger ليس فقط المشهد
الذي يهلوس فيه "هاينر لوترباخ" Heiner Lauterbach (في
دور أكسيل شبرنجر- منبع الفكرة!) على نغمات موسيقى
الملحن "ريتشارد شتراوس" Richard Strauss التي عنوانها
"هكذا قال زرادشت" Also Sprach Zara-thustra ثم يقفز
بتلك الهلوس فجأة إلى فكرة اسم مجلة "بيلد" Bild، بل أيضا
المشهد الذي يظهر فيه شبرنجر لأول مرة يقيس له حائك
إنجليزي حلة، ويظهر الحائك في الفيلم في شخصية مخنث
طويل الشعر محموم الحركة يأخذ مقاسات "لوترباخ" في
حجرة واسعة جدا تذكرني بمسرح أوبرالي تتدلي من سقفه
مصابيح بلورية عظيمة، في حين أن "دافيس أند سانز"
Davies & Sons - وهو أبعد ما يكون عن نسخة الحائك
المطروحة في الفيلم - كان هو الحائك الخاص بأكسيل
شبرنجر، ذلك الحائك الذي حاك لي حلتتي
الـ"بيسبوك" Bespoke الأولى في حياتي كان موجودا في
ورشة صغيرة مظلمة متربة في شارع "أولد برلينجتون
ستريت" Old Burlington Street في لندن، كانت ورشة
تفوح منها رائحة الطباشير والقماش وليس فيها على الاطلاق
ما يمت للمسرح بصلة، بل كانت مكانا خاملا معتما للعمل
غير الاضطراري في مهنة منقرضة.

كانت برلين شاحبة مكفهرة، ليس فيها بريق الجليد على
جبال الألب، ولا أوقات العصر الساطعة دوما في مدينة

"زيلت"، ولا السماء البيج في منطقة "مايفير" ¹ Mayfair اللطيفة، بل يغمرها شحوب باهت بارد مقلق رتيب. كانت برلين ساحة نضال مستمر، المظاهرات لا تتقطع فيها، وسيارات الشرطة تتعق بسريرتها في تلك المدينة البائسة. كانت دار النشر آنذاك تبدو مثل مسلة حجرية تقف شامخة في الضباب، وكلمة "بيلد" Bild ترسل أضواءها البيضاء صوب المشرق، واليوم استبدلت بشاشات عملاقة مبهرة، وهو أمر يؤسف له.

كان يسمح لنا نحن الأطفال بأن نقيم في مسكنه بشارع "أولاندشتراسه" Ulandstraße، بناحية محطة مترو "كورفيرستندم" Kurfürstendamm، وكان ذلك مريحا، في إحدى الليالي خرجت أختي "دومينيكه" مسرعة، كانت تبلغ من العمر حوالي السادسة، وفي أحد الأعياد الشعبية ربحت ثعبانا من البوليستر ذا خطوط صفراء وأخرى سوداء، طوله ثلاثة أمتار، حملته إلى البيت بفخر واعتزاز، وهناك لم تفهم القلق الذي جعل وجوه الكبار شاحبة في هلع، فانفجرت في البكاء وسلمت الثعبان إلى أبي.

ربطات عنق رفيعة ابتكرها أكسل شبرنجر، عُقد صغيرة جدا جدا على ربطات عنق ذات خطوط عرضية، وأحيانا ذات غرز لونها واحد، وصيديري له ياقات (الريفير) وشعر فضي مسدل على الأذنين، هذه الأشياء لم يعد يعلمها أحد اليوم، ولا يلاحظها أحد لأنها آنذاك لم تكن ذات أهمية. ووصف تلك الأشياء الصغيرة السطحية هو محاولة لإبداء احترامي تجاه هذا السيد المحترم.

¹ منطقة بوسط لندن، تقع في نطاق بلدية وستمنستر. (المترجم)

آخر مرة رأيتـه فيها كان في المطار، وقف هناك وشد على
يدي، كان يرتدي حلة سوداء وقد بدا حزينا، أنيقا، شاردا.
ابتسم واستدار واختفى في صالة مطار زيورخ التي تزينها
اللافتات المضيئة.

سويسرا

محادثة مع يواخيم بيسنج/٢٠٠١

كراخت: حسنا، نريد أن نبدأ محادثتنا هذه بالمولدات الضخمة التي تستفيد من طاقة الرياح ويتم انشاؤها حاليا في استراليا، أنابيب عظيمة ضخمة، أنابيب يبلغ ارتفاعها كيلو مترا و...

بيسنج: ... هذا ما كان يقوله فوللر دائما...

كراخت: نعم، ما كان يقوله السيد "بوكمينستر فوللر" Buckminster Fuller^١ هو تلك النظرية التي تقول أن أراضي المدن تبدأ في الارتفاع، إذا ما أردنا أن نضرب عليها قبابا ... حسنا وإذا وضعنا سويسرا بأكملها في قمم زجاجي ستبدأ في الارتفاع يوما ما بفعل التولد المطرد للحرارة.

بيسنج: وطبيعي أن يدعم نظرية فوللر التي قلت بها كون سويسرا مليئة بالأنفاق، كما يعلم الجميع، وهذه الأنفاق التي تشبه ثقب ديدان الخشب التي تثقب قائما من قوائم أحد الدواليب، تعمل على أن تفقد سويسرا ما يسمى بتماسك الأرض فيستمر تقدم هذا الانفصال أو الارتفاع على كل حال.

^١ بوكمينستر فوللر (١٨٩٥ - ١٩٨٣) مهندس معماري ومصمم ومؤلف أمريكي. (المترجم)

كراخت: حتى الجبن به تجاوبف سببتها فقايع هواء تمنح الجبن وزنه الخفيف، والقطار السريع المدفوع بالهواء المضغوط الذي ينبغي أن ينقل الركاب في ست دقائق من زيورخ إلى جينيف تحت الأرض من المفترض أن ينتهي هو الآخر عام ٢٠١٠. لكن ما هو مركز سويسرا الذي يتم تجويفه بشكل مستمر؟

بيسنج: إنه كالشرابين، كطواحين الرياح التي تولد الطاقة لها فتحات تمدها بالهواء المندفع، تلك الطواحين العالية المنتشرة بسويسرا حتى تمد بقية العالم بالطاقة اللازمة، حسناً فبرج الطاقة المصنوع في استراليا حسب نظرية بوكمبيستر فولر هو انعكاس لسويسرا.

كراخت: لنفترض أن أناساً يأتون إلى سويسرا، مثل الكاتبة "زيببلا بيرج" Sibylle Berg ...

بيسنج: نعم زيببلا بيرج أو "لي سكراتش بري" Lee Scratch Perry مغني موسيقى الـ "ريجّه" Reggae الجاميكي الذي يعيش فعلاً الآن في سويسرا.

كراخت: في "مونتريو" Montreux حسب اعتقادي. **بيسنج:** نعم، بالتأكيد، يقيم هناك، لكنه بمظهره غير المؤلف لا يبدو عليه التكيف مع السويسريين، في حين أنه يريد ذلك فعلاً. إنه نفسه قد ادّعى بما يشبه تقاليد "صن را" أن سفينة النجاة السوداء ستأتي يوماً ما لتعيد شعوب الأرض

^١ هي كاتبة ألمانية حرة وكاتبة مسرح ولدت عام ١٩٦٢. (المترجم)

^٢ الريجيه (reggae) هو نوع موسيقي نتج عن عدة أساليب من الموسيقى الجاميكية الكاريبية الأفريقية، ومنها السكا والمينتو، وموسيقى الأرابي الأمريكية. (المترجم)

^٣ مونترنو هي بلدية تقع في مقاطعة فيفي في كانتون فو بغرب سويسرا. تقع البلدية على الساحل شمال الشرقي لبحيرة جنيف. (المترجم)

^٤ هو الملحن والموسيقيار الأمريكي لموسيقى الجاز (١٩١٤م - ١٩٩٣). (المترجم)

إلى أوطانهم الصحيحة. فهل سويسرا هي جبل صهيون الجديد؟

كراخت: نعم، هذا هو الحال. وتحيط بابل بسويسرا من كل جانب، وسويسرا هي نفسها جبل صهيون ومملكة الرب، إي نعم والملكوت الكبير، فقد شبّه القيصر الأثيوبي "هيلا سيلاسي" الذي يشبه "لي سكراتش بري"، سويسرا ذات مرة بأنها مركز للطاقة.

بيسنج: أليست عملية التجويف هذه أو عملية ملء الأرض بالأنفاق،

عملية قام بتنفيذها بعض الأفراد الذين يقومون بتقطيع الشرايين، ويشبهون في شكلهم الخارجي ديدان الخشب. وأن عملية التجويف عملية عادية للانفصال الطبيعي، ينبغي أن تزيلها سويسرا وتزال من بقية دول العالم؟ أليس ما تعيشه سويسرا هو ما يحدث داخل محطة توليد طاقة على طريقة فوللر؟ داخل هذا البرج، وهذه العاصفة الهوائية التي تشمل سويسرا.

كراخت: لا أدري...

بيسنج: كيف وصلنا إلي هذه النقطة؟

كراخت: لا بد لي أن أعود إلى الوراثة قليلا. القصة هي أن عددا كبيرا من أصدقائي يعيشون في مقاطعة "أبينتسل إنرهودين" Appenzell Innerhoden حكوا لي أن كلب الجيران هناك في الريف سُمّونه طوال العام، إذ كانوا يلقون إليه النقانق والشوكولاتة المحشوة وقطع السمك، ثم أخذوه قبل عيد الفصح وشووه، ولذا يسمونه كلب الفصح، كما يسمون خروف الفصح.

بيسنج: لماذا كلب الجيران إذن؟ ولماذا ليس كلبهم هم؟

كراخت: كلبهم يمثل لهم أهمية كبيرة، فكلبهم عزيز عليهم، وكلب الجيران ما هو إلا كلب الجيران، وهذه احدي الصور الجميلة من الأخطاء الصغيرة لسويسرا ، إن جاز التعبير.

بيسنج: أنا أشعر دائما أن سويسرا لا تحتاج إلي شيء، إنها مستقلة اقتصاديا نوعا ما.

كراخت: نعم، هذا صحيح، سويسرا مستقلة اقتصاديا، فهل هي مناخيا كذلك أيضا؟

بيسنج: تقع سويسرا مناخيا في منطقة مليئة بالمخاطر، ولذا لم تعد مستقلة اقتصاديا. ليست مستقلة اقتصاديا علي كل حال كما يؤمل لها. إنني أتذكر رحلاتي في منطقة "لويكرباد" Leukerbad حيث أخذ الجليد فجأة هذا اللون الأحمر؛ فقد غطاه رمل من الصحراء في عاصفة رملية.

كراخت: حسنا، لعل هناك تبعية من نوع ما في مجال الطقس.

بيسنج: يظل الطقس أمراً تحفه المخاطر، ففي أحد أعمال "ماكس فريش" ¹ Max Frisch (ظهور الإنسان في العصر الهولوسيني) Der Mensch erscheint in Holozän يصف انتقال جبهة الطقس السيئ إلي منطقة "تيسن" ² Tessin وكيف فصلت الحمم البركانية الهائلة هذا المكان عن باقي سويسرا، إن محاولة رجل يبلغ من العمر واحدا وسبعين أو اثنين وسبعين عاما التغلب علي نتائج هذا الانفصال يصيب المرء بالسكتة الدماغية.

¹ ماكس فريش (١٩١١-١٩٩١) من أعظم أدباء سويسرا، وهو كاتب مسرحي وروائي، عُرف اسمه بروايته شتيلر عام ١٩٥٤، كما أوجدت له كلا من روايته هومو فاير وماين نامه زي جانتنبابين (أسمي جانتنبابين) مكانة متميزة ككاتب نثري. (المترجم)
² كانتون في سويسرا. (المترجم)

كراخت: للأسف لم أقرأ شيئاً من أعمال "ماكس فريش".
بيسنج: أنا أقرأ له الآن بصعوبة وببطء. وقد قطعت شوطاً
في أحد أعماله.

كراخت: أحقا ما تقول؟

بيسنج: نعم.

كراخت: فريش ظل للأسف كاتباً غريباً تماماً بالنسبة لي،
حتى "أدولف موشج" Adolf Moschg - وهذا الاسم سمعت
به لأول مرة في مطعم "كروننهاله" Kronenhalle من أفواه
ثلاثة مخنثين في ملابس نسائية كانوا سيئي المزاج وحليقي
الشعر يكتبون أعمدة لجرائد سويسرية مختلفة - حتى أدولف
موشج ليس هو الشخص الذي يروق لي أن أقرأ أعماله. لكن
دعنا نعود إلى سويسرا، موضوعنا. هل تعتبر سويسرا مهددة
من وجهة نظرك؟

بيسنج: الحقيقة أنني لست خبيراً بسويسرا، ولا يمكنني إلا
أن أقول أنني أسافر إليها في مهمة عمل وكذلك في أوقات
فراغي، وهناك أشعر دائماً أن بين لحظة وأخرى بهذا
التهديد، ولا يمكنني أن أقول عن سويسرا شيئاً غير ذلك.
إنني أذكر علي سبيل المثال تلك الفترة التي قضينا فيها شهر
العسل في مدينة "تيسن"، فهناك في "لوجانو" Lugano¹ يقع
ذاك المكان، أظن أنه "بيازا دي ريفورما" Piazza di
Reforma وكنت أشرب فيه شاياً، وفجأة ظهر ثلاثمائة جندي
مدججين بالأسلحة الثقيلة يمشون مشية عسكرية، ثم بدعوا في
التدريب هناك وكان ذلك يوافق يوم الأحد.
كراخت: هل كانوا جنوداً إيطاليين.

¹ مدينة في شمال سويسرا، يقع جزء منها على الحدود مع إيطاليا. (المترجم)

بيسنج: محتمل لكن كيف لي أن أعرف ذلك؟ واللغة التي يستخدمها الجنود في مناداة بعضهم بعضا سويسرية غير واضحة.

كراخت: أو الإيطالية. إمم. سنري أيمكنك أن تصف زيهم وصفا أكثر دقة.

بيسنج: لقد كانت الملابس مموهة تمويهها باهتا يغلب عليها اللون الأحمر، ربما بسبب تكوين الغابة النفطية في "تيسن"، لكن ببقع خضراء قاتمة، تتشابه مع نبات السرو هناك، ولذا فالتدريب يتم في هذا المكان من لوجانوا.

كراخت: وهذه الواقعة تريد فهمها كمثال يبين أن سويسرا مهددة من قبل الإيطاليين.

بيسنج: نعم، حقا، إنني أستشف هذا التهديد من إلزام الجنود بالتدريب حتى في يوم الأحد، وأن هناك - كما يعلم الجميع - من يُسمح له بقضاء طفولته متجولا في جبال الألب الواقعة في "واليز"، حتى الأبواب في الجبال تختبئ خلفها المدفعية السويسرية متأهبة لحالة الطوارئ، حينئذ تخرج من مخابئها. ولكن يا كريستيان بالنسبة لك أنت كرجل سويسري يختبئ خلف باب آخر تماما: كيف يبدو الأمر لك عندما تستدعون بالطائرة رجل مثل "تايلر بريل"¹، وهو فيما أظن كندي فرنسي اللسان يقال عنه أنه مصمم ديكور، لينقذ خطوط الطيران السويسرية المشهورة مقابل أموال طائلة مغيرا شكلها الخارجي؟ فكانت النتيجة تشويه الهيكل أو الغطاء الخارجي!

كراخت: وماذا بعد؟

¹ تايلر بريل Tyler Brûlé صحفي ومصمم مجلات من أصل كندي، اختير لوضع التصميمات الفنية الخاصة بشعار ومظهر شركة الخطوط الجوية السويسرية بعد انهيارها. (المترجم)

بيسنج: لماذا لا يقوم السويسريون بذلك بسوا عدهم؟
كراخت: أعتقد أن الخطوط الجوية السويسرية نفسها – قبل مجيء برييل - كانت تغالي في ابتكار تقاليد لها في الخارج، وقد وضع لها "كولاني"¹ Colani تصميماتها، وكان يُطبخ على متن الطائرة كل ما تشتهي الأنفس من الخضروات الطبيعية، وفي كل وقت كان يوجد سبع حملات إعلانية للخطوط الجوية السويسرية، التي افتتح لها ٢٨ مكتبا في أماكن مختلفة، وقد قامت بخطوة غير موفقة وهي شراء الخطوط الجوية البولندية LOT والخطوط الجوية البرتغالية TAP، وأمور كثيرة مبهمة، وهي ليست علامات تجارية ذات قيمة اعتبارية، إننا، نحن السويسريين، نعاني من مشكلة أننا لا نستطيع التعرف على كل شيء بقدراتنا الخاصة.

بيسنج: ألا يعني هذا أنه بمجرد أن تبدأ سويسرا في الانفتاح سيموت جزء منها؟

كراخت: قطعاً، فسويسرا نظام مغلق تماما، وما إن يتم اقتحام هذا النظام، إلا وسيتفكك ويذهب سريعا أدرج الرياح، وقد جاءت الضربة القاضية في شكل الانضمام إلى منظمة الأمم المتحدة القائمة حاليا، وكانت تلك هي بداية النهاية.

بيسنج: حسنا، إن وجود سويسرا منوط بوجودها في قمم زجاجي،

مثل لعبة أطفال زجاجية كروية الشكل، يتساقط بداخلها الجليد.

كراخت: نعم، هذا صحيح.

¹ لويجي كولاني: مصمم موضات ألماني. (المترجم)

بيسنج: أسلفنا الحديث عن كولاني. باعتباري ألماني فمن البديهي أن لا أقف من كولاني موقف المنتقد. ألم يبذل قصارى جهده من أجل أحد السويسريين؟

كراخت: أعتقد أن هذا صحيح، فهناك الكثير من السويسريين يبذلون جهدهم دون أن يكونوا كذلك.

بيسنج: نعم، هل تعد سويسرا أكبر مانحة للهوية أم أنها أشد دولة تظمسها؟

كراخت: حسنا، فقد انسلخ كثير من الناس من تاريخهم في القرن الماضي، واستبدلوا بتاريخهم تاريخا سويسريا. وبهذا المعنى يمكن الحديث عن طمس الهوية.

بيسنج: هيسّه Hesse!

كراخت: لينين وأينشتاين و"بالتوس" Balthus و"كاندينسكاي" Kandinsky و"جون لو كاري" John Le Carré.

بيسنج: كثيرون لا يحصيهم العدّ إذا ما أمعنا النظر. فهل كان فريش سويسري المولد حقا؟

كراخت: ربما، فأنا لا علم لي بهذا الآن. لكن دعنا نضع تعريفا لمعنى أن تكون سويسريا.

بيسنج: حسنا، هل يكون المرء سويسريا بسب ولادته، أم انه أيضا...؟

كراخت: حسنا، فالكندي الفرنسي اللسان "تايلر بريل" قد أصبح اليوم سويسريا إلي حد ما.

بيسنج: نعم، حسنا. لقد تم تسجيله هناك نتيجة ذلك، فمجرد ابتكار خلفيات للجدران والحوائط جاءت بالاعتماد على أفكار ذاتية أدت في النهاية لأن يصبح سويسريا، هذا هو الاحتفال العظيم الدائم للمنتج السويسري!

كراخت: وهذا المنح العلني لجواز السفر السويسري، وما تم تصويره على مدار سنوات في كل ورقة حائط.
بيسينج: مساحات ملء صفحات تلو صفحات عن سكر بنجر ريكولا

الذي يستورد من فنلندا فيما أظن...

كراخت: لقد رفع تسمتور¹ Zumthor إلى مكانة الإله العظيم - أحد سكان فورالبرغ² ...

بيسينج: ثم إنني أجد هذه الخطوط الجوية المسماة "سويس" Swiss مفرغة من مضمونها.

كراخت: هذا أيضا جيد، لأنه بهذا التحديث ذي الطابع الساخر الباهت تصل الـ"سويس" مرة أخرى إلى وقت أن كانت الخطوط الجوية السويسرية في أوج مجدها - بين عامي ١٩٦٥ و ١٩٧٨، أعنى بالضبط في الأعوام التي سبقت طلاء السطح السفلي لأسطول الطائرات بذلك اللون البني.

بيسينج: كان لدى الخطوط الجوية السويسرية في ذلك الوقت شيء أقرب ما يكون إلى الطهر والعذرية، كان هذا ولع خالص، لكن السؤال هو: هل يمكن الوصول إلى هذا الآن عن طريق هذه التغييرات في الشكل الخارجي فقط؟ ويبقى سؤال: أين ذهبت روح الخطوط الجوية السويسرية؟ كيف يرى السويسريون هذا الآن؟ هل يحب السويسريون "بريل"؟

كراخت: أعتقد أننا أصبحنا الآن متشككين في بريل، يستطيع المرء أن يلحظ ذلك عندما كان بريل يبحث لنفسه

¹ بيتر تسمتور (١٩٤٣م- حتى الآن) هو مهندس معماري سويسري، يعتبر من أهم المعماريين في العالم. (المترجم)

² فورالبرغ هي إحدى ولايات النمسا، وهي ثاني أصغر ولاياتها بعد فيينا. (المترجم)

عن مسكن في منطقة "زيورخ سيفيلد" Zürich-Seefeld، وكان قادرا على جلب أموال طائلة للإيجار، ولكنه لم يجد شيئا، يمكن القول بأن سويسرا لا تريده على أرضها.
بيسينج: وماذا عن اعتداد السويسريين بأنفسهم؟ ألم يتأثر في الأشهر الأخيرة؟

كراخت: لا أعتقد ذلك، فحادث قطار جوتهارت وانهيار الخطوط الجوية السويسرية - كل هذا ليس في النهاية إلا علامة على حملة لا وطنية، هي غالبا حملة ألمانية موجهة ضد سويسرا، في الغالب يروجها "أورس فيدمر" Urs Widmer في مجلة "فوكوس" Focus؟
بيسينج: أنا أعتقد أنه ليس هناك ما يعيب سويسرا على الإطلاق، وربما كان هذا هو عيبها الوحيد، أنا أستمتع جدا بمذاق كل شيء فيها، وأذكر جيدا مذاق الـ "شوبليج"، كانت في طول الذراع ومحمرة جدا من الداخل...

كراخت: شوبليج؟

بيسينج: نعم، ذاك النوع من النقانق.
كراخت: لكن الـ "شوبليج" هو أشبه بالأرغفة الصغيرة المسماة في ألمانيا بـ "زيمّْن".

بيسينج: كلا، تلك النقانق القوية التي أعرفها باسم الـ "شوبليج" والتي أكلناها في مطعم "كروننهاله" ... لا... في مطعم "ماركتشتوبه"...

كراخت: بل في الـ "كروننهاله"...

بيسينج: كلا، في الـ "راتهاوس"...

كراخت: أخ، تلك النقانق، حسنا! أنت لست معاديا لسويسرا.

بيسينج: لا، على الإطلاق.

كراخت: إذا توقفت حياتك على الاختيار بين النمسا وسويسرا، وسئلت: من منهما ينبغي أن تمحي من الوجود؟ أيتها تختار؟

بيسينج: النمسا طبعاً.

كراخت: تعني إذن أن تنمحي النمسا وتبقى سويسرا، لماذا؟

بيسينج: أعتقد أن أي إنسان سويّ سيقدر هذا.

كراخت: وأيتها ستقرر محوها: ألمانيا أم سويسرا؟ بالطبع لك أن تتخذ حبك الأول.

بيسينج: ألمانيا الاتحادية، أستطيع أن أتنازل عنها.

كراخت: إذن سويسرا بالنسبة إليك تشكل حالة من حالات اليوتوبيا تستحق الإبقاء عليها.

بيسينج: سويسرا بالنسبة لي وطن بالمعنى المطلق.

كراخت: لكنك دائم الأئين كلما تواجدت فيها...

بيسينج: نعم أئن تحت وطأة الأمتعة الألمانية التي أحضرها معي، لكن ليس في نهاية المطاف حينما أستطيع إلقاءها، لأترك نفسي بعدها تسقط في أحضان سويسرا وقد أدركها الخلاص. منذ وقت قصير كنت مدعوا في برن لأقرأ بعض أعماله، أعتقد أنك كنت هناك، ثم جاءنا وزير الثقافة بعدها وقدم لنا تلك الشقة إذا قررنا البقاء.

كراخت: لم تكن شقة، وإنما كانت فيلا، وكان العرض وقتها أن نصبح كُتّاب مدينة برن.

بيسينج: بالضبط، لم يُعرض عليّ شيء كهذا طوال سبع سنوات من الإبداع في ألمانيا، أعني هذا التقدير، هذا الإخلاص، أن تُقبل عليّ بنفس إقبالي عليك، لذلك أقول

سويسرا دائما وليس فقط في حالات اليأس، وفنانو العالم كلهم يرون الأمر هكذا تماما، أو شيئا نحو ذلك.

كراخت: يوما ما ينبغي أن تكون سويسرا موطننا لك، فهي تجذب كل من يشعر بأنه معاقب وتعيش بعيدا عنها، تماما مثل تايلر بريل.

بيسينج: ... في أحواضه الكندية...

كراخت: ... أحواض قاطعي الأخشاب...

بيسينج: ... أو سيبلا بـرج...

كراخت: ... هؤلاء ربما يأتون فنسمح لهم بأن يضعوا رتوشا جديدة على الصورة الجماعية، فيجنون من وراء ذلك ثروة، ثم نلقيهم مرة أخرى خارج سويسرا، ماعدا كولاني فهو ليس سويسريا، لكن له أن يبقى في سويسرا، وكذلك أنت.

نحل على الجاتوه

شذرة من قصة/٢٠٠٢

عند مخرج وادي "كاجبيني" Kagbeni المؤدي إلى الطريق السريع رفعتُ نظارة الجليد على جبهتي، والتفتُ التفاتة سريعة إلى الخلف فرأيتَه بطرف عيني لأول مرة، قلت:

ثمة نحل فوق الجاتوه.

هنا على هذا الارتفاع لا يوجد نحل.

هكذا رد كرايسلر ثم عاد ليغفو مرة أخرى وهو يَعْطُّ بصوت خافت، كان صباحا من زجاج، كل شيء فيه مؤلم، لكنه بدا صباحا جميلا: الشمس مرتفعة في السماء، أنفاسنا - رغم ذلك - ترتفع في غيمة من البخار أمام وجوهنا، ثم تتكاثف على السطح الزجاجي للسيارة ثم تعود فتتساقط على الأرض كحبات الكريستال.

انقطعت التدفئة داخل السيارة الخنفساء لفترة طويلة، فوضعنا على ركبنا بطاطين عسكرية ذات لون رمادي فاتح، إنه الخريف، أواخر شهر أكتوبر. كنا قد جاوزنا بالفعل نهاية الغابة المختلطة عند مدينة "تاتوباني" Tatopani حيث كنا هناك مساء البارحة نطرد القردة بعيدا، ونستحم في أعين المياه الساخنة، كانت أشجار التفاح تمتد عن اليمين واليسار، حصى وحصباء، نباتات خس هيدروبونية، نساء في ملابس ملونة يبعدن قطيعا من الماعز عن حافة الطريق السريع، كأنها

الحياة قبل مائة عام.

كرايسلر، استيقظ!

هممم!

تمتم كرايسلر بهذا اللفظ ثم واصل نومه.

¹ مدينة في نيبال. (المترجم)

استدرت مرة أخرى مثبتا إحدى يدي على مقود السيارة، وأخذت أنظر إلى الجاتوه الموضوع على الأريكة الخلفية، كان نوعا غالي الثمن: تورتة شيكولاته مصبوب عليها بديل سكر يوحى ارتفاعه بأنه طبقة بنية من الكريمة المخفوقة، نحلات عديدة قبعت فوق التورته. أخذ محرك الخنفساء الفولكس فاجن يبصق ويحشرج وحشرجة مقلقة، الهواء هنا في هذا الارتفاع رقيق شحيح الأكسجين، تماما كما يكون في طائرات الهليكوبتر التي لا يمكنها التحليق إلا إلى مثل هذه النقطة، وليس أعلى منها، إذ لا تجد المراوح أي مقاومة من الهواء عديم الأكسجين بالغ الرقة، كان محرك الخنفساء يعمل وفق مبدأ مشابه، خنفساء صفراء، ومحرك احتراق هجين، ونحلات ناعسة، وأصوات من رحاب الفضاء تطرق آذاننا، كان لكل شيء سر ومغزى.

طارت نحلة من فوق الجاتوه واخترقت الحاجز بين الأريكة الخلفية والمقعد الأمامي، ظلت تعلق أمام وجهي، وكنت وقتئذ أعانى نوعا من الحساسية، وقد خفت جدا أن ألسع، فحاولت أن أعيدها عبر الحاجز، لما فشلت محاولتي واصلت القيادة على طول الطريق السريع بين "كاتماندو" Kathmandu و"بيشكيك" Bischkek دون مبالاة أو خوف، كان أعرق أخايد العالم يمتد على جانبي الطريق يمنة ويسرة، إنه أخدود "كالي جانداكي" Kali Gandaki .

كان الطريق إلى "شوي كايلاش" Shue Kailash لا يزال طويلا، تمنيت لو سافرت بالطائرة، فقد سبقني الصغار جوا بالفعل، في هذا الوقت كنت أتناول يوميا ١٠٥٠ ملليجرام من فيتامين "ج"، وهي جرعة كبيرة جدا بالتأكيد، إذ أن طبيب التربة في كالكتا قام بعملية الثقب وأنا في كامل وعيي، قيل

لي وقتها أن كالكتا بها أفضل المختصين، وبها مركز "رام" RAM، والموجات فوق الصوتية، وبها أيضا وقعت الحرب الرابعة بين الهند والصين، جال كل هذا بخاطري، بينما كرايسلر يواصل نومه، والهواء يزداد رقة، والنحلة تحلق في الهواء بجانبها وكأنها طائرة هليكوبتر دائمة الطنين والأزيز.

مر عن يميني المركز التجاري "موستانج-لو مانتانج" Mustang-Lo Mantang أحد فروع سلسلة "لو كافيه شينواز" Le Café Chinois، التي لا يوجد منها إلا فرع كل مائتي كيلومترا، إلا أنه كان ضروريا جدا، فأخيرا: قهوة "لاتيه" Latte الثلاثية العظيمة منزوعة الرغوة. هنا في عشرين طباقا تحت الأرض يطبخ الميثامفيتامين^١ لعمال المدن الصناعية التي لا تحصى في الشمال، وفي الشرق من بلاد الصين.

^١ ميثامفيتامين هو عقار مخدر رخيص يتعاطاه العمال وسائقو الشاحنات لمساعدتهم على السهر، الا انه في بعض الاحيان تكون له اثار جانبية عنيفة. (المترجم)

obeikandi.com

نهاية الخيط (٢) مراسلة/٢٠٠٣

مرحبا، سيد كراخت!
هل أنت الكاتب كريستيان كراخت مصادفة؟ إن كنتَ هو
فأنا لدي بعض التساؤلات حول كتبك.
مع تحياتي القلبية!
شتيفان شونيمن

السيد المحترم/ شتيفان شونيمن!
طالما أنك لست الأول الذي يسأل أستطيع أن أُعَلِّمَكَ أنه
لدى الكاتب كراخت عنوان البريد الإلكتروني التالي:
christiankracht@hotmail.com
مع تحياتي القلبية من مدينة "بريمن"!
ك. كراخت

مرحبا سيد كراخت!
شكرا على المعلومة اللطيفة، لكن كم عدد رسائل البريد
الإلكتروني التي تصلك يوميا، شهريا...؟
تحياتي القلبية!

شتيفان شونيمين

السيد المحترم/ شتيفان شونيمين!

هي "فقط" حوالي ٤٠-٣٠ في الشهر، وكثير منها عبارة عن شتائم غاية في الوقاحة (وبعضها أيضا تلميحات فاضحة من بعض الفتيات).

في البداية لم أستطع أن أشرح لِنفسي لماذا يكتب لي بعض الغرباء مثل هذه الرسائل القبيحة، ولم يكن لي سابق معرفة بهذا الكاتب (وأنا في أواخر الستين من العمر)، ولم أكن أستطيع المراسلة عبر شبكة المعلومات إلا منذ عام، منذ أن علمتنيها حفيذة أخي التي تعيش في "كوكسهافن"، ولقد اشتريتُ كتابين لهذا المؤلف عليهما الاسم نفسه الذي أحمله، وعندما قرأتها لم يكونا أبدا بهذا السوء، وأحسب أنه ينبغي علي أن أقي هذا الكاتب سَيِّلا من الخبائث، لذا لا أُرِدُ إلا على الرسائل المهذبة والودودة، وأذكر في ردي العنوان الصحيح للكاتب، كما فعلت معك.

آمل أن أكون قد لبيت حاجتك بهذه الرسالة!

تحياتي القلبية من "بريمن"!

صديقك كريستيان كراخت

السيد المحترم/كراخت!

في الحقيقة هذا شيء شائق جدا، وأنا أعتبر هذا الكاتب ثروة حقيقية - وقد أعجبت جدا بمؤلفاته، خاصة رائعته "١٩٧٩" و"قلم الرصاص الأصفر"، لذا أجد من غير المفهوم أن يشتمه أحد، لكن ربما يحدث لأن الإيميلات لا تكلف شيئا أبدا، وقد ينبغي عليك أن تجمع هذه الإيميلات

وتسأل الكاتبة إن كان يستطيع أن يوظفها توظيفا أدبيا، وسوف يكون ذلك طريفاً، عموماً شكراً جزيلاً للمرة الثانية.

تحياتي القلبية من "ميونخ"!

صديقك شتيفان شونيمن

السيد المحترم/ شتيفان شونيمن!

قد قرأت أيضاً رواية "١٩٧٩"، طبعاً لم أفهم كل شيء فيها، لكنني استقبلت أوصاف المعسكر الصيني بتأثير شديد للغاية، ولأن هذه الأوصاف من جيلي فهي بالفعل جزء كبير من تاريخنا، فضلاً عن كونها تمسني جداً من قريب (حيث فقدت أختاً أكبر لي - كان مظلماً في جزيرة كريت)، كثير من أقاربي كانوا اشتراكيين، وبعضهم فقط استطاعوا أن ينجوا بأنفسهم عبر "ليسابون" في الولايات المتحدة، والبعض الآخر ارتحلوا إلى المعسكر الألماني وماتوا هناك أو قتلوا).

كتاب كراخت أثر في نفسي بالفعل (بالتأكيد ليس لأننا نحمل الاسم نفسه) لأن له صلة واضحة بموضوعات "الرومانسية الألمانية"، أي تأثير يجعل المرء مسؤولاً أو يبدو مسؤولاً عن الجزء الأكبر من "ظلم الألمان".

الفصل الذي تجري أحداثه في الصين من هذه الرواية ذكرني بشدة بـ "ديفيد كاسبر فريدريش" David Kasper، بأعماق الإنسان وقد أخرجت للعيان وعُبر عنها برموز من الطبيعة التي لم تكن بالضرورة مثيرة للربح أو منفرة عندك. د. فريدريش.

لقد أخذني الخيال بعض الشيء، أمل أن تعذرني، ولا أريد أن أثقل عليك بأفكاري، ولكنك الوحيد الذي يبدو فعلاً مهتماً، ولا يريد فقط أن يشتم.

وبالمناسبة؛ رسائل الشتائم لن أمررها أبدا إلى الكاتب
كراخت، لأنها لا تحتوي إلا على أفكار خبيثة.
مرة أخرى هذا اليوم أخلص التحيات من بريمن!
صديقك كريستيان كراخت

مرحبا!

(هذه المرة أخطبك بلا رسميات، أنا من مواليد ١٩٦٩،
ولدت ونشأت في "بوتسدام" Potsdam) نعم، لا يسعني إلا أن
أوافقك الرأي، فالناس غير المتحفظين هم غالبا بلية من
البلايا، سواء كانوا يؤلفون شتائم أو يحرسون معسكرات،
يقودهم في ذلك مصلحو العالم الكبار الذين يفسدون في
الأرض كلما أرادوا الإصلاح.

على العموم أظن أن قدرة الإنسان على الابتعاد الشديد عن
حضارته وثوابته الأخلاقية هي شيء غير جميل لكنه
ضروري لتطوره، فالمجتمع لا يزال في مرحلة المراهقة،
هكذا أرى. هل من الممكن أن توضح لي بشيء من التحديد
ما تعنيه بالسطور التالية: " لأن له صلة واضحة
بموضوعات "الرومانسية الألمانية"، أي تأثير يجعل المرء
مسئولا أو يبدو مسئولا عن الجزء الأكبر من ظلم الألمان."

تحياتي القلبية!

شتيفان شونيمن

السيد المحترم/شونيمن!

يصعب علي أن أترك التحفظ في الخطاب، حتى بعد أن
حاولت حفيذة أخي أن تشرح لي وتفهمني اختصارات اللغة
الرمزية المستخدمة في الإنترنت (-: أنا نفسي قد أمضيت

بعض الوقت في الخارج في الخمسينيات في "الهندوراس البريطانية" British-Honduras السابقة ("بليز" Belize حاليا) حاولت أن أعمل في "مزرعة ثمار ثقيلة الوزن" (الجزء المأكل منها أثقل من ٣ كيلوجرام) عملت لعدة أعوام كمحاسب أول وقانوني، إن كان هذا ما تعنيه بـ "الابتعاد الشديد للمرء عن حضارته"، عندما أردت أن أبدو وكأنني لم أعد أحتمل أخذت أنزح شيئا فشيئا عبر أمريكا الوسطى، وصولا إلى بنما ثم أبحرت بالسفينة إلى أفريقيا ("روديسيا" Rhodesien، زيمبابوي حاليا) حيث لم تواتيني الشجاعة في الرجوع إلى ألمانيا إلا في الستينيات، إن النزعة الألمانية إلى الرومانسية (كحركة مضادة للتنوير) والاندفاع نحو الغوامض المبهمة، نحو روح الطبيعة هما في الأخير الشيء الذي من أجله رزقنا بسنوات هتلر، فلنتفكر في رحلات التجول الخطرة عبر الغابة في الليل على قمة "كيفهوزر" Kyffhäuser أو جبل "بروكن" Brocken، وكثيرا ما كان الشباب عراة ومعهم جيتار ونوتة موسيقية، كانت "بوخينفالد" Buchenwald أو "باوتسن" ^١ Bautzen هما "الزهرة الزرقاء" ^٢ Blaue Blume عند الألمان، فهي محفورة في اللفظ نفسه، فلنتفكر في المقر الرئيسي لأمن الدولة في ألمانيا الشرقية (كان في شارع "نورماننستراسه" Normannenstraße)، لكن لدي سؤال أطرحه عليك: ماذا تعني بعبارة "الابتعاد عن الثوابت الأخلاقية"؟ ولماذا ترى هذا ضروريا؟ وقد ذكرت أنك نشأت

^١ بوخينفالد Buchenwald، وباوتسن Bautzen هما اسمين لمعسكرين شهيرين من معسكرات الاعتقال في عهد النازية. (المترجم)

^٢ الزهرة الزرقاء Blaue Blume هي رمز محوري في الرومانسية الألمانية يرمز إلى الحب والشوق والطموح إلى اللامتناهي. (المترجم)

في "بوتسدام – هل هو ابتعاد؟ أم نفور داخلي؟ أم محاولات انفصال!!

سأكون ممتنا جدا للإجابة على سؤالي، مع أخلص تحياتي
القلبية من بريمن!
صديقك كريستيان كراخت.

السيد المحترم/كراخت!

الشجرة حديثة السن مرنة، لذا أعود إلى الخطاب الرسمي
(:، لقد درتَ حول الموضوع جيدا، فأنا لم أعن أبدا هذا البعد
عن الحضارة، على العموم هو تعبير جميل لما فيه من
تورية، وأنا عن نفسي سأبتعد أيضا عن ألمانيا وعن
حضارتي بالمعنى الذي ذكرته أنت، سأهاجر في مارس
٢٠٠٣ إلى "كيبك" Quebec بكندا، وأنا بذلك أتبع تماما نزعة
الألمان الشرقيين في الهروب Drang des Osis وعبور
السور إلى الجهة الأخرى، وهي نزعة شبوا عليها، وبالنسبة
لموضوع شباب هتلر فأنا متحفظ بعض الشيء لأنني ببساطة
لا أعرف الكثير عن ذلك، ولأن الإنسان سرعان ما ينجرف
إلى العبارات الغوغائية الفارغة، لقد قرأت قصة حياة هتلر
التي كتبها "فيست"^١ فقط لكي أفهم كيف تسني لهذا الكم من
البشر أن يهرولوا إليه، وفي رأيي أن كتاب "ملاحظات عن
هتلر" لمؤلفه "هافنر"^٢ أفضل من كتاب "فيست"، ففهرس
كتاب "هافنر" يبدأ بالعنوان (مناقبه) seine Verdienste، كان
مهما جدا بالنسبة لي أن أفهم، لك أن تتصور أننا في مدارسنا

^١ هو الألماني "يواخيم كليمنس فيست" Joachim Clemens Fest ولد برلين-كارلسهورست سنة ١٩٢٦ وتوفي في ٢٠٠٦، كان كاتباً وناشراً ومؤرخاً. (المترجم)

^٢ هو الكاتب الألماني والمحلل السياسي "سيبستيان هافنر" Sebastian Haffner ولد في برلين عام ١٩٠٧ وتوفي عام ١٩٩٩. (المترجم)

الشرقية لم تنقل إلينا إلا نظرة أحادية الجانب عن هذه الفترة الزمنية، ولو أن أحدا حكى لي أن النازيين كانوا يضعون موادا مخدرة في المياه الجوفية تجعل الألمان أغبياء في وقت قصير لكنت صدقته بكل ارتياح، واليوم أرى الموضوع بصورة مختلفة، ويهمني أن أتمكن من نقل الفهم للألمان المضللين، ليس فهم جرائم الرعب، بل فهم قابلية الشعوب للتضليل، على كل حال هذه مجرد جوانب جزئية بالنظر إلى الحديث عن بلد ما.

أري أن المؤثرات التي تتلاعب بجمع غفيرة من البشر ودائما ما تلقيهم في مهاوي الضنك سواء بالأمس أو اليوم هي موضوع شائق جدا، وللأسف لم أجد مراجع خاصة بهذا الموضوع، هينلر وستالين وبول بوت ولا تسألني عن الزعيم اليوم (بوش؟؟)، كل هؤلاء أنفسهم لم يكونوا إلا جزءا من هذه المؤثرات، وأنت تعرف أكثر عن هذا بكل تأكيد، هل تعرف تاريخ أفريقيا السوداء جيدا؟ (ما أعرفه عنها ضئيل للغاية.)

لماذا تتأجج دائما نيران حملات جماعية سادية ترتبط دائما بكبار القادة المضللين؟ في أي بلد تكرر استئصال آلاف البشر من جموع المقاومين بمناشير آلية؟ الموضوع: ضرورة أم بالأحرى شر لا بد منه في الظاهر، هنا أيضا عندي بعض الأفكار التي لم تتخمر بعد ولا أريد أن أدخل في تفاصيلها، أعتقد أن في تاريخ تطور الشعوب دائما ما تكون هناك مرحلة تتحرر فيها القوى الفظة العنيفة داخل المجتمع، هذه النزعة إلى الجبروت تبدو وكأنها تستعر تحت الرماد في كل مكان دون رادع.

حتى المجتمعات التي تكبح جماح نفسها تظهر في أوقات الاضطرابات أشد أنواع الوحشية (ألمانيا، الصين، اليابان)، أيضا ظهر العنف في روسيا وفي الأسابيع الأولى للإغارة على ألمانيا لكنه كان بطريقة مختلفة.

لذلك هي ضرورة لأن بعض الشعوب يجب أن تكون في البداية وحشية جدا في ظاهر الأمر إلى أن يتغلغل الاشمزاز الداخلي في الوعي الجمعي، وقد كان الألمان دقيقين جدا في هذا الأمر، وأنا لا أعرف ألمانيًا يمكن أن يقول بنبرة جادة "نحن الألمان"، لكن المرء للأسف قد يبالغ في احتقار حضارته، ولذلك تكون منسية بالفعل، وإذا نظرنا للأمر كما يراه نيتشه إذن لمحت العصور الوسطى بكل ما كان يمارس فيها يوميا من وحشية من ذاكرتنا ما نفهمه اليوم على أنه أخلاق حميدة، ولصار من يسرق تقطع يده، والآن قد تعلمنا للتو قيما جديدة، "ينبغي ألا تدمر الشعوب"، "لا يجوز الانقراض على البلدان الأخرى" وهكذا...

حسن، أمل ألا تكون قد مللت مني بسبب هذه الأفكار الموجزة، ففهمي للتاريخ والجغرافيا وللعلوم جميعها لا يزال فهما قاصرا جدا...

تحياتي القلبية!

شتيفان شونيمن

السيد المحترم/كراخت!

أولا وفي عجالة أنا أحب مؤلفاتك، منذ عدة أسابيع تلقيت إيميلًا من سَمِيك، وتبادلنا الرسائل بانتظام كل يوم تقريبا، وهو حقيقة إنسان لطيف جدا، رجل مُسِن من بريمن، أتوقع

أنك تعرفه، كتب لي يقول أنه لا يسمح للذين يكتبون لك إيميلات تحتوى على سباب وعبارات تخدش الحياء أن يحصلوا على العنوان الصحيح للبريد الخاص بك، ولي فترة لم أسمع عنه شيئاً ويساورني القلق بشأنه، ومسبقاً أقول شكراً جزيلاً أنك قد أنفقت وقتاً في قراءة هذا الإيميل.

مع تحياتي القلبية من ميونخ!

شتيفان شونيمن

ملاحظ: كتابك "إجازة للأبد" - Ferien für immer - "بيبي بيف" Baby Beef: الوصفة التي في كتابك ليست صحيحة كما أعتقد، ألا يجب أن تحمر شريحة اللحم أولاً ثم تُسَبَّك؟ لقد جربتها بالأمس كما قرأتها لكنها كانت نيئة بعض الشيء، ربما تفلح وصفة اليوم مع الترتيب المختلف في الخطوات.

روح أمريكا زيارة إلى فانواتو/٢٠٠٤

على جزيرة "تانا" Tanna في بلاد "فانواتو"^(١) Vanuatu ومنذ الحرب العالمية الثانية يرد على خاطر ذكر رجل سيتحدث إلينا بعد قليل، اسمه "جون فروم" John Frum وهو أخو ملك أمريكا، هذه قصة عن رأس المال والبضائع التائهة في خضم المحيط الهادئ. تبدو للعين هيئة رجل^(٢) قادم من وسط الأحرار الغضة: تهب من حوله ريح مُعَبَّرَةٌ^(٣) فَيُكْثِرُ من نفث الغبار عن قميصه الفضفاض بيديه وهو يخطو قدما، كونه رجلا لا يزال أمرا غير مؤكد، هو في مشيته واسع الخطوة مفروود الركبتين، ويكفي عجا أنه في حركته المتأنية تسبق الخطوة أختها.

ملابسه - كما تبدو في عين الناظر - تعطي إحساسا بأنها زي نحال^(٤): وجهه مغطى بشبكة بيضاء منسدلة من قبعة مفلطحة^(٥)، عندما يرفع رجليه إلى أعلى ينحسر إزاره عن جورب قدميه الزاهي، الآن وهو يقترب يمكن أن نميز بوضوح غليوننا قصير الذراع تضطرم جذوته من تحت الشبكة، فتزداد صعوبة التعرف على ملامح وجهه.

بحركة هادئة يرفع الشبكة عن وجهه ويبدأ حديثا يسري من فوق المروج الخضراء، نسمعه يقول:

"لقد جاء جون فروم⁽⁶⁾، لقد جاء، وهو يقول: سيقول البيض أن عليكم أن تعملوا في الحياة بجد، اطردهم! وألقوا بأموالهم في البحر! وعودوا ثانية إلى الرقص وشرب الكافا كيفما تحبون! وسيعاود البيض الكثرة وسيحضرون لكم الثلجات والنقود والملابس وسيارات النقل الجديدة وأكثر من ذلك بكثير، يجب عليكم ألا تفعلوا لهم شيئا! سيأتون بالطائرات وعلى متن السفن، فلا يجوز لكم أن تسرقوهم! قولوا لهم مرحبا وسيعطونكم، يجب عليكم ألا تساوموهم، وسيعطونكم كل ما تطلبونه، عليكم أن تأخذوا فقط ما طلبتموه! فأسعاركم أسعار جيدة، خذوا فقط نقودكم، ولا تكونوا يوما بدونها! يمكنكم أن تستلقوا وتشربوا الكافا وتأكلوا من الموجود، وسيُدفع لكم ببذخ مقابل أقل حركة تعجبكم، سيأتي آخرون ويتحدثون عني، سيقول لكم بعضهم أنه أنا، لكني أعيش داخل البركان، فلا تبحثوا عني، حتى أعود إليكم عندما يحين الوقت، فأنا أملك جيشا وسأعود سريعا."⁽⁷⁾

في اليوم التالي جاء بعض ساكني الأدغال وبدءوا يقطعون الأشجار، دفعة واحدة، كانوا يعتقدون أن عليهم أن يجتهدوا أكثر، عزقوا بفؤوسهم مساحة كبيرة من خشاش الأرض، قصوا حشائشها، وزرعوا مساحات منها، شيّدوا مقرات قيادة عسكرية، وبنوا أكواخا ومدرجا لهبوط الطائرات، صنعوا نماذج خشبية لأجهزة لاسلكي لها أبواق من قشر الجوز لكي

يتواصلوا لاسلكيا مع القادمين، في كل مرة يمرق ظل طائرة "أفينجر"^(٨) Avenger-Maschine فوق المروج، يخرج التناويون من أكواعهم سعداء وهم لا يجدون من الطائرة سوي طنينها المبتعد، وسرعان ما يذهب رجالهم إلى أجهزة الراديو ويبتثون عبرها كلمات سحرية: روجر روجر، جوني، فوكستروت^(٩)، ليما، كيلو^(١٠)، لكن الطيارين لا يجيبون.^(١١)

موظفو الاستعمار البريطاني والفرنسي علموا بمدارج الهبوط تلك واعتقلوا مشغليها بسبب معتقداتهم الفاسدة وتكديرهم النظام العام، زُج بالعشرات من أتباع "جون فروم" في سجن العاصمة "بروت فيلا"، في "كالابو"^(١٢) Kalaboo مظلم رطب، هناك في دياجى التعسف الاستعماري وبصحة حساء الماء وأعواد الكرب الجافة كان الرجال يترقبون المجيء الموعود، مر عليهم عام تقريبا وهم يأملون، وفي عام ١٩٤٢ تمركزت فيالق أمريكية حاشدة^(١٣) على جزر "هبراديز" الجديدة، وجاء بصحبته الصليب الأحمر، وجلبوا معهم أجهزة التبريد، ومجففات الشعر، وشرائح البطاطس المحمرة، وبذور الذرة، والأمشاط

^١ لما وطئ المستعمر الأوروبي الأبيض هذه الجزيرة لاحظ سكانها أن هؤلاء البيض يملكون معدات وبضائع عجيبة لم يشهدوا لها مثيلا من قبل، وقد لاحظوا أن البيض لا يصنعون هذه الأشياء بأنفسهم بل تأتي إليهم في صناديق على ظهر سفن شحن، واعتقدوا أن كل ما يفعله البيض ليحصلوا على هذه الأشياء هو الجلوس والكتابة على أوراق ومراسلة بعضهم البعض وأداء بعض المظاهر العسكرية فتأتي إليهم هذه السلع والبضائع من وراء البحار، وظنوا أن في الأمر معجزة خارقة لرب عظيم، وبناء على ذلك قرروا أنهم إذا أرادوا الحصول على هذه الأشياء فلا بد أن يفعلوا كما يفعل البيض كي =تستجيب لهم الآلهة، ولأن الأوروبيين كانوا في حاجة إلى عمالة فقد استعانوا بالسكان في بعض الأعمال الدنيا وكانوا يلبسون العاملين لديهم ملابس = غريبة ويأمرونهم بعمل أشياء عادية ثم يكافئونهم عليها بشيء ببعض السلع أو المعدات، فكانت الأعمال التي يؤديها السكان هي في نظرهم طقوس تؤدي للحصول على البضائع التي تمنحها الآلهة، وكلما وصلت إلى الجزيرة سفنا جديدة محملة بالكارجو، كلما تيقنوا من صحة عقيدتهم ومن قبول الآلهة لطقوسهم ومكافأتهم بالمزيد من السفن والبضائع (المرجم)

المُرَقَّطة، والقار. لقد جلب الأمريكيان السلع والبضائع التي وعد بها "جون فروم" (١٣)

بعيدا جدا عن ممرات الهبوط المعشبة وسط الأدغال يجلس صبي أسود شعره أشقر مجعد ويتصفح كتاب مصور، يضحك وهو ينظر: "تيل أويلينشبيجل" Till Eulenspiegel، "كين كيسي" Ken Kesey، "مواطنو شيلدا" Bürger von Schilda، يواصل الصبي التصفح، فهناك "الخضر"، و"فولفجانج كويين" Wolfgang Koepen، و"أني سبرنكل" Annie Sprinkle، و"جوفي" Goofy، وجدي ذو لحية ههفافة، و"شتيفان ريملر" Stefan Remmler، ولورد "ساتش" الصائح Screaming Lord Sutch، ورجل يعصر جذور نبات الكافا بألة دوارة، يقبّل الصبي الصفحات عائدا إلى "جوفي" ويغلبه الضحك مرة أخرى، وجوفي هو كلب يصاحب أحد الفئران ويتورط إذا لم يتلق منه المساعدة الضرورية، أو هكذا يدعي الفأر، القضايا البسيطة التي يحلها الفأر الصديق في دقائق تسبب للكلب جوفي معضلات لا يحلها أحد غيره وبشق الأنفس، خذ موضوع حقيبة اليد مثلا: ستة أحجار كريمة مصقولة موضوعة بشكل متدرج في نافذة عرض جواهرجي، تنطفئ الأنوار ثم تشتعل مرة أخرى والأحجار الكريمة مازالت موجودة، فقط أصبحت نسخة مقلدة رخيصة، ويتم استدعاء المفتش "هانتر" Hunter الذي تأخذه الحيرة، ثم يطفئ جوفي الأنوار مرة أخرى ويعيد إشعالها سريعا، فنتحول من جديد قطع الزجاج عديمة القيمة إلى ماسات ثمينة.

على جزيرة "تانا" يُفاجأ الغرباء بحميمية طفولية (١٤) لدي السكان التاناويين، وبسلامة النية التي ليس فيها أي نوع من

أنواع الفضول، فالتحية - وهي شيء سرعان ما يدرك: حاجبان مرفوعان، ثم إبهام ممدود إلى السماء، ثم ابتسامة عابرة تتبعها قهقهة مجلجلة، ولا يحتاج السكان أن يطاردوا الغرباء وأن ينتبعوا أموالهم، إنهم فقط ينتظرون.^(١٥)

في الغابة وعلى جانب المدقات المتربة ساحة قد جردت من الأشجار، يوجد بها كوخان، تُباع في أحدهما - وهو من الصفيح المصلع - كراريس مدرسية وسدادات مطاطية، وتوجد في الآخر - وهو من الخشب واللحاء - الكافا، وخلف الكوخين ثمة نار تضطرم وُضِعَ عليها أغصان ندية، تنبعث منها أدخنة تطرد الذباب والبعوض، وخلفهما أيضا ثملاً قشور الجوز بلبن جذور الكافا الأخضر المترجرج، ويعرف اللبّن من طست موضوع وراء قائم، الآن ثمة ثلاثة قشور جاهزة على طاولة الشراب الخشبية ذات النتوءات، تتخفى الشمس خلف شجرة أّتب^(١٦) عملاقة، ويخيم المساء على تانا. يأخذ الزبائن قشور الجوز الصغيرة، يقفون في بقايا الضوء المضمحل ويرفعون السائل إلى أفواههم، في نفس واحد طويل تسري الكافا^(١٧) في أبدانهم، لا يزال هناك وقت للجلوس على الدكة الخشبية تحت شجرة الأّتب.

يعتمل الطنين في رأس كلٍ منهم، فترتفع الأيدي لتقيها، يزداد إطباق

الطنين عليها من كل جانب وكأنها حاوية محكمة التغليف بها عبوات لحم انحشرت - أثناء إنزالها في الميناء - بين ناقلتي حاويات بدلا من أن تستقر على الأرض كما هو مطلوب، يحدث ضيق تنفس لا يستمر إلا قليلا^(١٨)، تمر سيارة^(١٩) فتصدر مزيدا من الضجيج^(٢٠)، تخفت الأصوات، تنخفض

النبرات حتى تصبح همسا، يخيم صمت الكهف، صمت المغارة الصناعية، ثم يجيء الليل بسكونه اللامتناهي. ينمو الجذر.

على مدى ثلاثة إلى أربعة أعوام ينمو في الحديقة وسط نباتات الكاسافا والبطاطا والقلقاس.

إذا ترعرع وأينع فإنه يملأ اثنتي عشرة قشرة جوز كبيرة، والقشرة الصغيرة تباع بخمسين "فاتو" Vatu. (٢١) أما الكبيرة فتباع بمائة "فاتو".

وليست هذه نقودهم، وليست كذلك نقود البيض.

- "هل لي أن أخذ قطعة بطيخ؟"

- "عشرون فاتو."

- "لا ليست هذه، بل الحمراء."

- "الكافا خلاص."

يُطفأ مصباح كشك الكافا.

- "والبطيخ؟"

- "بطيخ خلاص." (٢٢)

نفدت الكافا بعد ساعة من إعدادها. الجراء الصغيرة تتصارع على لقمة ممضوغة في حجم البيضة المقلية بصقتها أحد الرجال في التراب، الأصوات الهامسة لا تكاد تصل إلى أقرب الأشخاص، لا صوت يُسمع سوى النحنحات والبصقات التي ترتفع حذتها فتصبح الصوت الوحيد الذي يخترق السهل كله.

مثل النجوم الثابتة التي تقترب وتتباع فيما بينها يجيء السكارى من

الأحراش إلى كشك الكافا لابتياح المزيد ثم يعودون ثانية وسط الخضرة الآخذة في الإظلام، ينبثق الحلم وسط هذا

الجمع، حلم بكميات هائلة من الـ "سبام" (Spam^(٢٣))، من عبوات اللحم التي تبدو أكبر وأقرب إلى التناول كلما اشتدت ظلمة المساء، على الجانب الآخر من "تانا"^(٢٤)، عند سفح البركان حدث العام الماضي انشقاقٌ بين أتباع مذهب "جون فروم"، ففي قلب الأدغال طريقٌ طويلٌ ينتهي بشعبتين، اليسرى منهما نازلة إلى "فرد" Fred واليمنى صاعدة إلى التلة حيث "إيزاك وَن" Isaac One.

حدث الانشقاق كالتالي: كان "فرد" عائداً من رحلة بالقوارب زار فيها أفريقيا وأوروبا وتايوان، بمجرد عودته أعلن أن الخلاص قد حل من فوره، وأن الانتظار قد أصبح له نهاية، حينها هز العجوز "إيزاك وَن" رأسه واصطحب معه الموالين له، وصعد ٨٠٠ متراً فوق التلة.^(٢٥)

ينبغي أن يتصور المرء هذا الأمر وكأن "فريتس ي. رادادنتس" Fritz J. Raddatz نجح في طرد "جرت بوسيريوس" Gert Bucerius و "جريفين ماريون فون دورف" Gräfin Marion von Dönhoff من مبني جريدة "دي تسايت" DIE ZEIT وهيئة تحريرها، فبدأ بعدها في نشر جريدة محلية في ضاحية "إيزاماركت" Isemarkt في "هامبورج-أيبندورف" Hamburg-Eppendorf، وكانا هما أصحاب الحق والحجة. بين رئيس تحرير صفحة الأدب في أكبر مؤسسة صحفية معارضة وبين "فرد" روابط أكثر من مجرد تشابه حرفين في بداية اسميهما، وقد ظل الأخير ماضياً يسيطر ويأمر ويدس رأيه في رمال "سولفر باي" Sulphur Bay السوداء تحت ظل البركان.

كانت أكواخ جماعة "فرد" تتحلق حول ساحة معشبة مُعتى بها تختفي حافتها الخلفية في رمال شاطئ البحر

السوداء، في نسמת البحر ترفرف بلطف صفوفٌ من البيارق الصغيرة الموشاة بصليب "فرد"، بينما يقام في قرية "إيزاك ون" أعلى التلة استعراض سنوي^(٢٦) يستمر عشرين ساعة تعظيماً لجون فروم. في مطلع النهار تؤدي التحية الجماعية للعلم الأمريكي، ثم يدخل إلى ساحة التمرين عريف يرتدي زياً عسكرياً ومداس حمام وفي يده اليمنى عصا المفتشين ويبدأ في الصباح بأوامره، في الظل يجلس الزعيم إيزاك ون جانبا على دكة خشبية، بينما يلهو الصغار حوله، وتتهارش الجراء الصغيرة، ويسد القادمون الرؤية أمامه.^(٢٧)

بالخطوة المعتادة تمشي فرقة من مائة رجل شبه عراة وقد رسمت على صدورهم حروف "U.S.A" باللون الأحمر، وعلى أكتافهم أسلحة خشبية، ويبدوون التدريب في ساحة القرية بخطوات استعراضية بالأمر "C'mon Boys".

بعد ساعات عندما يحين وقت الغداء يأتي إلى الساحة رجال آخرون، هم من الطهاة، يحملون عبوات من الطعام ملفوفة في أوراق موز عملاقة، تُفتح الأوراق الخضراء، فيُكشَف عن لحم بقري، يغوص الطهاة في البروتين المقدم في الشمس، وتطيش أيديهم حتى المرفقين في القوت الخالي من الدم. فتسيل الدهون بطول الذراع وتختلط بعرق موزعي اللحم.

بينما يأكل كل من في القرية ينسحب إيزاك ون إلى مكتبه في الكوخ المظلم، إنه رجل رقيق الحاشية، يداه النحيفتان الناعمتان ترسمان في الهواء الندي دوائر ناقصة أمام وجهه، على الحائط رسم يُظهر عالمان: عالم اليوم وعالم الغد الآتِ، يمرر إيزاك ون سبابته بين العالمين جيئةً وذهاباً ويبيِّن الآتي:

"يوما ما ستأتي روح أمريكا وروح جون فروم
معا، لكن جذور الروح الأمريكي هنا في تانا، إن
تانا تحفظ روح أمريكا لأمريكا، والموجود هناك
اليوم هو مجرد ظل، لقد زرت أمريكا، بيّد أني
عندما وصلت إلى هناك كان الروح قد غادرت
بعيدا بعيدا، اليوم توجد جبال عظيمة، وطريق
كثير المنحنيات، لكنها ستأتي يوما ما، ستسقط
الحكومات، ومن بعدها سيغدو الصراط مستقيما،
وسيحل السلام، أنا أعرف بن لادن وأتحدث معه،
فالروح أيضا مع بن لادن، كان على الأمريكيين
أن ينصاعوا للروح، ولكنهم لم يفعلوا، لقد فوتوا
اليوم الموعود في عام ٢٠٠٠، ومن أجل عوقبوا،
وأصيب بيت أمريكا المقدس، لقد عرفت ذلك قبل
أن يقع، يوما ما ستلتي الروحان وسيوجد عالم،
وسندخل كلنا الجنة معا، ما يجب عليكم أن تفعلوه
الآن هو أن تجلسوا وتفكروا ما هي جذوركم
ومن أين جئتم." (٢٨)

الحواشي (جميعها للمؤلف):

١. "هيرايدز الجديدة" Neue Hebriden سابقا، مستقلة عن بريطانيا وفرنسا منذ ١٩٨٠.
٢. إرساليات البيض المحلية تخمن أنه كان جنديا أسود في الجيش الأمريكي، بينما يفترض "توم دونكان بيتي" Tom Duncan Beatty - وهو من القوات الأمريكية التي تمركزت في جزيرة "تانا" عام ١٩٤٢م - أن الشخص الذي ظهر هو في الحقيقة جندي غواصة ياباني، وقد أصبحت زيارة "توم بيتي" نفسه أسطورة من الأساطير بعد عدة أعوام، وبسبب عطياه الكثيرة يطلق عليه في "تانا" إلى اليوم "توم الأسطول" Tom Navy .
٣. يبلغ ارتفاع بركان قمة "ياسور" Yasur ٣٦١ مترا، وتعتبر فوهته أكثر فوهات العالم انخفاضا بحيث يمكن للإنسان تسلقها، وتخزن الـ "كارجو" Cargo أو بضائع العالم - حسبما يعتقد أتباع جون فروم - في أعماق قمة "ياسور"، وقولون أنه يكفي النباش بالقدم لكي تخرج هذه البضائع، لكن البركان نفسه لا يسمح بوضع أو أخذ شيء منها كما يزعمون.
٤. النحال Der Imker هو الذي يستفيد من نشاط النحل، حتى اليوم لا يوجد في جزيرة "تانا" إنتاج محلي من عسل النحل، ولا من العسل الجبلي، وظهور جون فروم في صورة نحال فيه أيضا تشبه بالقديس يوحنا عندما تلقى سفر الرؤيا وكان وقتها لا يطعم إلا العسل الجبلي.
٥. يروى البعض أن جون فروم عندما ظهر كان يضع مسحوق "الطُّق" على وجهه، بينما يزعم آخرون أن جون فروم كان أمريكي أبيض البشرة شعر رأسه فاتح اللون وليس بعيد الشبه عن الممثل البريطاني "بيتر أوتول" Peter O'Tool.
٦. كلمة "فروم" Frum تنطق بالإنجليزية مثل Froom وبالألمانية مثل Ruhr.
٧. هذه ترجمة من لغة الـ "بيسلاما" Bislama، وهي إحدى لهجات لغة الـ "بيدجين" Pidgin في "فانواتو وبابوا غينيا الجديدة" وتتميز بكونها خليط من لغات متعددة منها الإنجليزية والفرنسية، والنص الأصلي كالاتي:

“John Frum Hem I kam. Hem I kam. Hem I telem se: White man I telem se, yu fela I mas wok had. Sendem olgeta white man I go back. Takem moni blong white man mo saken long spl wata. Nao ia yu fela I save damis mo drink kava evri taem.

Mo bam bae yu fela I waet long ol cargo bai I kam wea hem I bin promesem ol sam ice box, moni, kos, new trak mo fulab moa.

Yu nomas spoilem. Bae oli come wetem plen mo ship. Yu nomas stil long olgeta bei yu welcomem olgeta, mo bai oli givem long yu. Yu nomas bagen. Bae oli given evriting wea yu askem. Bae yu takem nomo wanem yu askem. Price blong bae I one gud price. Takem moni blong yu nomo. Blong bae yu gat emuf moni. Yu save stap mo kakai long frut blong garaen mo drink kava. Smol movement wea yu makem, wea yu wantem, bae I bringem bak ol gud gudfela samting.

Ol marafala man bae oli kam telam tok tok blong mi. sum man bae oli stanup mo talem semi. Bae mi noa mi live inside long volcano. Yu fala I no lukoutem mi, bae mi kam ani team. Mi mi gat armi. Bae mi kam bakagen.“

٨. هذه المقاتلة التي صنعتها شركة نورثروب جرومن Northrop Grumman عام ١٩٤١ وسرعان ما دخلت الخدمة، خاصة في معركة بحر كورال Korallensee (بحر المرجان)، لم تكن متفوقة على المقاتلة اليابانية "زيرو" Zero من حيث التسليح فقط، بل كانت أسرع منها بمقدار الثلث، ما أدى إلى تحول حاسم لصالح القوات الأمريكية في معارك المحيط الهادئ.

٩. كلمتان ترمزان للحرفين الأولين من كلمتي "جون" و "فروم" منطوقين حسب الأبجدية التي يستخدمها الطيارون.

١٠. كلمتان ترمزان للحرفين الأولين من الكلمتين "لوكاس كوخ" Lukas Hoch وهو اسم نبي من "أوساكا" منطوقين حسب الأبجدية التي يستخدمها الطيارون.

١١. كلمة بيسلامية تعني "الزنزانة".

١٢. ١١٠ ألف جندي، وتعد ثاني أكبر قوة عسكرية أمريكية متمركزة في آسيا إبان الحرب العالمية الثانية، بعد هاواي.

١٣. الـ "كارجو كولت" Cargo-Kult - أو ما يمكن أن يسمى "عبادة السلع" - هي عبادة منتشرة في أرجاء المحيط الهادئ (من غينيا الجديدة حتى هاواي، ومن "ساموا" Samoa حتى "جزر الإيستر" Osterinsel أو جزر عيد الفصح)، إلا أن الأمر مختلف في جزيرة تانا إذ يرتبط مجيء السلع بنبوءة سابقة لذا فليست مجرد شعوذة تعبدية، بل الصحيح أن تعتبر "كارجو إشاتولوجي" Cargo-Eschatologie أو "خلاص سلعي".

١٤. في الحقيقة كنا نشعر هناك لا نكاد نشعر بأجسادنا على نحوٍ يذكرنا "برايتهولد ميسنر" Reinhold Messner وعدم مبالاته الغريبة في التعامل مع جسمه، إذ كان ينزع دوالي ساقيه بنفسه وبلا تخدير.

١٥. يدرك علماء الأنثروبولوجيا أن على كل إنسان يعيش في الغابات الاستوائية أن يعمل أربع ساعات فقط أسبوعياً لكي يُؤمن لقرئته ضروريات العيش، وليس الجو الحار الرطب وحده هو السبب في جعل سكان الغابات حاملين على هذا النحو، بل أيضاً وفرة الحطب والجذور المغذية خفيفة المذاق التي تنبت في الأرض في كل مكان حولهم، هذا الخمول يُفسر أيضاً انتشار أكل لحوم البشر في جزر المحيط الهادئ حتى بدايات القرن العشرين، فالغرباء الأجانب كانوا يسمون هناك "Long Pig" أي "الخنزير الطويل"، وكانت الخنازير الصغيرة التي ربيت بعناية تعتبر لديهم من أشهى الأطعمة، وكانوا يرون أن لحم البيض له مذاق "شديد الملوحة"، على العكس من لحم الجنود اليابانيين فهو "حلو جداً وألذ"، أما لحم الصينيين فلا شيء ضاهيه، وقد كتب "و. لافيلين بوكسلي" W. Lavellin Puxley في بعض كتاباته عن جزر الهيراديذ الجديدة قائلاً: "حكي أحد آكلي لحوم البشر العجائز لصديق لي أنهم لا يأبهون كثيراً بلحوم البيض فهي مالحة أكثر من اللازم، أما الـ Chows أي الرجال الصينيين فهم أفضل بكثير، لكون لحومهم حلوة جداً جداً" (انظر: W. Lavellin Puxley: Green Island in Glittering Seas,

(Londen 1925)، ولعل هناك سوء فهم في اعتبار عادة أكل لحوم البشر التي مورست في المحيط الهادي رمزا للشهوة (خاصة الشهوة الجنسي) كما في فيلم "الجوع" "The Hunger" لـ "ديفيد بوي" David Bowie و"كاترين دونوف" Catherine Deneuve، أو في أغنية "أكلو الإنسان" Man Eater لـ "داريل هولس" Daryl Halls و"جون أوتس" John Oates، ويعتبر الحديث في هذه الحالة هو بالأحرى عن أسلوب حركة إيطالي يميل إلى الراحة، أو هو كسل يشبه كسل أكل لحوم البشر، وقد نقلت كاتبة الغرائب "ديزي بيتس" Daisy Bates في بعض مؤلفاتها عن مفوض سابق عن جزر الهيبيراديز قوله: "عندما يُستخرج اللحم البشري من القرن تكون طريقة تناوله كالتالي: يكون للخوان فتحة واحدة من أحد طرفيه، ويسحب الأكلون رؤوسهم إلى الوراء كما يفعل الإيطاليون عند أكل المكرونة، ثم يَكْبَسون الطعام في أفواههم حتى يشبعوا." (انظر: Daisy Bates, The Passing of the Aborigines, Londen 1933)، هذه الطريقة أصبحت إحدى اللوازم العصبية لدى الظهور الوحيد لجماعة "هيريون كانيباله" Heroin Kannibale في "ذي تشامبر" The Champer في أوساكا اليابانية يوم ١٩ سبتمبر ٢٠٠٢، وكان مشروع هذه الجماعة عبارة عن حفل موالاة للعدو القديم - اليابان - تُؤدَّى فقط مساء ذلك اليوم، وقام به الفنانان الألمانيان "تيرانوفا" Terranova و"هولجر هيلر" Holger Hiller.

١٦. شجرة الأثب هي أضخم الأحياء على وجه الأرض وتقع على تل قريب من "ليناكل" عاصمة تانا، ويبلغ متوسط قطر التل ١٧٥ مترا.

١٧. يعتبر مشروب الكافا التاناوي هو أقوى شراب لدى الميلانيزيين والبولينيزيين. وحسب التقاليد يمضغ جذر الكافا ثلاثة صبيان دون البلوغ Virgin Boy ثم ييصقون للعباب المحتوى على الحبوب على لوح ويقدم الخليط كله لرجال القرية في طست، ولا يجوز دخول النساء إلى الـ "ناكامال" Nakamal التي تعني مكان شرب الكافا. فهو بالنسبة إليهم "تابو" tabu (كلمة بيسلامية معناها "محرم").

١٨. الاختبار التجريبي الثاني لتعاطي الكافا كان في ١٣ فبراير ٢٠٠٤ وتطوع به نيرمن وكراخت، وكانت الجرعة ٣٥ ملل لكل متطوع.

١٩. في جزيرة تانا حوالي ١٤٠ سيارة معظمها سيارات لاندكروزر يابانية وكورية المنشأ، ويعبأ البنزين فيها بواسطة رشاشة. ٢٠. يؤدي تعاطي الكافا إلى حساسية زائدة للصوت والضوء، وأحياناً إلى الإحساس بالعزلة.

٢١. متوسط سعر الصرف في ٢١ فبراير ٢٠٠٤: ١ يورو = ١٣٦.٠٦٣ فاتو.

٢٢. محادثات مكتوبة جرت في حانة الكافا يوم ١٦ فبراير ٢٠٠٤، على جزيرة تانا، فانواتو.

٢٣. الـ "سبام" Spam هو اسم عام لأنواع من اللحم الدسم المملح المحبوب جداً في منطقة الباسيفيك، ويكون مضغوطاً أو مقعداً ومعبأ في علب، تباع كـ لحم بقر Corned Beef أو لحم ضأن مملح Corned Mutton، وهي تُذكَرُ الميلانيزيين/البولينيزيين بمذاق اللحم البشري، ومعدل استيراد الـ Spam بعدد الرؤوس في فانواتو (خاصة من أستراليا) هو الأعلى في العالم. من جهة أخرى تعتبر جزر المحيط المدارية من مصادر الـ Computer-Spam ويقصد بها الرسائل الإلكترونية المشكوك في مصدرها والمرسلة لعدد غير محدود من الأشخاص وتسمى Bulkmail و Junkmail.

٢٤. في ستينيات القرن العشرين قذفت الأقدار بالمصور الفوتوغرافي ألماني الجنسية "جونتر زاكس" Gunter Sachs إلى جزيرة تانا، ومن المفترض أنه صور فيها فيلماً وثائقياً مدته ساعة ونصف، وحسب زاكس فُقد فيلم "بحثاً عن جون فروم" In Search of John Frum (من نوع ١٦ ملم) جراء حريق نشب في الأستوديو الخاص به، ولا يعرف زاكس إن كان هناك نسخ منه أم لا.

٢٥. بأسلوب "إرفين كوخ" Erwin Koch المحرر السويسري العبقري الذي عمل في السابق في مجلة "شبيجل شبييتسيال" Spiegel Spezial، وهو الآن كاتب روائي.

٢٦. ١٥ فبراير هو يوم ذكرى جون فروم.

٢٧. تتابع الحدث بالتفاصيل ذاتها في بيت الكاتب الألماني "جونتر جراس" Günter Grass يوم ٢٤ يناير ١٩٨٥: "مساء البارحة عند جراس كان أول ظهور لكتابه الجديد، وكان جراس على غير عادته تماما، هادئ النفس جدا - رغم أن بعض الجمل الفرعية القصيرة كانت تكشف عن خوفه الشديد من المذبحة، إذ كانت الأعمال المنزلية في بيته تسير بشكل عجيب، فـ"أوتيه" Ute قد مكث، لكن في المطبخ، والابن قلب وعاء نبات السحلبية الذي أحضرته معي، والآخر نهض ببساطة أثناء الطعام حاملا طبق عليه بعض اللحم ثم اتجه إلى الهاتف، أما الثالث الذي أعد له الطعام معنا فلم يظهر أبدا." (انظر: Fritz F. Raddatz: Unruhestifter – Erinnerungen, (München 2003).

٢٨. ترجمة من اللغة البيسلامية، والنص الأصلي كالآتي:

“One day bae amerikan spirit widem spirit blong John Frum bae kam tugeter. Bae stapa blong spirit blong amerika I stap blong tanna. Tanna I kipim spirit blong amerika emi blong merika, emi olsem one shado noa. Mi do long amerika, taem mi kasem long wie, sprit I go long way. Igat plenty big fala noa, na al rot oli kruked, bae bae one day bae emi I kam. Bae ol government I fall down, after bae one eot I stret mo bae I gat pis bakagen.

Mi save Bin Laden, mi toktok long hem, Bin Laden hemi I man blong sprit tu, amerika hemi i shud letem sprit toktok long hem, bei hemi i no wantem, oli i mestem deadline long year 2000, afta oli kasem, punishem, holi hoes blong amerika hemi i kapsite, bifo anysonting i happen mini save finif. One day bae tufala spirit bae I kam tugeta, mo bae tufala I kam one wol nome, mo bai yumi gi long paradise. Wenem bai yum as makem nos blongsit doan tugeta mo ting ting strong long wanem ples nao yuk am long hem.”

الكوكب يدعى "الأفسنتين" زيارة إلى تشيرنوبل/٢٠٠٥

فسقط من السماء كوكب عظيم متقد كمصباح
ووقع على ثلث الأنهار
وعلى ينابيع المياه
واسم الكوكب يدعى "الأفسنتين"
فصار ثلث المياه أفسنتينا
ومات كثيرون من الناس من المياه
لأنها صارت مرّة

العهد الجديد، رؤيا يوحنا اللاهوتي (٨: ١٠، ١١)

إن أخص ما في الترحال، بل إن أمتع ما فيه يكمن دائما
في عدم الشعور بالارتياح في أي مكان يوجد فيه الرّحالة،
سواء كان لدى وصوله أو في طريقه أو عند رحيله، وفي
حالة رحلتنا هذه - التي قصدنا فيها مدينة تشيرنوبل
الأوكرانية - كان عدم الارتياح يشبه حرزا مغلقا بأختام
غامضة سببها تلك الوجّه ذات النشاط الإشعاعي، وقد بدا
الختم الأول - في بداية الطريق - قويا بشكل غير عادي، لأنه
من المفترض ألا يفكر المرء في الرحابة اللامتناهية للطبيعة
باعتبارها مجرد صورة من صور الجمال الصافي، رغم ذلك

وبسبب قوة ذاك الختم سرعان ما أنتج التصور الساذج عن
أوكرانيا التي تسطع فيها الشمس إلى الأبد صورةً فسيّساء
تمتد نحو الشرق بلا انتهاء، صورةً بساط زاهٍ فيه صفرة
القمح وزرقة السماء، يُنشر أمام مقدمة القطار وكأنه صنعة
ألوان إلهية، لكن في اللحظة ذاتها وعندما يصبح هذا البساط
قريبا يوشك أن يُدركه المرء باليدين تعود عجلات قطار
الإكسبريس التي لا تعرف الرحمة لتبتلعه من جديد.
لم تستقم الأمور في رحلتنا هذه إلا بعدما كُسرت الأختام
السبعة، وليس قبل ذلك، ساعتها كان الأوان قد فات بالتأكيد.

الختم الأول

قطار برلين-ليشتنبرج، رصيف ١٦

مساء الأحد الساعة ٤٠:٢١

إن جوهر السفر على قضبان السكك الحديدية يكمن في
طبيعتها الحديثة الموجهة إلى مزيد من التفاعل، وإلى
التخطي السريع للعقبات، ففي الماضي كانت محطات القطار
بلا أرصفة، محطات بعيدة عن الحسابات الاقتصادية - كانوا
يراعون فيها عملية تبديل الجرارات ويعملون حسابا لموقع
القطارات وسط المدينة ولاتساع أرصفتها المتعددة - وكانت
هذه المحطات تتميز بمصدات طرفية تشير إلى وصول
القطار إلى النهاية أو إلى بدء تحركه، أما اليوم فلم تعد
القطارات تساق إلى الخلف بحذر كي تدخل في محطات
الوقوف، وإنما باتت تسحب ببساطة من رصيف إلى رصيف
وكانها تنبثق من فضاء ممتد، أصبحت قطارات لا تعرف
النظافة أو الجدة طريقا إليها، فهي دوما مستعملة، مرهقة،

منهكة ومتسخة، وليست محطة برلين-ليشتنبرج Berlin-Lichtenberg بدعا من تلك المحطات.

على لوحة تشير إلى مكان تَوَقَّف العربات كُتِبَتْ بوضوح العبارة التالية: "في قطار الإكسبرس ٣٤٥ المتجه إلى "كيبف" لا يوجد بجوار المطرقة والمنجل أشواك أو سكاكين تتقاطع ضد الجوع والعطش." كانت عربة الطعام الموجودة داخل القطار قد سقطت ضحية التشديدات الصحية التي أقرها الاتحاد الأوروبي. ونحن مازلنا على الرصيف حكي أحد المسافرين - وهو واقف يرفع قدما ويخفض أخرى - أنه قبل عام كانت هناك طاهية أوكرانية تعد وجبات طازجة من أكلة الـ "بورشتش" Borschtsch الروسية الشهيرة على موقد غاز في المطبخ الصغير الخاص بعربة الطعام، وكانت تلك الوجبات تقدم في أطباق بورسلين عتيقة توضع على موائد مصفرة بعض الشيء، وإلى جوارها أدوات المائدة المعدنية موضوعة في اتجاه انطلاق القطار، بينما يندأخ فضاء الشرق خارج القطار خلف النوافذ المغطاة بستائر صوفية مكفكفة، وتحت السماء التي لا تفتأ تزداد ارتفاعا.

اشترينا على عَجَل دجاجتين مشويتين من آخر الرصيف ثم ركبنا القطار، ولست أدري كيف أصف دواوين القطار، فقد كانت ضيقة بشكل فظيع، لا يمكن لفردين أن يقفا فيها معا، ففرد واحد يكفي ليملاً الحيز بينها، أما الممر ذو الأرضية المقوسة فلا يسمح كذلك إلا بمكان يقف فيه راكب واحد.

أغلق باب الديوان من الداخل، حيث كان من الممكن النظر عبر النافذة المزلّقة بأبخرة ودهون تراكمت لسنوات، ومن الممكن أيضا مشاهدة مزيد من البشر وهم يصعدون إلى

القطار، بعضهم يدس نقودا في يد مفتش التذاكر، والبعض الآخر يكابد في صعود عتبات القطار الثلاث حاملا حقائب قماشية وأجهزة تلفاز، كان المساء منيرا كليل برلين، ولم يكن لنزول المطر أمارات تلوح في الأفق.

فجأة تحرك القطار دون سابق إنذار وكأنه استجاب فوراً لنزوة عابرة، طرَحنا إلى الوراء، وسقطت سلسلة تأمين باب الديوان، طرَق أحدهم الباب ودفع إلينا سيدة في الستينيات من العمر وراءها أربع حقائب، بنظرة تلقائية داخل الديوان اتضح أنه ديوان بثلاثة أسِرَّة، وعلى حين غرة انطلق القطار عبر تخوم برلين موليا شطر المشرق.

الختم الثاني

قطار إكسبريس برلين-كييف، ليل الاثنين

جلست السيدة "فالينتيننا" وهي تلهث تحت وطأة سني عمرها، وما

لبثت إلا قليلا حتى بدأت في العويل وهي تقول يجب على المرء أن يتحمل الكثير، فالحياة كلها تعب، قبل عدة أسابيع حجزت في مكتب السفريات السرير السفلي داخل الديوان المجاور، رقم ٨، إلا أن عائلة ألمانية-أوكرانية من زوجين شابين وطفلة عمرها خمس سنوات تذرعت بضرورة نوم الطفلة في السرير السفلي وإطعامها من لبن أمها، ولم يكتفوا بالتزلف إليها مرة واثنان وثلاثة وهي في الممر، بل أوصدوا في وجهها الباب بوقاحة.

كانت حقائب السيدة "فالينتيننا" عبارة عن حقيبتَي سفر، وجهازي فيديو ليس لهما ملامح اشترتهما مستعملين من ميدان "ألكساندربلاتس" Alexanderplatz، غطت السيدة

فالينتينيا وحقائبها السرير السفلي، وأخذت تتنشق وتضحك في تشفي، وما من نهاية لما تفعل.

كان لمفتش التذاكر النحيف الذي يسمي نفسه "كاتسيمير" شارب رفيع أسود، بدا عليه الارتياح بعدما حُلت أولى المشكلات الكبرى في ليلته الليلية، فأحضر لنفسه زجاجة فاترة من بيرة الـ"سلافوتيش" Slavutyich. عاد الهدوء ثانية إلى الديوان، وسرعان ما كفت السيدة فالينتينيا عن البكاء، ثم أزالته عن منضدة التشطيف إعلانات شبه جنسية ملصقة بمعرفة السكك الحديدية الأوكرانية تُروِّج لأجهزة هواتف نقالة، ووضعت السيدة العجوز مكانها منشور سلوكيات مسيحي!

على الفور قدمنا لها السرير السفلي المريح، وفي مقابل ذلك علمتُنا كيف تُفرش الأسرة، كان أحد أكياسها البلاستيكية الموضوعة عند رأس السرير ممتلئاً عن آخره بخيار ونقانق حريفة من محل "ليدل" Lidl وخبز أسمر من الدقيق المخلوط، أخرجت هذه السلع من الكيس وصنعت لنا شطيرة بالخيار بطريقة تتسم باهتمام وتفاني الأمهات الأوكرانيات، كانت رائحة الدجاجتين المشويتين اللتين اشتريناها على رصيف المحطة قبل ركوبنا نفاذة جداً، فقد كانت العبوة المصنوعة من رقائق الألومنيوم تتأرجح منذ فترة وهي معلقة على مشبك فوق الممر بجوار الديوان رقم ٨، هناك أخذت أوراق الدجاج تبرد ببطء.

الختم الثالث

الحدود البولندية،

فجر الاثنين

نزل معنا من القطار شابان قدما نفسيهما باسمي "مايك" و"ريكو"، نزلا ليستغلا الوقفة القصيرة في التقاط بعض الصور لجرار القطار، فمايك وريكو مولعان بالقطارات القديمة، وهما سائقا قطارات حديثا السن من "درسدن" Dresden و"ليبيزج" Leipzig، متخصصان في البحث عن جرارات القطار النادرة الموجودة في شرق أوروبا، وبجانب هوايتهما الرئيسية تزوج كل منهما أوكرائية من مدينة "ادنيروبيتروفسك" Dnepropetrowsk، تسافران معهما في رحلتنا هذه لزيارة الجدات مستغلين العطلات السنوية منخفضة الأسعار في "دونتسبكن الشرقية" östliche Donetzbecken، وسرعان ما اتضح أثناء الحديث معهما أنهم هم الذين طردوا السيدة فالينتينيا من الديوان بحججهم الواهية، كان حديث الشابين يتمحور كليا حول أوكرانيا وأسعارها المنخفضة جدا، على الرصيف المقابل كان هناك قطار معاكس ينتظر، وقد برز من إحدى نوافذه بعض الشبان البولنديين كان من الواضح أنهم مخمورون، أخذوا يصيحون بأعلى أصواتهم، في هذه اللحظة أخرج موظفو الحدود البولندية راكبتين من القطار معهما أمتعة كثيرة، إحداها سيدة ممثلة سوداء الشعر والأخرى ابنتها الصغيرة القاصر المتبرجة تبرجا فجا، خضعت المرأتان لتفتيش روتيني جرى في منتصف رصيف المحطة، عندما أنزلوهما أخذ الشاب الغوغائيون يصيحون ويلقون بعلب البيرة في كل اتجاه، فُحصت حقائب الراكبتين وأخرج منها مراوح تدفئة كبيرة، كانت جديدة تماما ولها أطر مذهبة، كما أخرجت طرود مختلفة يصعب التعرف على محتواها.

دوت صافرة تحذير بانطلاق القطار فأسرع مفتش التذاكر "كاتسيمير" عائدا إليه، كان المشهد الأخير الذي رأيناه ونحن ننطلق هو مشهد السيدة التي أنزلت من القطار وهي تُشِيح بزراعتها في قوة ورجال الشرطة يدفعونها داخل مصعد زجاجي تتبعها ابنتها المتبرجة الباكية، في هذا الوقت ونحن على الحدود البولندية لم يكن من الواضح بعد لماذا يُمنع نقل مراوح التدفئة من دولة إلى أخرى داخل الاتحاد الأوروبي.

لم يتضح مغزى مصادرة مراوح التدفئة إلا بعدما خلدنا للنوم ودخلنا في نفق مظلم مصحوب بأحلام ثقيلة على النفس تُحَلِّق فوق شخير السيدة فالينتينيا، في هذا الوضع فقط تسللت معاني المصادرة إلى وعينا نحن الإثنين أثناء النوم، فرأينا كابوسا في أعماقه مروحة تدفئة بدأت تسخن ببطء وبالتدريج، حتى أصبحت أسلاكها حمراء من فرط السخونة، وبدلا من أن تمنح المرء دفئا ممتعا ووقاية من البرد، أخذت تزداد احمرارا، ثم تحولت إلى اللون البرتقالي، ثم إلى الأبيض الملتهب، وبدأت للنائمين نذير شؤم تحول إلى مارد استيقظ للتو من سباته، ثم إلى وحش "كُروُنوس" هائج محموم يأكل أطفاله الصغار ويقضي عليهم.

استيقظنا من النوم بعدما تخطينا الحدود الأوكرانية أثناء الليل بمسافة طويلة، كانت ساعة الظهيرة قد مرت منذ فترة، مصحوبة بنفس التكرار الرتيب لعبارة " Ick heff keen "ich muss noch wiit·tiit" تلك التعويذة المنطلقة من عجلات قطار السكة الحديد الأوكرانية، بدا أن جوعا شديدا أخذ ينشب مخالفه في بطوننا، فمنذ أن غادرنا برلين قبل ٢٤ ساعة ونحن لم نَطْعَم شيئا سوى شطيرة شرائح الخيار التي صنعتها لنا السيدة فالينتينيا.

خرجتُ إلى الممر بالقرب من الديوان رقم ٨، كان الكيس مازال معلقاً هناك على الخطاف، ألقيت بداخله نظرة فانبعثت من الدجاجة المشوية المخزنة رائحة عفنة، في النهاية قررنا أن نأكل، ولم يكن هناك شيء في العالم بهذا المذاق الشهوي وبهذه الدسامة، ومع ذلك وفي نفسه الوقت كان ثمة شعور شديد بالاشمئزاز، أصابتنا الدجاجة المشوية بعدوى الرائحة العفنة وهي تسري في أبداننا وسرعان ما بدأت مفاعلاتنا في الاشتعال بطريقة غير مرئية، فيروسية، ميكروسكوبية، لا بل نووية.

الختم الرابع

لوبيبار، فندق بريميوم بالاس، كيف

الثلاثاء، بعد منتصف الليل بمدة

على كل الحوائط المكسوة بألواح خشبية بنية وصفراء ذهبية توجد شاشات كبيرة يُعرض عليها البرنامج الفاشي الرتيب "تلفزيون الموضة" Fashion-TV، تظهر عليها أجساد مُكتسبة سُمره لعارضات يبدو للناظر أنهم قد قفزوا جميعاً من النسخة الشاطئية لمجلة "سبورتس إلوستريند" Sports Illustrand، يتبخترن على كعوب عالية وينفذن من الحوائط إلى أعين رجال الأعمال الملتحين الذين يشربون البيرة والويسكي، ومنها إلى أمخاخهم مباشرة، إلى عوالم أفكارهم المصورة، إلى أرض الأمنيات حيث تخرج العارضات من الرؤوس مرة أخرى إلى مقدمة خشبية استعراض وهن يحركن فتحات ملابسهن ويهززن أكتافهن الباردة في إغراء، لا يخرجن من أعين رجال الأعمال ليختفين خلف الشاشات، بل ليهبطن مباشرة فوق أسرة فندق "بريميوم بالاس" الباهظة والمكسوة بريش النعام حيث ينام

هؤلاء الرجال الملتحين، هناك يقدمن أجسادهن النحيفة العارية.

التقاة واحدة في أرجاء القاعة المكسوة بسجاد الصوف تكشف حقيقة المستقبل القريب لهؤلاء الرجال الملتحين في ليانتهم هذه: نساء قد بالغن في زينتهن يرتدين فساتين جلدية بيضاء ويحملن حقائب يد صغيرة ماركة "لويز فويتون" Louis-Vuitton، يدخن سجاير لها مباسم ذهبية وينظرن نحو الرجال نظرات محفزة مرحة، يرتدي أحد الرجال قميصا فضفاضا أسود اللون به خطوط طولية رفيعة، يهمس بغضب في هاتفه النقال المشع باللون الأحمر، وقبل أن يخفض ذراعه ينزلق الهاتف من يده على مسند الكرسي الفوتي الذي يجلس عليه ليسقط بعدها على الأرض، ثم يمتقع وجه الرجل وهو يحملق تجاه زميله فاغرا فمه تارة ومغلقه أخرى، لم يأكل من طبق الـ"روست بيف" الخاص به إلا نصفه، يفتح زميله عينيه عن آخرهما ويُشِيع برأسه ناحية الستائر المسدلة على النافذة المطلة على الشارع، ثم ينهض متجها إلى دورة المياه واضعا يده على فمه، ووسط سكرة الليل في صحن البار يستبين خيال جسم يمرق مخترقا الضوء الأبيض المصفر المنبعث من نافذة دورة المياه.

الختم الخامس – البوق

تشيرنوبل، صباح الثلاثاء

حافلة "فولكس فاجن" ناصعة البياض تسير بسرعة ثابتة مقدارها ١٣٠ كم/ الساعة، تصبح الأرض أكثر خلاء كلما اتجهنا شمالا، يختفي الإوز على يمين الطريق ويساره، وتخلو المنطقة من البشر فجأة، نمر ببعض الحواجز

العسكرية، ثم مرة أخرى بالطبيعة الخضراء الزاهية التي يتقاطع الطريق خلالها مع طريق آخر رمادي اللون في المنطقة المنكوبة.

من يدخل إلى تشيرنوبل فقد دخل الكتاب المقدس، الشعلة المعدنية الرمزية التي يُحْيِيها زوار مدينة العمال أمام البوابة هي بمثابة ذيل الكوكب المذكور في رؤيا يوحنا اللاهوتي أنه سقط من السماء، وقع الحادث كما ينبغي أن تقع الحوادث في عصر الحداثة، وقع كتجربة فاشلة للحادث الحقيقي، أراد الإنسان أن يعرف ما الذي سيحدث إذا تعطلت أنظمة التبريد الأساسية، ونسي قبل تجربته أن يفعل نظام الإنقاذ الذي كان يجري اختباره، كانت الدلائل الأولية تقود إلى أكبر الحوادث المفترضة، إلى كارثة، إلى "هرمجدون".

تحت أعين المراقبين اليقظة فشل النظام الذي طوروه بأيديهم لأنه وصل إلى درجة سخونة مفرطة لم يُحَسَب حسابها وكان من المفترض أن يتم تجنبها، فأطلقت نيران الجحيم كميات هائلة من النشاط الإشعاعي حملته رياح شهر إبريل الشديدة في ثلاثة اتجاهات مختلفة، أولاً ناحية الغرب من أوكرانيا، ثم في اتجاه الشمال الشرقي حتى روسيا البيضاء ومنها إلى روسيا، ولم تتجه جنوباً حيث تقع العاصمة كييف، كانت سحب الموت غير المرئية تهب خَفِيَةً، لأنه لم يكن أحد يعرف ما الذي حدث، تطلب الأمر بناء غطاء فولاذي، بمثابة تابوت حول المفاعل رقم (٤)، ويمكن اليوم رؤية نموذج مصغر لهذا المفاعل في مكتب العرض الموجود بجانب المفاعل الحقيقي مباشرة، يزحف بين أطلاله المتفحمة نماذج مصغرة لعمال إنقاذ من البلاستيك جمدهم الصدمة.

ليس تشرنوبل مجرد حدث مفزع فريد من نوعه، بل هو مهمة لا نهاية لها تنتظر كل أجيال المستقبل حتى بعد نهاية ما يسمي نصف العمر الذري، لأن النشاط الإشعاعي لم يزل، بل هو كبركان كامن أو مسخ غافٍ محاط بسد منيع بناه البشر وقاموا على رعايته، المفاعل رقم (٤) هو الحيوان النائم في قصيدة "و. ب. بيتس" W. B. Yeats، وهو أرض الصحراء عند "إليوت" Eliot، وهو بالطبع الحوت الأبيض نفسه في قصة "موبي ديك" Moby Dick للكاتب "ميلفيل" Melville، هو ما لا يمكن وصفه.

حوالي سنة ١٧٨٠ وبناء على توجيهات الـ "هيرج" Herrg أسس الحاخام "مناخوم ناخوم" Manachum Nachum وابنه الحاخام "موردخاي ناخوم" Mordechai Nachum - وهما من مدينة تشرنوبل - طائفة "أورثوذكسية الخاسديم" Orttodoxie der Chassidim، أتباع هذه الطائفة هم تلاميذ الحاخام الصوفي الكبير "يسرائيل بال" Yisrael Baal، الآن وبعد مئات السنين، وبعد محو آثارها وشواهداها أولا من قبل السوفيت، ثم من قبل الفاشيين الألمان الذين احتلوا أوكرانيا، وأخيرا من قبل السوفيت مرة أخرى، يأتي من إسرائيل حجاج يزورون المدينة المشعة، ويضيئون شموعا في حجرات خشبية صغيرة بجوار معبد هذه الطائفة، ويؤدون صلاتهم المقدسة.

بعد مرور أقل من عشرين عاما أصبح التابوت المشع الذي يبعد بضع مئات من المترات في حالة تآكل تستدعي بالضرورة بناء تابوت فوق التابوت، وقد وضعت آلة بناء التابوت في وضع التشغيل ومحركاتها تعمل في سباق مع الزمن لمقاومة الإشعاع، لمقاومة هذه الروح العجوز الشريرة

المنبعثة من اللاشيء، روح يُعتقد دائما أنها قابضة في هذا الغلاف القريب، وأنها لن تعود صبية مرة أخرى أبدا، بل ستظل تكبر وتكبر، هذه المرأة الشمطاء ستبقى فقط في بحر الذكرى من لحظة بدء القصة وحتى أبد الأبدين.

تمتم كهل ذو لحية واقف أمام كنيسة "سانكت-إيليا" Sankt Elijah قائلا: "الحكمة لا تطرق بيت السعادة، وإنما هي ضيف دائم في بيت الأحزان!"، كانت الكنيسة حديثة الطلاء، وقد أحاطت نجمة اليهود بصليب النصراري الذي أمامها، كان الكهل من الذين عادوا إلى المكان رغم الإشعاع، جلد وجهه أبيض ناصع البياض، ومقلة عينيه تدور في كل اتجاه، ظل واقفا أمام الباب يتابعنا ببصره طويلا، ثم هز رأسه ونظر ثانية إلى الكنيسة.

معظم المنازل مفتحة الأبواب، الدمى متربة ملقاة على أسرة الأطفال، ورق الحوائط ذي الألوان الشاحبة التفت أطرافه ونفرت عن الجدران ذات النتوءات، كان كل شيء يبدو وكأن الكارثة لم تكن حريقا يبعث الموت البطيء ويطلق حرارة يزداد سعيها بمرور الوقت، وإنما كانت انفجارا رهيبا نزلت موجاته النواذ وخلعت الأسقف، وجعلت الحجرات التي طُرح في أرجائها الناس قفارا خاويات.

كما أن تمدد النشاط الإشعاعي لم يكن يخضع لأي منطق يمكن تصوره: تارة يرتفع في الجو ارتفاعا هائلا في منطقة أحراش نبتت أعلى روضة أطفال، وهو ما يثبتته عداد جايجر الروسي رمادي اللون، وتارة أخرى يضعف دفعة واحدة في منطقة غير متوقعة، كمساحة من القطران على الطريق.

إن الطبيعة لم تسترجع حقوقها فقط وتحول المدينة النموذجية إلى حديقة موتي خضراء آخذة في الاتساع بها

عجلة دوارة كبيرة ومبني فخم لعمدتها، إنها أيضا لم تعد تنمو كالمعتاد، قريبا جدا من الغابة الحمراء تقف شجرة تين فروعها تحمل أشواكا منحنية وأطول من المعدلات الطبيعية بصورة لا تقاوم الجاذبية الأرضية فقط بل تفتقر أيضا إلى نظام حفظ التوازن، تلك جميعا زيادات استنساخية تكشف اللثام عن الداء الموجود في الطبيعة.

الطعام في الكانتين جاهز منذ مدة، كل الدهون التي استخدمت لإعداد الطعام ترسبت بالفعل، وقد اشتد العطش ساعة القيلولة، لَفَّتْ النادلة المتزرة بإزار أبيض سلطة الفاصوليا والجزر والكرنب في ورق الألومنيوم الذي يبقى الطعام طازجا، ثم صبت في الأكواب نبيذ فراولة ساخنا لونه وردي شاحب، كان وجبة الـ "بورشتش" تترجرج في طبق الحساء تحت مربى ثخينة من القشدة الحامضة، فُدِّمَ لنا مع القهوة حلوى مشبك باللوز والسكر كتحلية.

بعد تكتكة ووميض أضواء لمبة خضراء - ضوءها كالضوء السفلي في عربات الـ "جوكارت" التي تظهر في الأسواق السنوية - مثبتة في مُعدَّات من الصلب يجب أن يدخل فيها كل زائر قبل الأكل مثبتا يده جانبا على لوح من الصلب، وكأنه ينبغي احتضان الحادث بكل برودته المعدنية احتضانا رقيقا.

بعد مدة، وفي مساء مدينة "كييف"، وجدنا المطعم الذي قصدناه مغلقا ومزودا بـ"نفثالين"، كان هذا المطعم هو مطعم الفنانين الذي ليس له اسم، وإنما يُعرف بتمثال صديء لِقِطَّة، وهو موجود في البيت الذي ولد فيه "ميخائيل بولجاكوف" Michail Bulgakow، بعدها لفظتنا كيف تجاه الجنوب.

الختم السادس مناورة هبوط بطائرة "إيروسفيت"، أوديسا عصر الأربعاء

أخ! أوديسا O-D-E-S-S-A! هي كلمة عندما نُطقت مرة - ومثلها في ذلك كل مدن منطقة البحر الأسود بما فيها "سواستوبول" Sowastopol و"يالتا" Jalta - انطلقت ونحن نحلّق أشواق غامضة عبر سنوات: أشواق ليس فقط لرؤية شمس العصاري السافرة من مسافة ٣٠ ألف قدم وهي تلقي ظلّالا على الضباب الساكن هناك بالأسفل، بل أيضا أشواق ليكون المرء نفسه هناك، في مملكة إبداعات "ماياكوفسكيس" Majakowskis، و"أيزنشتاين" Eisenstein، والمطربة "الكساندرا" Alexandra، وقصيدة شبه جزيرة "كريم" Krim-Idylle، للشاعر "تشيشوفا" Tschechowa.

تَكَشَّفَتْ حقيقة الزيارة العملية لأوديسا التي تشبه بستان كرز - والذي حُوِّظ عليه طويلا كأنه صندوق يوتوبيائي مطعم بخشب البندق - عند مناورة الهبوط فوق علب السكنى البربرية الموجودة خارج المدينة والمبنية من ألواح سابقة التجهيز، وكأن هذا البستان يشبه ثمرة مخيبة لآمال صاحبها الذي اشترها بأموال كثيرة وبعدها أزال عنها قشرتها وجدها عطنة.

كانت حافلة المطار بلونيهما الأصفر والأزرق الفاتح الذين أكلتهما عوامل التعرية عبارة عن عربة ترام استبعدت من الخدمة يسحبها جرار ثقيل ماركة "كاماك" KAMAC، هنا، على بعد كيلومترات قليلة من الحدود الرومانية للاتحاد الأوروبي، وصلت أرواحنا ثانية إلى تلك السوداوية العميقة

المشبعة بالحنين التي يحسها المرء في بلاد الشرق؛ الطائرة الحديدية شبه المعطوبة لم تعد تستطيع أن تصل إلى المكان المحدد لها بقوتها الذاتية، بل تَطَلَّب الأمر أن تُسْحَب، مجرد حديد صدئ وبلاستيك أصفر مائل للسمر، شيء يتغذى على التقاء سوء الصنعة التركية مع الحرمان الستاليني.

عن النهود: الصفاء الطاهر الذي يتميز به لبن الأم يكمن في تركيبته العظيمة، فكل ما تتناوله الأم من مواد غذائية يتم ترشيحه وتكثيفه ويُعطى للطفل من خلال النهدين، والرضيع يحدد موقفه من الأشياء عن طريق تأثير شخص آخر هو الأم، فالطفل لا يعرف شيئاً غير ذلك، ولا يعرف قوتا دنيوبيا آخر، وهو حتى الشهر الخامس يتخذ لنفسه هذا الغذاء القلبي الذي يؤخذ بالامتصاص، والنهدان لا يكذبان أبداً، بل يستمران فقط في إعطاء ما هو موجود بالفعل في جسد الأم، شكل النهدين الواقى نصف الكروي والذي يلتقطه الطفل الصغير وكأنه تعويذة سحرية تمثل له وعدا بغذائه اليومي، أو لنقل غذاء المن¹ الخاص به، هذا الشكل أصبح له مكانة محورية في فن المعمار الأوكراني.

في أوديسا يمكن ملاحظة النهود في أشكالها العامة منتشرة في كل مكان، تهتز بقوة، تتهدد، تتأرجح. عن طريق حضورها الطاغي في الصورة العامة لشوارع مدينة أوديسا صار من الواضح لماذا كان من الضروري بناء نصف كرة حول المفاعل، إذ تعتبر بمثابة درع فوق الدرع الأول، أي التابوت الذي بُني أولاً من الخرسانة وألواح الفولاذ، ذلك الغطاء الواقى الذي يحيط بالمفاعل رقم (٤)

¹ تشبيهاً بطعام المن الذي كان ينزل من السماء على بني إسرائيل كواحدة من معجزات نبي الله موسى عليه السلام كما ورد في القرآن الكريم (سورة البقرة، ٥٧). (المترجم)

والذي أقامه عمال بناء تحملوا المخاطر طواعية وبنوه بعد الكارثة مباشرة، ويبدو الآن في حالة تآكل بعد حوالي عشرين عاما مضت على ذلك اليوم القاتل من شهر إبريل، أما الدرع الجديد فيجعل من الواضح أن المغزى القاسي في حادث المفاعل يكمن في المهمة الأبدية التي أوكلها هذا الحادث للبشرية ألا وهي الحيلولة دون تولد حادث آخر من نفايات الحادث الأول: نَهْدُ ذَرِّيِّ هائل الحجم لم يعد في العالم كله مشد صدري يمكن أن يحفظه ويصونه!

الختم السابع

أوليزا ديريباسوفسكايا، أوديسا

مساء الخميس

يرتدي الرجال الأوكرانيون قمصانا بلا ياقات، لونها لحمي، ويفضلون إدخالها في سراويلهم، كي تستر أثنائهم الواضحة في سن الشباب من ناحية، ومن ناحية أخرى ليسمحوا لهواتفهم النقالة المثبتة بالأحزمة أن تتجول معهم، ويلبس هؤلاء الرجال أحذية مدببة جدا بشكل غريب، تتميز بمقاسات ضخمة، عند السير تقفز أطراف هذه الأحذية المدببة إلى الأمام وإلى أعلى كما تفعل أحذية المغفلين، ويذكرنا كل حذاء ينتعله الرجال الأوكرانيون بالحركات العفوية للعصابات المكسيكية، لكنه يعيد الذاكرة أيضا إلى زمن ما قبل ١٩٨٩، عندما كانت أحذية رعاة البقر طويلة الرقبة موضة محببة في الغرب، إلا أنه لم يكن يوجد خلف "الستار الحديدي"^١ في ذلك الوقت هذا النوع من الأحذية، ولا

^١ الستار الحديدي مصطلح في ظهر مرحلة ما بعد الحرب العالمي الثانيه بعدما وقعت نصف اوروبا في قبضة السوفييت بعد دحر المانيا النازيه، وهو كناية عن التوجيه الاعلامي والكتب الفكري الذي مارسه الاتحاد السوفيتي و النظم التي خلقها فيما كان يعرف بدول الكتله الشرقيه. (المترجم)

حركة الـ "فك-أوف" Fuck off المصاحبة له، والآن وعند عبورهم السريع لهذا السور يُعَوِّض الناس أنفسهم بكل ما اعتقدوا أنهم فقدوه، إشباع نفسي يمثل تقارب رمزي مع الموضوعات الغربية التي نمت وانتشرت وألقت بظلالها الممتدة على كل شيء في الفترة السابقة.

ولكي نُحدِّث تمشياً مع ثقافة الرجال الأوكرانيين دخلنا محلاً للأحذية في صيف مدينة أوديسا، كانت أسعاره مخفضة بنسبة ٢٠%، بالخارج في شارع "ديريباسوفسكايا" كانت الشمس ساطعة، وبالداخل جربنا العديد من الأحذية ماركة "فلاديس" Vladis، والمدهش أننا لم نجد حذاء واحداً له مقدمة دائرية، حتى الصنادل مدبية جداً بصورة مبالغ فيها، في النهاية وقع الاختيار على حذاء موديل "فاليدس-إليجانت" Vladis-Elegant لونه بلون البشرة السمراء، وثمانه ١٢٠ هريفنيا^١، وبخصم ٢٠% أصبح ثمنه ٩٨

هريفنيا، ما يعادل ١٤ يورو تقريباً، وفي الحال لبس الحذاء. عندما غادرنا المحل كانت أبصار المارة تنم عن احترام شديد، وهم الذين كانوا من قبل يصرفون أبصارهم عن استدارات أحذيتنا ماركة "كلاركس ديزرت" Clarks Desert بشيء من الشفقة؛ يتنحى أصحاب المحال التجارية عن الطريق بشيء من التكلف، وتثبت حقائب اليد الجلدية الصغيرة المحمولة حول معصم اليد، ونقول تثبت بدلاً من أن نقول: تُمسك بشيء من الخوف. أما شباب الـ "إيمينم" المتجهمين شبه المقنعين فكانوا يظهرون الاحترام لمشيتنا في شارع "ديريباسوفسكايا" بينما ينتقلون فجأة إلى الجانب

^١ عملة أوكرانيا. (المترجم)

الآخر من الطريق، ومن قبلهم كان المشردون الصاخبون يهدعون تماما ويختبئون وراء لافتات الشوارع.

كانت أوديسا - والكلام هنا في عجالة - مناورة تحويل مسار من الاشتراكية إلى الرأسمالية، لكنها مناورة موسومة بالعجز، جنون سيارات الليموزين الطويلة Strechlimousinen، "أوتوبيير" Autobieper، مذهب التوفيقية الفارغة. أوديسا كانت، مثلما كانت أمريكا قبل ٢٠٠ عام، حيث يوجد طريق الأحلام الضائعة الـ"بوليفارد" Boulevard، وأقداح البيرة في الأيدي، وحيث البحارة، والسفينة الحربية "بوتيومكين" Potjomkin، وفيها أيضا التجول بالسيارات بأسلوب الـ"كرويزن" Cruisen، والانطلاقات الخاطفة بالسيارات والمصحوبة بصرير العجلات، وسلالم "أيزنشتاين" Eisenstein الشهيرة، وركوب أحصنة الـ"بوني" Pony، وتماسيح الـ"أليجاتور" Alligator، وحقائب اليد الصغيرة المزودة التي يحملها الرجال، والقمصان غير المهندمة، والـ"هوتيبكس" Hotipycs، ومكاتب الزواج، والعري المطلق، والعلم القومي الموجود في كل مكان (حتى على شيش نوافذ مكاتب السفر)، والسائق "ليونيد"، وفخامة سيارة الـ" فولكس فاجن-باسات " VW-Passat، وسيارات الـ"البورشه-كايين " Porsche Cayenne التي يكثر عددها عما هو موجود في وسط مدينة شتوتجارت نفسها.

حتى نحن أنفسنا قد علقنا بأوكرانيا: فعن طريق النعال اللدنة الرقيقة جدا حصلت أصابع أقدامنا المحشورة في مقدمة

^١ الـ"كرويزن" يعبر عن سلوك انتشر في الخمسينيات من القرن الماضي بين المراهقين الأمريكيين الذين كانوا يخرجون بسياراتهم ويقودونها بجانب المارة في الشوارع من أجل إبراز المستوى الاجتماعي، أو من أجل تصيد فتيات لممارسة الجنس. (المترجم)

الحذاء على وسيلة ذلك لا يمكن الحصول على مثلها إلا في أقرب مطعم محلي حيث تسحج ثمرة الكمأة سحجا خفيفا، حتى عند المشي - كما لوحظ - كان من الضروري ممارسة مساج لحظي صحي لأصابع القدم بحيث تُرفع مفاصل الأصابع مع الأصابع نفسها إلى أعلى لحظة تبديل القدمين أثناء المشي وكأنها أقدام عروسة ماريوننت، كل هذا لنحاكي مشية الرجال الأوكرانيين، وتبقى كلمة عن كعب ذاك الحذاء الأوكراني: فهو عال بحيث أن المقدمة المبطننة لا تسمح للكعب الخفي المرتفع إلا بقليل من الاتكاء مما يجعل القدم كله يتحرك في الهواء في مسار بيضاوي يشبه ما وصل إليه لاعب القفز على الجليد "بينس فايسفلوج" Jens Weißflog بعد جولة الانزلاق الرباعي قبل نهائي الـ"سبورت-شوداون" Sport-Showdown في "جارميش-بارتنكيرشن" Garmisch-Partenkirchen: كان السقوط الإكروسى¹ الناشئ من ذلك الارتفاع في الهواء متحققا بصورة مجازية.

هذا السقوط المعروف للملاك، ومعه التآلق أثناء السقوط الحر كعود ثقاب قذف عاليا في الهواء، ووقوع الكوكب من السماء، كل هذا يبدو محفوظا في كنف مدينة أوديسا مصحوبا بعبارة من تعاليم الـ"خاسيديم"، بكلمات من المعلم العظيم الحاخام "مناخوم ناخوم" التشرنوبلي²: Refuat hanefesch u're-fuat haguf.

¹ نسبة إلى "إيكاروس" Icarus بطل الأسطورة اليونانية الذي صنع لنفسه أجنحة لصقها بالشمع وطار بها حتى اقترب من السماء فانصهر شمع الأجنحة وسقط إيكاروس في البحر. (المترجم)
² نسبة إلى مدينة تشرنوبل التي ولد وعاش بها هذا الحاخام. (المترجم)

أرض الأباء

فيلم خيال علمي/معالجة سينمائية/٢٠٠٤

خلفية الشاشة سوداء. صوت أغنية Damaged Goods لفريق Gang of four، تظهر على الشاشة العبارة التالية: "في الأول من أغسطس من العام الماضي وقع حادث خطير في مفاعل محطة "راينزبيرج" Rheinsberg لتوليد الطاقة النووية بالقرب من برلين. أصبحت منطقة جمهورية ألمانيا الشرقية السابقة كلها تقريبا منطقة محظورة مصابة بنشاط إشعاعي سيستمر قرابة ٤٠ ألف سنة."

تابع التتر: الكاميرا مثبتة في طائرة هليكوبتر تطير بسرعة عالية على امتداد شاطئ طويل بارتفاع منخفض فوق سطح البحر. إنها جزيرة "زيلت" Sylt.
العنوان: أرض الأباء.

سماء صيف شديدة الزرقة، في الأفق سحب لطقس جميل. طريق خال بين "كامبن" Kampen و"ليست" List، قنطرة الظهيرة، كثنان رملي ملتعبة. يخفت صوت أغنية "Damaged Goods" جدا.

لقطة قريبة جدا: عنق تلسعه بعوضة، يد تحك بانزعاج موضع اللسعة محدثة فيه خدشا صليبيا صغيرا بالأظافر، شاب حسن المظهر شعره أشقر مفروق على الجانبين، يلبس أوفرول بحمالات لونه أزرق قاتم، وتي شيرت أبيض، يقف على جانب الطريق حافي القدمين، في يده كيس من البلاستيك وعلى رأسه سماعات مسجل صغير، يتلفت حول نفسه ببطء يمينا ويسارا. ليس هناك سيارات على الطريق الملتهب، ثمة شيء ما على الأرض أمام الشاب مباشرة يلمع في ضوء الشمس، يعن نظره طويلا، يرفع يده في مواجهة الشمس ويفرج بين أصابعه فتخللها أشعة الشمس، يحك رقبتة، ينظر مرة أخرى إلى الشيء اللامع، يخطو إلى عرض الطريق بفضول.

من ناحية "كامين" تقترب حافلة مواصلات عامة تابعة لشركة "روي پرال" Ruy Prahل، يحاول سائق الحافلة أن يضرب بيده تجاه حشرة خنفساء كانت تزحف على زجاج الحافلة من الداخل، في الوقت نفسه يرتفع صوت أحد الركاب طالبا فاتورة، أحد الأطفال يثبت عينيه على السائق من الخلف وهو يضحك، تجنح الحافلة وتندفع باتجاه المحطة، ينحني الشاب مستغرقا في النظر ليرفع الشيء اللامع.

تمر الحافلة ملامسة الشاب الذي يبدو في تلك اللحظة مصدوما، يُسحج وجهه على امتداد السطح الجانبي للحافلة التي تنحرف عن الطريق وتقلب مرة واحدة لترقد على جانبها في أحد القنوات، وعجلاتها تدور حتى تتوقف. صوت انفجار مكتوم، السنة لهب تتصاعد من حيز العجلات، صوت أهات منخفضة تتبعث من داخل الحافلة، الشاب مطروح على الأرض بلا حراك ووجهه إلى أسفل على أرض الشارع،

بجانب رأسه بركة صغيرة من الدماء يلمع فيها شيء ما، تقترب منه الكاميرا فيظهر أنه علبة صغيرة من الصلب محفور عليها كلمة "دونيتس" Dönitz.

يستيقظ البطل الذي يلعب دوره ممثل آخر في حجرة بمستشفى "نوردزي كلينيك" Nordseeklinik، فوق علبة الأدرج يوجد جهاز التسجيل الصغير محطما، يتحسس البطل وجهه، ينهض وينظر في المرآة فيرى فيها فجأة أن ثمة شخصا آخر بالحجرة: فتاة جميلة، هي صديقته "كارين"، تجلس على أحد المقاعد وتدير مفتاح سيارة حول أصبعها محاولة تفريغ عصبيتها.

لا يتعرف البطل عليها ويسألها من تكون؟ هي تعرفه ولكنها تسأله نفس السؤال، وتخبره أنها طالما تساءلت من هو بالضبط؟ وما معنى أن يلقي بنفسه أمام الحافلة؟ وأنه ربما كان عليه أن يسأل نفسه مرة: من يكون؟ وما الذي يريده حقا؟ تخبره بعصبيته أن العلاقة بينهما انتهت، وأنه يستطيع أن يحتفظ بسيارته، ومن الأفضل أن ينساها بسرعة.

تمرر يدها على وجهه لآخر مرة دون أن تلمسه، يهم بإمساك يدها ولكنها تغادر الحجرة قائلة: "كفاني هذا، سأسافر إلى هامبورج، إلى (نيجل)"، يريد أن يتبعها، لكن الأطباء يقفون في وجهه عند الباب ويعيدونه مرة أخرى إلى الحجرة، يقول دكتور "فرانك ريبنماول" كبير الأطباء: "لا، لا يمكنك النهوض بعد، يجب أن تبقى هنا للمتابعة."

في أول الليل وبعد الانتهاء من المتابعة الطبية يتسلل بطلنا إلى خارج الحجرة، يظل كيس البلاستيك على الطقوطة باديا للعين مع أشياء أخرى للبطل، يسير عبر الممرات، يجد مجموعة من الأطباء تقف في أحد الأركان، يلج إلى قطاع

خاص في المستشفى، ثمة لافتة: "المنطقة ب (المناطق الطرفية) خطر إشعاعي خفيف، ١١ دقيقة حد أقصى". ضوء نيون أخضر بارد، آلات تصدر أزيزا، أناس ذوو أجسام صغيرة غضة تملأها وجوه شاحبة أصابتها شيخوخة مبكرة، يتمددون على أسرة مكدسة داخل الغرفة، على الأسرة خرائط محدد عليها باللون البرتقالي المنطقة التي ينحدر منها المريض، كلها مناطق محيطية ببرلين، يسير بطلنا بين الأسرة على غير هدى، يقبض أحد الكهول الشائهيين على ذراعاه، ويشير بأصبعه إلى لسانه الجاف، يبحث البطل عن الماء ويحضر منه كوبا، يشرب الكهل الماء بشراهة، ثم يجذب البطل من ياقة قميصه ليدنيه إلى وجهه ويهمس في أذنه: "تات تُوام أسي. تات تُوام أسي." (جملة سنسكريتية تعني "هو أنت.")

يخرج الكهل من طيات ملابسه صورة تظهر فيها امرأة شابة شعرها أسود مقصوص إلى كتفيها: "زوجتي، أرجوك فلتذهب إلى المنطقة المنكوبة وتخرجها من هناك، عدني بذلك." تسيل من عينه دمعة، ينظر البطل إلى الصورة، يزدرد لعباه، يومئ في صمت ثم يخفيها.

يدخل د. فرانك ريبنماول إلى الحجرة في ملابس عاكسة "ماذا تفعل هنا؟ هذا ممنوع!"، يولي البطل ظهره للكهول ويفر من أمام د. ريبنماول مغادرا الحجرة والمستشفى كله إلى باحة وقوف السيارات حيث تقف سيارته الـ"تريومف كابرئو".

ينطلق البطل بسيارته ويلاحظ فراغ خزان الوقود من البنزين، يقصد محطة البنزين عند بوابة مرور "فاسترلاند" Westerland ويملأ الخزان بالوقود، في كل

مكان خارج المدينة يتجمع منبوزون يتشمّمون شيئاً من أكياس بلاستيكية، عندما يهيم بمغادرة المكان دون أن يسدد ثمن الوقود يطلق عليه صاحب المحطة ضخم الجثة مجموعة من المنبوزين الذين يتقافزون ويلقون بأنفسهم على السيارة ويبعجون غطاءها الأمامي بأحذيتهم طويلة الرقبة، يقفز البطل من السيارة الكابريو ويهرب في اتجاه محطة القطار، تحين منه نظرة إلى الورااء فيظهر الآتي: يحتل المنبوزون سيارته الـ"تريومف كابريو" وهم يصيحون ويلطخون مقاعدها ومقودها بصلصة طماطم يغرفونها من أكياس الشم، يدخل صاحب المحطة إلى كشكه وهو يهز رأسه، يجري البطل عبر منطقة مشاه "فيسترلاند" الموحشة منذ السبعينيات، يمر بالسمن "فيليمينه"، ثم بالكاد يلحق بأخر قطار متجه إلى هامبورج.

يصل قطار "إي تسيه زيوتندورف" IC Sebottendorf المتجه إلى هامبورج في اللحظة التي يغلق فيها الباب، المحصل رجل قذر غزير العرق له شارب كث مبروم الأطراف ويضع قرطا ذهبيا في أذنيه، يعتذر له البطل بأن التذاكر بحوزة والده الذي يركب في الدرجة الأولى، ينفلت من أمام المحصل وينحشر بين عدد من جنود القوات المسلحة الإتحادية الذين يتكدسون في ممرات القطار.

يعبر القطار فوق الجسر المضيء الرابط بين بحر الشمال وبحر البلطيق، أربعة جنود مخمورون تماما يمسون بزميلهم الخامس ويؤرجحونه في الهواء ثم يفتحون باب القطار ويلقون به في مياه القناة أثناء إنطلاق القطار وهم يصيحون صيحات عالية.

يتجه البطل إلى عربة الطعام ويجلس في المقعد الوحيد
الفارغ فيها، يجلس قبالته د. فرانك ريبنماول الذي يشرح له
ما الذي يجلبه على نفسه بدخوله المنطقة.

يصل الاثنان إلى هامبورج.

تتدلى داخل التاكسي إيقونات وتذكارات، سائق التاكسي
مسيحي، يخترق التاكسي مواكب تسد الطريق، ملصقات
ضخمة تنتشر في كل مكان تعلن عن "الطائفة الإنجيلية
الجديدة في هامبورج" وعن المؤتمر الكنسي المتواصل، أمام
الكنائس جنود مسلحون في حلل سوداء مصنوعة من الألياف
القوية ماركة "كيفلار" Kevlar.

في الحي الراقي بمدينة "بوزيلدورف" Pöselndorf،
مجموعة من مسيحي بوزيلدورف مجتمعين في شقة "نيجل"
ذات طابع "أرشيكتورال ديجيست" Architectural-Digest،
شموع، أحاديث عن الأخلاق الجديدة، عن الالتزام، عن
المجتمع المتضامن، تحضير للاحتفال بيوم الكنيسة، شباب
وضئ الوجه جاد الملامح يقدمون شايا ومشروبات.

يسأل البطل: "من منكم هو "نيجل" أيها المسيحيون؟
ينهض نيجل، يحيي صديقه القديم الذي لا يعرفه تحية قلبية:
"أنت تبدو بخير، ماذا تريد أيها الأخ؟ هل تريد السفر إلى
هايدلبرج؟ إذن عليك أن تسافر متى أردت أن تعرف معنى
القرب من الله." يتردد البطل ثم يقول إنه تعرض لحادث في
جزيرة "زيلت" ولم يعد معه نقود، لكنه مبدئيا يريد السفر إلى
المنطقة. يسأل: "لماذا هايدلبرج بالذات؟ هل المنطقة في
هايدلبرج؟ وما من مجيب.

يبدأ الجميع ترانيم مسيحية، ينشدون معا كلمة
"نيكاراون" Neckarauen، يدور نيجل بين الحاضرين

جراب رنان سرعان ما يمتلئ بآلاف اليوروهات، في هذه الأثناء تأتي "كارين" من دورة المياه، تـري البطل فيتجه هو نحوها، فتعود مرة أخرى إلى دورة المياه وتعلق على نفسها: "فلتذهب ولتدعني بسلام! أيها المريض النفسي!"

امرأة شابة بنظارة وشعر قصير تنتحي به جانبا وتدخل معه إلى الشرفة، إنها الجميلة "رولا"، يقف الاثنان معا في الشرفة يتأملان الليل الذي بدأ يرخي سدوله، تدور أغنية "If I didn't care" لفريق "Ink Spots"، تغني رولا المقطع الأول، ويدخل نيغل ويغني الجزء الرجالي من الأغنية. تبتعد الكاميرا عن الشرفة وتحلق نحو الأسفل في جو الحديقة الأمامية التي أمام المنزل، تحلق على مقربة من الزهور متعددة الألوان، ثم تطير عبر الأجمة، ومنها إلى الشارع حيث يسير بعض الأطفال في قطار حاملين الفوانيس، تعود الكاميرا مرة أخرى إلى الشرفة حيث لا تزال رولا ونيغل يغنيان: بينما يتمايل ثلاثهم في حركة موسيقية واحدة، ثم تنتهي الأغنية.

ينتبه البطل فيجد نفسه في الحديقة الأمامية للمنزل وبجواره جراب النقود، يتجه إلى باب المنزل، يرن الجرس، لا أحد يجيب، يظل الباب مغلقا، يدس النقود في جيبه، يخطو عبر العشب ثم يوقف سيارة أجرة، في الطابق العلوي تراقب رولا انطلاقه من خلف النافذة التي تهتز ستارتها إثر غلقها، تشيعه رولا بنظرها وهي تتحدث في الهاتف.

في مطار "فولسبوتل" Fuhlsbüttel التكنوقراطي، وعلى شباك شركة طيران الـ "لوفت هانزه"، يتضح أن الطائرة الأولى متجهة إلى فرانكفورت، والدرجة الوحيدة التي بها

مقاعد شاغرة هي درجة "دارك أميرال كلاس" Dark Admiral Class، يدفع البطل برزمة من المال على الطاولة ويثبت عينه في جهاز الماسح الضوئي الذي يعطي تصميمه إحساسا جماليا خاصا كأنه من عصر الملكة "فكتوريا"، يُسمع صوتُ تكتكة ثم ضوء أخضر، تناوله موظفة الفحص المسنة التذكرة متمنية له رحلة طيبة: "أري أن التصميم القديم أفضل، كان ظريفا بصورة أو بأخرى، نعم، في رعاية الله!"

في ممر الـ "دارك أميرال" المكسو بقطيفة سوداء اللون تحمل اللمسة الفنية لمدرسة "باوهاوس" Bauhaus-Stil يجلس البطل وهو يقبل صفحات وعناوين صحيفة "هامبورجيش كريستليشن تاجه برسّه" Hamburgisch-Christliche Tagepresse، لا يجلس حوله إلا أشخاص طاعنون في السن عليهم آثار الشيخوخة، وبينهم سيدة عجوز قصيرة النظر، شعرها قصير إلى كتفيها، ترتدي طقم "توينست" مكون من بلوفر وجاكت لونها رمادي فاتح، تضع عقدا من اللؤلؤ، وتلبس نظارة إطارها من العاج، تنهض بمشقة من أريكة "ميس فان دير روهه" Mies-van-der-Rohe، تتهادى في اتجاهه ثم تحببه باعتباره حفيدها، يتلقاها متأثرا متألما، ويلعب معها دور الحفيد، يُنادى على رحلة الطيران، يتأبط البطل ذراعها ويتجه الاثنان معا إلى البوابة.

أمام المطار: يصل الحفيد الحقيقي البدين الذي لا يشبه البطل إلا قليلا مسرعا بسيارته الـ "ميتسوبيشي لانسر" التي يوقفها فجأة فتصدر صريرا عاليا، تجلس "رولا" على المقعد المجاور له، وتحته على الإسراع، يهرول الاثنان إلى نافذة

الاستعلامات ويسألان عن الجدة، لكن بعد فوات الأوان، حيث تكون الطائرة قد استوفت عددها، على الفور تشتري رولا تذكرة طيران إلى فرانكفورت.

في الطائرة – حيث تبدو درجة الـ "دارك أدميرال" نسخة من أكشاك برشلونة من تصميم "ميس فان دير روهه"، يعكس سطح الزجاج صوراً ثلاثية الأبعاد – تحكي العجوز للبطل عن الميراث المرتقب، وأنها قلقه بشأن هذا الميراث، وقد خصصت له – أي لحفيدها – شيئاً إضافياً لا ينبغي أن يُذكر في محتويات الوصية: "إنها عائلة ناكرة للجميل بحق"، يمد البطل يده في حقيبتته ويخرج منها الصورة الفوتوغرافية التي أعطاها له الكهل في المستشفى، ويضعها أمام عينيها فيتجمد وجهها ويبدو على ملامحها الذهول، ثم تمد يدها هي الأخرى في حقيبتها وتعطيه عليه معدنية محفور عليها كلمة "دونيتس"، عليه أن يحافظ عليها جيداً. تدفع المضيفة عبر الممر عربة عليها أقذاح شراب، وتوزعها على الركاب العجائز، وعلى العربة شرائح من الخبز الأسود.

فجأة، وبينما يأكل الركاب ويشربون، ينخفض الضغط داخل الطائرة وتسقط أقنعة التنفس من سقفها، ويضع الركاب أيديهم على قلوبهم في حركة جماعية، وبالتزامن تتعثر المضيفات المرتديات أزياءً سوداءً في أرجاء المكان، وتنتاير شرائح الخبز المأكولات في كل اتجاه، وتبدو الطائرة في حالة سقوط حر وهي تنثر وتصدر دخاناً كأنها مقاتلة نفاثة في هجوم بالقنابل.

مونتاج: لقطة مقربة جداً لشعر يهتز حول أذن رجل كهل، يتراقص لهب شمعة في مهب الريح، صوت خشخشة، منظر

للعديد من الشموع، وحاخام يهودي يتلو ترانيم يوم السبت محاطا بدائرة من الأطفال، تنبعت موسيقى أغنية "If I didn't care" بنغمة رنانة هادئة، يجلس البطل على أحد المقاعد وفي يده صورة المرأة الشابة التي في المنطقة المنكوبة، لكنه ينظر إلى الحائط، فيرى مرجا أخضر يعلوه ضباب، خيام لاجئين، رياح تهب فتبعثر القمامة والورق بين الخيام، حواجز، أسلاك شائكة، المكان بكل ما فيه يشبه موقعا للبناء، وضع إغاثي مؤقت، إنها حدود المنطقة المنكوبة، قذيفة ضوئية حمراء تطلق في السماء من مكان ما، ثم تعود لتسقط في الضباب مرسله ضوءا برتقاليا رقيقا.

في غابات المنطقة المنكوبة: يسير البطل في طريق ضيقة بمحاذاة بعض الأشجار التي تطلق فروعها السفلية الجافة تحت قدميه، تسمع من مكان ما ضحكة مجلجلة لطفل صغير، يرتعب البطل، يلتفت، فيجد رجل المستشفى الكهل واقفا خلفه باسطا كفا فيه حبة جوز، تنفجر الحبة.

يفتح البطل عينيه، كل شيء على ما يرام، السيدة العجوز نائمة وقد ارتسمت على شفثيها ابتسامة، لم يتغير هندامها، ولا يزال أمامهما الطعام مغلفا كما قدم لهما، تبدأ الطائرة مناورة الهبوط في مطار فراكفورت، في الالتفافة الأخيرة للطائرة تلمع ناظحات السحاب، يدس البطل علبة "دونيتس" في جيب سترته، تتباطأ عجلات الطائرة على الأرض حتى تقف، ينطلق البطل على قدميه دون أن يتمهل حتى تستيقظ السيدة العجوز، يوشك أن ينبطح على الممر ذي النوءات المطاطية لكنه يتمالك نفسه، يوقع أمامه ضابط شرطة كان قادمًا في الاتجاه المقابل، وفي الحال يطلب منه الضابط إبراز هويته، يدخل يده في جيبه ويخرج جواز السفر ويقدمه

للضابط، **لقطة مقربة**: الجواز صادر باسم "ويليجوت" والصورة فيه لرجل كبير في السن نسبيا له لحية وشعر طويل، يبتسم الضابط ويهز رأسه ويغمز بعينه ثم يعيد الجواز للبطل مرة أخرى ويسمح له بالذهاب.

تمر رولا على الضابط نفسه، تتفكر قليلا ثم ترجع إليه وتسأله من أين تنطلق القطارات المتجهة إلى هامبورج، يشير الضابط إلى أسفل.

في محطة قطار المطار ينطلق القطار السريع "إي تسيه إه وايستور" ICE Weisthor كالسهم، الباب الذي يتوقف البطل أمامه عبارة عن ضلفتين لهما إطار أبيض يفتحان ببطء للأمام ثم للجانب بطريقة هيدروليكية.

تركب رولا القطار من مؤخرته، بينما يركب البطل من المقدمة، يسقط على المقعد منهكا مرهقا، يسند جبهته إلى زجاج النافذة المعتم، يتفحص البقعة الدهنية التي تركها جبينه على الزجاج، ينعكس في البقعة وجه "أودو كير" المشوب بشيء من العبوس، يسأل الأخير بأدب هل المقعد شاغر هنا؟ يشعل "كير" سيجارة ويمتص دخانها بشراهة وينفخه في وجه البطل سائلا إياه: "هل أنت مسيحي؟"، "لا، ولكني يجب أن أذهب إلى المنطقة، أين هي إذن؟"، يرد كير: "فلتأت معي!"، يتجه كير إلى المنطقة التي بين العربات، يتبعه البطل، ويدخلان جميعا إلى دورة مياه المعاقين.

يَكفأ أودو كير غطاء المراحيض، يقف الاثنان أمام المرأة في ضوء شاحب مائل إلى الزرقة، يرسم كير بإبهام وسبابة اليد اليمنى دائرة أمام عينيه عبارة عن صفر مستدير، يقف الاثنان متجاورين في صمت لمدة طويلة إلى أن يبدأ ضوء النيون في الوميض.

على لوحة التحكم المضئنة الموجودة بين عربات القطار يومض ضوء تحذير أحمر لاستدعاء المحصل ويستمر الضوء على الوتيرة نفسها لفترة من الوقت، تمر رولا مسرعة، وتدير مقبض باب دورة مياه المعوقين، فتجده مغلقا من الداخل، ينبعث من داخل دورة المياه خرير ماء المرحاض، فتكمل رولا طريقها.

يتباطأ سير القطار السريع "إي تسيه إه وايستور"، يجلس البطل في مكانه وقد حنى رأسه، خلف النافذة كتابة رزقاء متحركة هي "آلات طباعة هايدلبرج"، في كلمة "آلات طباعة" حروف ناقصة تعطيها معنى آخر¹.

في هايدلبرج في محطة قطار من خمسينيات القرن الماضي يندفع من أحد الأرصفة موكب كبير لزوار مهرجان هانز-جيورج جادمر صاعدين السلم باتجاه المزلقان، يحاول البطل وهو على السلم الكهربائي أن يحشر نفسه ليمر عن يسار الزوار، ثمّة نداء جهوري يحيي الزوار بأربع لغات مختلفة، من بينها اللغة الصينية، ينادى عليهم بقوة طالبا أن يتراصوا في صفوف، في بهو المحطة يختلط بالزوار عدد لا يحصى من الموسيقيين ذوي الشعور المجدولة بأسلوب "دريلوك" Dreadlock-Raver يرتدون حلا "ردنجوت" للسهرات، ومعهم مجموعة كبيرة من المسيحيين المسافرين الذين يرفعون لوحات كرتونية مكتوب عليها "الدينونة" "توبوا!" "هامبورج الجديدة" "الرب قادم إلينا، وقد سخط سخطا عظيما"، يمر البطل على المسيحيين الذين يلوحون بشدة وأخيرا يصل إلى الميدان أمام المحطة، يستقل سيارة

¹ في النص الألماني كلمة "Druckmaschinen" نقصت منها حروف فأصبحت تقرا "Drumasin"، والكلمة الأولى بمعنى "آلات الطباعة" والثانية يحتمل أن تكون محرفة من كلمة "Drohmaschine" بمعنى "آلة تهديد". (المترجم)

أجرة إلى نُزُل "ديرليفانجر"، عندما ينطق اسم النُّزُل يخرج السائق ساعته وينظر فيها فيطمئن إلى أنه يريد أن يذهب إلى "هيلدا"، ثم يتحنح، يتحسس البطل حنجرته وهو جالس في السيارة.

تقف "هيلدا ديرليفانجر" خلف طاولة الاستقبال وهي تحملق في

صاعق بعوض دوار معلق على الحائط يشع نورا أزرق فاتح اللون، عندما ينزل البطل أمتعته يصدر الصاعق فرقة خفيفة فيحك البطل عنقه تلقائيا، ينبعث من جهاز الراديو خلف طاولة الاستقبال صوت متقطع أجش يعلن احتفالية افتتاح مهرجان جادمر، تتناول السيدة ديرليفانجر مفتاح الحجرة الثقيل المصنوع من النحاس وتتقدم أمام البطل، تصعد السلم، تخطو في الممر باتجاه الحجرة رقم (٨)، يمرق كلب أبيض، بينما يقف الاثنان قبالة الباب، يُعرض المشهد ببطء من فوق الردهة.

في الحجرة يستلقي البطل فوق السرير وهو يحرق في ورق الحائط المطبوع عليه صورة متكررة لفرشات كثيرة وفروع أشجار، على السقف بقعة مياه قديمة كأنها خريطة بلجيكا، فجأة تبدأ البقعة في الاتساع، في هذه اللحظة يرن جرس تليفون قديم موضوع على طقوطة بجوار السرير، في الرنة السادسة يلتقط البطل السماعه، صوت نسائي يطلب منه الدخول إلى الحمام على الفور، فيضع السماعه ويخلع جوربه ويتشممه ثم يرتديه مرة أخرى.

تضع "رولا" السماعه في كابينة هاتف بمحطة القطار الرئيسية في هايدلبرج، على الكابينة ملصقات عن حفلة جادمر الموسيقية التي ستقام في ساحة الاجتماعات الشعبية

القديمة، تُنَاطِر رولا وقت بدء الحفلة مع الوقت في ساعة
يدها.

في بار "ماكس" التي تعود تصميماته إلى أسلوب
"بيسترو" Bisrto-Stil الباريسي في حقبة الأربعينيات -
ملصقات تدعو إلى تعاون الفرنسيين مع قوات الاحتلال
الألماني في فرنسا، مجموعات عديدة من الشباب في حلل
رسمية، الطلاب الأعضاء في الفرق والاتحادات المختلفة
يرتدون أوشحة وطواق بألوان عضويتهم، في أيديهم دوارق
كبيرة من القصدير مملوءة ببيرة هايدلبرج قاتمة اللون،
ينخرط البطل بين الواقفين عند طاولة الطالبات فيجد دورقا
من البيرة القاتمة قد دُسَّ في يده، عندما يهم بتقديم الشكر على
هذه البيرة المجانية يشير له أحد الطلاب بأنه لا حاجة للشكر،
إنه الطالب "أويجن" وهو شاب طويل القامة ذو خصلات
شقراء منفوشة على كلا فؤديه تسقط على وجهه فينفخها
بجانب شفثيه، ويشرب نخبا مع البطل صائحا: "فيشي"،
يشرب كلاهما دورق البيرة دفعة واحدة، وبجانبهما دوارق
أخرى معدة للشرب، يتوالى من بعدها المزيد منها.

البطل وأويجن وثلاث فتيات أنيقات شعورهن ملفوفة
ومجموعة أعلى رؤسهن، الخمسة يتمايلون مخمورين في
شوارع مدينة هايدلبرج القديمة، يظل قصر هايدبرج المضاء
بالأنوار الكاشفة يظهر من بين المباني القديمة التي تعود إلى
القرون الوسطى، ينتشابك خمستهم في مشية حميمية، بين
الفيئة والأخرى يشربون نخبا جماعيا من دوارق البيرة التي
في أيديهم ويغنون بأسلوب الأغاني الشعبية الألمانية القديمة.
تسمع عبر الظلام أصوات نفير آتية من الضفة الأخرى
لنهر "نيكر" Necker، ترى أولى لعب مهرجان جادمر وهي

تتجه إلى ساحة الاجتماعات الشعبية القديمة، في المقدمة دمية ورقية لها وجه الفيلسوف "هانس-جيورج جادمر" Hans-Georg Gadamer كتب فوقه بحروف ألمانية قديمة كلمة "الحقيقة" Wahrheit، فلاحون وأعيان يحملون المشاعل وعلى الجسر يلتقون بالموكب الثاني الذي يطابق الأول عدا أن الصورة فوقها كلمة "المنهج" Methode.

سرب من البشر أمام فيلا شبابية التصميم في شارع "دانتي شترسيه" Dantestraße، يحاول بعض الأفراد أن يعبروا أمام اثنين من البوابين البيلا روسيين، لكنهم يُردوا على أعقابهم، لكن عندما تحضر المجموعة المتحلقة حول أويجن يتشكل بين الجموع طريق ضيق، ويتراجع كل اثنين إلى الورا ويدير البعض وجهه، أما البوابان البيلا روسيان فيشيران بحركات مسرحية نحو الطريق إلى داخل المنزل.

بهو المدخل يشبه إيوان كاتدرائية قوطية: كثير من الخشب الأسود، وكثير من المنحوتات تمثل الأم المسيح، دخان بخور، تصوير مضخم لمذبح "إيسنهايم" Isenheimer، باقات ورد متشابكة، أطباق معدنية كبيرة فيها ثمار مرصعة بلمسة فنية وُضعت على عتبات نوافذ بئر السلم الحجري، في منتصف البهو تتدلى كبسولة ذهبية تتفتح ببطء يتربع بداخلها رجل كث اللحية يجلس القرفصاء، يكاد البطل يختنق بسبب انبعاث رائحة مقززة من الكبسولة، يفتح الرجل كث اللحية فمه فيما يشبه الدائرة فتظهر بعض النقر البنية في أسنانه، يبحث البطل عن أي شراب فلا يجد في مدخرات الإيوان إلا صندوق زجاجات حليب شبه فارغ، فيلتقط منه زجاجة.

يمسك أويجن بمرفق البطل وهو يريد أن يجذبه بلطف ولكن بتصميم ليصعد البطل سلم الاستقبال الكبير، في الطابق

الأعلى غزال صغير منهك مستسلم يقف مفرجا ما بين أرجله يسحبه الطلاب الأعضاء وهم يبتسمون في شماتة، يأبى البطل مطلقا أن يصعد إلى أعلى ويبعد عن نفسه ذراع أويجن فيخرج قميص الأخير من فوق مشد سرواله وينحسر عن بطنه كاشفا عن قابس كهربى بارز لونه لون الجلد، يهرب البطل نازلا السلم ومارا على الكبسولة الذهبية ليختبئ في واحدة من الحجرات الكبيرة في الطابق الأرضي حيث توجد مدفأة حجرية ضخمة تضطرم فيها نار خافتة، بجوارها فتحتان مظلمتان فارغتان، يدخل البطل في الفتحة اليسرى. ممر مظلم، نتابع البطل في طريقه الذي يضيئه بقداحة صغيرة ضوءها شاحب، يسخن جسم القداحة فيتركها تسقط وهو يسب، يرى شعاع شمعة موضوعة في زجاجة خمر ماركة "شيانتي" تشبه الجرة، هناك داخل النفق تقبع كارين مستندة إلى الجدار الموحد، في طية ذراعها حقنة مغروسة كباسها مسحوب إلى الورا، تتأوه كارين فيفرع البطل إليها. على مسرح الغابة في ساحة الاجتماعات الشعبية القديمة تجري فعاليات "استعراض سهرة جادمر"، بينما تدوي المكبرات بأغنية life is life للفنان "لايباخ" Laibach، يقوم عشرون من الأعضاء الكبار العميان ذوي اللحي البيضاء برسم تشكيلات راقصة من الحروف مستخدمين عصيهم البنية ومتشبهين جميعا بمشآيات ذات عَجَل، يرقصون رقصا خفيفا على المسرح، ثم يدخل من الناحية اليمنى بعض الطلاب وهم يتدحرجون وقد اتشحوا بملابس تظهرهم كمرضى الإيدز في المرحلة الأخيرة من متلازمة "كاربوسي"، بينما تقوم لاعبات جمباز في زي قوات الـ "إس إس" Waffen-SS النازية بأداء رقصات معبرة فيها انتشاء.

ينفتح باب صغير من ناحية الكواليس ويصعد البطل المرتبك منه إلى المسرح، يشاهد الاستعراض من الخلف وينظر إلى أعلى، يخلق في سماء الليل منطادان كبيران رماديان مسلط عليهما أربعة مصابيح كاشفة مثبتة على حافة المسرح.

نرى الجمهور في ساحة العرض من منظور البطل، بينما تمر موسيقى "لايباخ" عبر نظام الصوت الـ "ألترا جرابر" Ultra-Grabber للفنان السلوفاني "دي جاي أومك" DJ Omek، يجري بصر البطل من اليسار إلى اليمين، يرى توليفة من الطبول، ومجموعة من مزامير الـ "ديدجيريدو" Didgeridoo الأسترالية يقف وراءها "عازفو الرعب" Terror-Raver الذين كانوا في محطة القطار الرئيسية وهم يحيطون بالصفوف الأولى التي يجلس فيها جمهور من علية القوم الذين يزهون في حلل السهرة ويشربون بأعناقهم في رقصات متشنجة متابعين بها الصخب الدائر، ومن فوق الجموع الراقصة يتأرجح عبر الساحة أشخاص يرتدون ملابس تنكرية مبهرجة.

مئات المسيحيين يتمايلون في ضوء المشاعل، يتقدم البطل إلى حافة المسرح الأمامية وكأنه فاقد الوعي، يرنو ببصره إلى أسفل فيرى الأوركسترا، وقد تم إعداد بحر من صفائح الصاج المتموج حاد حواف، وقد أعد باستخدام أغشية مقلوبة مأخوذة من سيارات قديمة، تبدو منصة "دي جاي أومك" وسط هذا كله، وتبرز بين تموجات الصاج أذرع مرفوعة إلى السماء وكأنها لغرقى يصارعون من أجل الحياة، ولا يفعلون شيئاً سوى التلويح، ويُنادى باسم "أومك!" "أومك!" "أومك!" في صيحة واحدة من ثلاثة آلاف حنجرة.

يمد البطل يده داخل سترته ويخرج اللعبة المعدنية التي أعطتها له السيدة العجوز في الطائرة، يمرر إبهامه بلطف على حروف كلمة "دونيتس" المحفورة على الغطاء، وكأنما يستطيع بذلك أن يستدعي سحرا منسيا، ثم ينطقها بصوت خافق: "دونيتس"، هنا تمسكه "رولا" التي تتواجد على المسرح منذ البداية من كمة الأيسر، يقول البطل لها إنه ينبغي أن يرحل، وفي أسرع وقت، تومئ رولا وهي تبتسم وتشير إلى أعلى حيث المنطادين المحليين فوقهما.

رحلة في الهواء بمنطاد ينساب انسيابا ساحرا فوق "بادنفيتمبرج" Baden-Württemberg بليلها وسكونها، أنهار فضية تتلألأ في ضوء القمر، غابات صامتة، تنزلق ظلال المنطاد فوق سهول وحقول جنوب ألمانيا.

تجلس رولا والبطل على أرضية كابينة المنطاد، يحتسيان معا كوبي لبن كبيرين يترجرجان، يتهامسان والمنطاد ينزلق في الهواء برفق، يتبادلان قبلات رقيقة، تتشابك أيديهما برهة من الوقت، يُخرج البطل اللعبة المعدنية من سترته، فتعتمد إليها رولا في فضول: "فلترني هذه!"، يدخل يده تحت غطاء اللعبة ليفتحها فتخطفها منه رولا: "لا يحق لأحد فتحها."

ينساب المنطاد بمحاذاة البدر الذي يشع بنوره على اللعبة فتلمع حروف كلمة "دونيتس" حرفا بعد الآخر، يسطع نور القمر على وجه رولا المبتسم، يري البطل ابتسامتها ويخطف منها اللعبة ثانية، يجلس كل منهما مستندا إلى جدار الكابينة مواجهها للآخر، تخبره رولا أنه قد أجريت لها عملية جراحية، وأنها في الحقيقة لم تعد امرأة، بل هي الآن رجل، أصبحت من المتحولين جنسيا، تنزع عن رأسها الشعر القصير المستعار، ينخفض المنطاد فوق ميناء "فريدريشس-

هافن" Friedrichshafen على الشاطئ المتلألئ من بحر البلطيق.

ينفج سقف أحد المصانع هيدروليكيًا، وينزاح جانبًا، يحط المنطاد داخل المصنع المضيئة مصابيحها، ثم ينغلق السقف من جديد، كل شيء مغطى بسيراميك أبيض، تنتشر أضواء في بياض اللبن، يدخل دكتور "ريبنماول" في حزم مرتديا معطفًا أبيض يرف في الهواء: "لقد تأخرت قليلًا." رولا والبطل يتبعانه إلى داخل المصنع حيث توجد حديقة متشعبة مضللة أمام قاعات مستشفى وحجرات للعمليات الجراحية.

ثم باب بني اللون وسط كل بياض مستشفى المصنع المعقم أليًا، تفتح البوابة ببطاء، في الداخل يقف عدد من الشيوخ متحلقين حول طاولة اجتماعات منثور عليها مجموعة خرائط، لا نوافذ في القاعة، كل الحوائط مكسوة بأرفف كتب، ثمة مقعد فونيه ثقيل وبعض مجسمات للكرة الأرضية، ليس عليها إلا حدود خريطة ألمانيا، كل شئ يشبه ما بداخل مركز الجمعية الملكية للجغرافيا، يصمت الشيوخ ذوو النظارات والذين كانوا للتو مستغرقين في الحديث، يرتبون الخرائط أمامهم في عجلة، ويحيون د. "ريبنماول"، يلتفت البطل حول نفسه، فلا يجد رولا.

يطفي أحد الشيوخ الأنوار، يقدم ريبنماول المقعد للبطل الذي تنسدل أمامه شاشة تغطي على حائط الكتب قبالتها، يسلط على الشاشة ضوء بروجكتور فتلمع في هواء القاعة ذرات ثقيلة من الغبار، يقف ريبنماول خلف البطل واضعا يديه على حافة المسند الخلفي للمقعد قائلاً: "سنريك الحقيقة الآن، انظر جيدًا."

لقطة بالأبيض والأسود من فيلم متقطع عن المنطقة: شاب وفتاة أيديهما متشابكة يتبختران في سعادة تحت "بوابة براندنبورج" Brandenburger Tor في برلين، يوم مشمس، كل شيء يوحي بروح وإيقاع الثلاثينيات من القرن الماضي، المرأة ذات الشعر الداكن القصير هي رولا، والرجل إلى جوارها هو نيغل، تنتهي اللقطة؛ نافذة عرض في محل تحف يعكس زجاجها ملامح الشاب والفتاة، على أحد الأرفف تبرز علبة صغيرة تشير إليها رولا، تنتهي اللقطة؛ داخل المحل يزن نيغل العلبة في يده، تقف رولا بجواره وهي مشرقة، تضع يدها على صدرها متسائلة، بسرور يومئ البائع وهو يضع نظارة "لورجنون" لها ذارع واحد، تنتهي اللقطة، مصباح تحذير يومض في ساحة مفاعل نووي، مياه تسيل من بعض خزانات، رجال في معاطف بيضاء يهرعون في كل اتجاه في هلع، تنتهي اللقطة، رولا تفتح الصندوق الصغير، تنتهي اللقطة، برق ساطع شديد الإشعاع يعم برلين، تنتهي اللقطة، يختبئ نيغل ورولا والبائع، نرى نيغل وهو يلصق الصندوق الصغير بجسمه، تنتهي اللقطة، سيارات إسعاف ومطافئ تسرع عبر طرق برلين، حشود بشرية تتدفق على امتداد الشوارع، سحب من الغبار تتساقط، رجل كهل يصرخ صرخة مكتومة، أم تجثم على الأرض بجوار عربة أطفال، يجري نيغل في الشوارع ورولا في يده، تطاردهما سيارة زجاجها معتم، يفتح الباب وتمتد يد نحو رولا فتجذبها داخل السيارة المسرعة، يسقط نيغل على الأرض وتزيد السيارة من سرعتها، تنتهي اللقطة، يتدحرج الصندوق الصغير على أرض الشارع، تنتهي اللقطة، يقف نيغل وحيدا في الشارع، يشيخ وجهه في مشهد متسارع اللقطات، تنتهي اللقطة، يسير

دكتور ريبنماول في حلة واقية عبر الشوارع الخالية وبصحبه فريق بحث، تنتهي اللقطة، يشير ريبنماول إلى الصندوق الصغير الملقى على الأرض، يتناوله من معه، تنتهي اللقطة، يحاولون فتح الصندوق ولا يستطيعون، تسوء حالة الفيلم المعروض ويعطي لونا أصفر، وتصدر طقطقة من البروجكتور، ثم تضاء الأنوار.

يحيط دكتور ريبنماول ومن معه من الأطباء بالبطل وهم يهددونه كي يسلم الصندوق الصغير ويقوم بفتحه لهم، فيقول إنه بدون رولا ليس هناك صناديق.

ترقد رولا على طاولة تشريح وحولها خيوط دم، هي في وعيها لكنها مقيدة مرتجفة، يقف حول الطاولة جمع من الأطباء يغسلون أدوات تشريح مختلفة، يدخل ريبنماول ومعه البطل واللجنة الطبية، يقول ريبنماول للبطل: "تمهل! إما أن تُجرى العملية لرولا فتعود امرأة مرة أخرى، لكنها ستشيخ من جراء ذلك في دقائق معدودة، وإما أن تُترك كما هي، فتظل رجلا، أي شابا متحولا." يعود القرار إلى البطل، ويقول إنه من الأفضل لها أن تظل رجلا، تحرر رولا من قيودها فتتهض وتحتضن البطل، فيقول ريبنماول: "والآن فلنتفتح الصندوق، من فضلك!"

بسرعة البرق يخطف البطل أداة تشريح ويضعها على رقبة دكتور ريبنماول وهو يطوقه من الخلف، ثم يدس الصندوق الصغير في جيبيه، لا أحد يتبعهم وهما يهربان من حجرة العمليات، يفقد ريبنماول رباطة جأشه تماما.

في باحة المصنع تقف السيارة المظلمة التي ظهرت في الفيلم، يجبر البطل دكتور ريبنماول على الجلوس في المقعد المجاور للسائق، ويجلس هو من ورائه مُبْقِيَا أداة التشريح

على رقبتة التي تُدْمَى بالفعل في بعض المواضع، تقود رولا السيارة وقد وضعت الشعر المستعار على رأسها مرة أخرى. مشهد متسارع للسيارة على الطريق مع مناظر طبيعية مركبة في الخلفية بشكل سيئ، في الطريق تفتح رولا باب ريبنماول وتقول: "اخرج!" يترك ريبنماول نفسه ليسقط كحيوان سلامندر مصاب إصابة خطيرة ولكنها غير مميتة، ثم يتدحرج على الأحراش المنحدرة.

ينزل الضباب، وتظهر تلال من القمامة على جانب الطريق، ثم خيم لاجئين، يبدو المشهد كأنه حلم، تنطلق السيارة بهما بسرعة أبطأ، وأخيرا ينتهي الطريق، يخرجان من السيارة، قذائف ضوئية تُطلق من مسافة قصيرة، تغوص مرة أخرى باعثة ضوءاً برتقالياً، رولا والبطل يسيران خلال الغابة، يقول البطل إن الخلاص الوحيد هو في هروبهما إلى المنطقة، يعني وراء الحدود، تجيب رولا: "ألا تعلم أننا داخل المنطقة بالفعل."، "ماذا؟"، "نعم هذه هي المنطقة."، "إذن ما الذي وراء هذه الحدود؟"، "لا أحد يدري."، يرد البطل: "إذن هيا إلى هناك."

تبدأ رولا في البكاء وهي تقول إنها لا تستطيع الذهاب إلى هناك، فلم يذهب أحد هناك من قبل، وهي إذا ذهبت سرعان ما ستشيخ، يرد البطل بأن عليه أن يذهب، وأنه سيعود بالتأكيد مرة أخرى، يتبادلان القبلات للمرة الأخيرة. يجتاز البطل الحدود التي ليست إلا طريقاً ضيقاً يخترق الغابة، يتحرك الضباب بقوة حول قدميه، يرى بين الأدغال غزلاً مستكيناً.

فجأة ينحرف به الطريق وتظهر علامة حدود صخرية عليها رمز الصليب السويسري، ومن وراء العلامة عناصر

خرسانية بالية، وخلف فتحات الزجاج المبطن بالأسلاك وجوه ممتعة لموظفي الحدود السويسريين، ينبعث صوت معدني من مكبر صوت يرشد البطل للاتجاه نحو البوابة، تُدار آلات قديمة جدا: عدادات جايجر، أجهزة أشعة إكس من زمن ما بعد الحرب العالمية الثانية عليها أكوام من الأتربة، يشير أحد الموظفين إلى علبة "دونيتس" التي ارتسمت على شاشة قديمة تصدر قطعة وأزيزا، يتعالى الصوت من المكبر: "ما هذا الذي في حقيبتك؟"، يجيب البطل: "شيء ورثته"، يسأل الصوت مجددا: "وماذا بداخله؟"، فيرد البطل: "لا شيء". يعبر البوابة إلى ضوء الشمس، الآن يستعيد ملامح وجهه قبل حادثة الحافلة على جزيرة "زيلت"، أحد موظفي الحدود يربت على كتفه برفق سائلا: "هل أنت بخير؟ بيتسم البطل ويومئ برأسه.

في مدينة زيورخ النظيفة جدا - حيث ترتفع الأعلام السويسرية في كل مكان من شارع المحطة - يدخل البطل إلى أحد البنوك، يصحبه موظف إلى قاعة الخزن، يضع العلبة في أحد الأدراج، يدس المفتاح في جيبه ثم يغادر مبنى البنك، يتنفس الصعداء، ويسير عبر شارع المحطة قاصدا البحر.

في البحر عائلات سعيدة ضاحكة يلوح أفرادها بأيدهم وهم يركبون عشرة قوارب حمراء تسير بالكهرباء سرعتها لا تتعدو 5 كم/ساعة، يتسابقون جميعا سباقا أمنا في حركة متزامنة تشبه الباليه.

أرض الآباء

الشخصيات

البطل (١)

سائق الحافلة

البطل (٢)

كارين

الكهل المصاب بالإشعاع

دكتور فرانك ريبنماول: طبيب

منبوذون كُثر

نيجل

رولا

السيدة العجوز

حفيدها

أودو كبير

هيلدا ديرليفانجر: مالكة البنسيون

أويجن: طالب في رابطة

دي جاي أومك

أطباء كُثر

موظف الحدود السويسري

أرض الآباء

فيلم خيال علمي/ نص سينمائي للصفحات الثماني والعشرين
الأول/ ٢٠٠٣

منظر خارجي/ نهار/ على شاطئ البحر

(سيارة "كيبلفاجن" Kübelwagen عسكرية تسير على طول الطريق، السماء ملبدة بغيوم سوداء، في المقعد الخلفي للسيارة يجلس "هيرمن جورينج" مسندا رأسه إلى راحة يده، مستغرقا في التفكير.)

موسيقى: أغنية "Damaged Goods" لفريق "Gang of four".

(شاشة سوداء عليها كتابة باللون الأبيض تقول: "في الأول من أغسطس من العام الماضي وقع حادث خطير في مفاعل محطة "راينزبيرج" Rheinsberg لتوليد الطاقة النووية بالقرب من برلين، ما جعل منطقة جمهورية ألمانيا الشرقية السابقة كلها تقريبا منطقة محظورة مصابة بنشاط إشعاعي سيستمر قرابة ٤٠ ألف سنة.")

منظر خارجي/ نهار/ شاطئ البحر

(سماء صيف شديدة الزرقة، سحب خفيفة في الأفق تنم عن طقس جميل. تطير الكاميرا بسرعة عالية فوق سطح البحر في اتجاه شاطئ يبدو من بعيد.)

العنوان: أرض الآباء.

(يقترّب الشاطئ، تحلق الكاميرا فوق الكتبان الرملية، نبات الشوفان منتشر على الشاطئ، ألواح خشبية سميكة، نبات الخننج، شاب عارٍ يسير بمحاذاة الألواح الخشبية، تتبعه

الكاميرا من الخلف، يظهر طريق عليه لافتة: "كامبن -
زيلت" Kampen/Sylt، دائرة "نوردفريزلاند" Kreis
Nordfriesland
- منطقة جمارك حدودية.)

(طريق خال بين مدينتي "كامبن" و"ليست"، محطة
حافلات، مظاهر قَيْظ الظهيرة، كثبان رملية ملتعبة يتلظى من
فوقها هواء حار.)

منظر خارجي / نهار / محطة حافلات

(بعوضة تلسع شخصا، يدُ تحك بانزعاج موضع اللسعة
المتورم محدثة فيه خدشا صليبيا صغيرا بالأظافر.)
(يقف "ألفي" - وهو شاب شعره أشقر مفروق على
الجانبيين - عاريا على جانب الطريق، يتلفت حول نفسه، ثمّة
حاوية بجانب محطة الحافلة بها ملابس قديمة، يَعْمِد ألفي إلى
فوهة الحاوية الممتلئة، يسحب بالتدرج سروالا بحمالات
لونه أزرق قاتم وبه العديد من البقع شديدة الاتساخ، وقميصا
أبيض ملفوف كالكرة، وحقاءً بنيا قديما بأربطة، يلبس ألفي
هذه الأشياء.)

(ينظر ببطء عن يمينه ويساره، ثمّة شيء وسط الطريق
الخالي يلمع في ضوء الشمس، يرفع ألفي يده في مواجهة
الشمس ويفرج بين أصابعه فتتخللها الأشعة.)
ألفي: جميلة هي أشعة الشمس اليوم.

(يحك رقبتة، ينظر مرة أخرى إلى الشيء اللامع، يخطو
إلى عرض الطريق بفضول كي يلتقطه من الأرض.)
ألفي (بصوت خافت): ها هو ذا.

منظر داخلي/نهار/ حافلة مواصلات عامة

(حافلة مواصلات تابعة لشركة "روي پرال" Ruy Prahل
تسير في الطريق بين الكثبان قاصدة مدينة "ليست" List،
يحاول سائق الحافلة أن يضرب بيده تجاه حشرة خنفساء
تزحف على زجاج الحافلة من الداخل.)

سائق الحافلة (بصوت عالٍ): تبا لك! فلتخمي الآن!
راكب: هلا أعطتني فاتورتي الآن!
(طفل في الثالثة من عمرة يثبت عينيه على السائق من
الخلف.)

سائق الحافلة: أبعد أصابعك! يا إلهي!
(تجنح الحافلة وتندفع باتجاه المحطة دون سيطرة، ينحني
ألفي ليرفع الشيء اللامع، ينظر لأعلى، فتسحج الحافلة
وجاهه، وتلطخ آثار الدماء
جانب الحافلة بطوله.)

الراكب: فاتورتي!
سائق الحافلة: حافلتني!
(تنحرف الحافلة عن الطريق وتقلب مرة واحدة لترقد
على جانبها في إحدى القنوات، وعجلاتها تتباطأ حتى تكف
عن الدوران. صوت انفجار مكتوم، ألسنة لهب تتصاعد من
حيز العجلات.)

(سائق الحافلة يئن)
(ألفي مطروح على الأرض ووجهه إلى أسفل على أرض
الشارع في بركة صغيرة من الدماء يلمع فيها صندوق صغير
من الصلب المصقول محفور على غطائه كلمة
"دونيتس" Dönitz.)

منظر خارجي/نهار/مستشفى

مستشفى "نوردزي كلينيك فيستر لاند" Nordseeklinik
Westerland على جزيرة "زيلت"، عبارة عن مبنى بين
الكتبان الرملية.)

منظر داخلي/نهار/حجرة مريض

(يفتح ألي عينيه فيرى أنه يرقد في سرير، وفي ذراعه
محقن ثابت، يتحسس ألي وجهه.)
ألي (يلعب دوره ممثل آخر): شيء هزلي.
(يسحب ألي المحقن من ذراعه، ينهض ويخطو إلى
المرأة، ينظر مذعورا
إلى وجهه، يتحسس بشرة وجنتيه، يتفحص يديه، ينظر مرة
أخرى في المرأة.)

منظر داخلي/نهار/المستشفى

(يقف دكتور "فرانك ريبنماول" في الردهة مع فريق من
الأطباء المساعدين، يرتدي كل منهم أوفرول واقى تبدو من
تحتة رابطة عنق، أما دكتور ريبنماول فيرتدي معطف
عمليات ملطخ بالدماء، ويقف مستندا إلى الحائط.)
ريبنماول: قد سمعتم هذا بالفعل، إنه هنا.
طبيب (١): كان الوقت ضيقا.
ريبنماول: كانت الحدود مفتوحة لثواني معدودة، لم يلاحظ
أحد شيئا.

طبيب (٢): هل فتح العلبه؟

ريبنماول: للأسف لا، لقد رأها فقط، وقد أجريت له عملية
جراحية، وهو يرقد الآن بجوارنا، عليكم أن تراعوا أنه لن

يتعرف على أحد، ولا حتى على نفسه، ولكن الجميع سيتعرفون عليه ثانية.

طبيب (٢): أنسة "إردمن"! فلتتهيئي الفتاة الآن!

الأنسة أردمن: قد فعلت، وأفرغت الخزان بالفعل، نريد توقيع سيادتكم مرة أخرى يا دكتور ريبنماول، هنا وهنا وهنا.

ريبنماول: حسن. هل تم إحراق جثة السائق؟

(في الطرف الآخر من الردهة ينفث باب ويخرج منه

الطفل الذي كان في الحافلة، يجري في اتجاه دكتور

ريبنماول فاتحا ذراعيه عن آخرهما، يرفع الطفل عاليا

ويدور به مرة واحدة.)

طفل الثلاث سنوات (بوجه مشرق): الحافلة طاحت كلها،

ونار عملت "بوووم".)

ريبنماول: أخ، يا صغيري!

منظر داخلي/نهار/حجرة مريض

(يلمح ألفي في إحدى زاويا المرأة فتاة تجلس على مقعد

في ركن الحجرة.)

ألفي: أوه! معذرة! لم أر حضرتك مطلقا.

كارين: ليس جديدا عليك أن تتجاهل وجودي وأنت تنتظر

إلي الآن، تعرف؟ أنت مريض نفسي.

ألفي: بيننا تعارف سابق، أليس كذلك؟

(تنهض كارين وتلتقط حقيبة يدها.)

كارين: كفاني منك هذا، أفق! إنه أنا كارين، لقد طفح

الكيل، الزيارة انتهت، سلام!

ألفي: فلتنتظري قليلا! قفي! أنا أحتاجك، يجب أن

تساعديني، لحظة واحدة! ما الذي يجري هنا؟

كارين (عند الباب): لقد جلست إلى جوارك هنا عشر ساعات بعدما تعرضت للحادث، والآن قل لي أنك فقدت الذاكرة، هذه أكليشهات قديمة محفوظة.

منظر داخلي/نهار/حجرة ملاحظة

(خلف المرأة التي في حجرة ألفي يجلس ريبنماول مع أحد الأطباء المساعدين ويراقب المشهد.)
ريبنماول: هذا إنجاز عظيم، أعنى هذه الفتاة، ما الجرعة التي أعطيتها لها؟
الطبيب (متفاخرا): ابتكار جديد تماما، ٧.٣٤ كالتينبرونر.

منظر داخلي/نهار/حجرة مريض

ألفي: صدقيني أرجوك! أنا حقا لا أعرفك، أي حادث تقصدين؟

كارين: ألفي! لقد ألقيت بنفسك أمام الحافلة، أليس كذلك؟ بالضبط كما فعلت في هامبورج عندما ألقيت بنفسك من الطابق الثاني.

ألفي: أنا لا أدري من أكون.

كارين: وأنا - أصدُقُك القول - لم أعد أدري من تكون بالضبط، ولم يعد يهمني أن أدري.
ألفي: لكن...

كارين: هذا ما كان "نيجل" يقوله منذ زمن، وأنت تعرف ذلك.

ألفي: لا، لا أعرف.

كارين: أف! صديقك الحميم - كما يقال - ما يقوله عنك...
(تنبش كارين في حقيبة يدها.)

كارين: تفضل! هذا مفتاح سيارتك، لم أعد أحتاج إليها،
سأسافر الآن إلى هامبورج، أتعرف؟ لقد انتهى الأمر بيننا.
(تَصَفِّقُ كارين باب الحجرة، يعود ألفي لينظر ثانية في
المرأة.)

منظر داخلي/نهار/حجرة الملاحظة

يضغط الطبيب المساعد على زر فيصبح الزجاج معتما،
يقدم له ريبنماول علبة بونوبين مملح ماركة "إمزر" Emser
ثم يقوم الاثنان.
ريبنماول: "إمزر" لها مذاق أفضل بكثير من باستليتات
اليود تلك.

الطبيب المساعد: شكرا!

ريبنماول: فلتقم بالأمر الآن!

منظر داخلي/نهار/حجرة مريض

(يدخل طبيبان مساعدان ومعهما الأنسة "إردمن" في حزم
وانضباط لإجراء المتابعة على ألفي.)
طبيب (١): إيه أيها الشاب، نمت ملء جفنيك؟ لقد تخطيت
بعض الأمور.
الآنسة إردمن: أوه! لقد خلعت المحقن بنفسك... هذا لا
ينفع.

طبيب (٢): هل رحلت زائرتك؟ السيدة الشابة التي جلست
بجوارك طوال الوقت، أيها المحظوظ.
ألفي: آآ... أنا...

الطبيب (١): ...ستأتي مرة أخرى بالتأكيد، أنت تعاني من
فقدان ذاكرة جزئي رخو مرتبط بالوجه Partielle

rechtslappige Physiognomal-Amnesie ، وهذا من آثار الغيبوبة.

آنسة إردمن: استدر لو سمحت على جنبك، واجعل سروال البيجامة ... هكذا، سنقيس درجة الحرارة عن طريق المستقيم. أفي: وماذا إذن...؟

الطبيب (١) (بأبوة): فلتسكن الآن قليلا، نحن نريد في النهاية أن تسترد عافيتك، أليس كذلك؟

منظر خارجي/نهار/محطة بنزين

(يملاً ريبنماول سيارته الليموزين السوداء بالوقود، يرفع عامل المحطة خرطوم البنزين إلى قبعته محييا ريبنماول الذي يغمز له بدوره ثم ينطلق بالسيارة، يسرع العامل خلف ماكينة غسيل السيارات ويجر من هناك عددا من المنبوذين.)

منظر داخلي/نهار/ردهة المستشفى

(يتسلل أفي بحذر عبر ممرات المستشفى، خلف أحد الأركان تقف مجموعة من الأطباء، يفتح بسرعة أقرب الأبواب إليه، يجد نفسه واقفا في صالة أمام باب يتحرك بالانزلاق عليه لافته تقول:

المنطقة ب (المنطقة الطرفية)

خطر إشعاعي خفيف

١١ دقيقة حد أقصى

يفتح الباب المنزلق، ضوء نيون أخضر بارد، آلات تصدر أزيزا، صوت خافت متصل يصدر من عداد جايجر، يسير أفي بين الأسيرة التي ينام عليها أناس ذوو أجسام

صغيرة غضة تعلوها وجوه شاحبة أصابتها شيخوخة مبكرة،
فجأة يقبض أحد الكهول الشائهيين على ذراعه.)

الكهل: أنا أموت عطشا، أرجوك!
(يحضر ألفي كوب ماء من أحد الأحواض، يُفرغ الكهل
الكوب بشراهة.)

الكهل: ادن مني يا بني! يجب أن أقول لك شيئا.
(يترك البطل نفسه للعجوز ليذنيه جدا من نفسه.)

الكهل (هامسا): تات تُوام أسي. تات تُوام أسي.
ألفي: ما معنى هذا؟

(يسحب الكهل من تحت وصادته صورة تظهر فيها امرأة
شابة شعرها أسود مقصوص إلى كتفيها.)

الكهل: زوجتي، فلتذهب إلى المنطقة المنكوبة وتخرجها
من هناك، عدني بذلك!

ألفي: هل كانت هي أيضا هناك عندما وقع الحادث؟

الكهل: هاك! خذ الصورة كي يمكنك التعرف عليها، فلن
أحتاج إليها في الوقت الراهن.

(تنحدر من عينه دمعة، يسيل لعابه خارج فمه، يمسح ألفي
وجه الكهل بملاءة السرير ويدس الصورة في ملابسه.)

ألفي: لا تبك! سأقوم بالأمر، هذا وعد.
الكهل: أنت شاب طيب.

ألفي: كيف أذهب إذن إلى المنطقة المنكوبة؟

الكهل: يجب أن تقصد المسيحيين، يجب أن تسافر إلى
هامبورج، المسيحيون فقط هم الذين يستطيعون إدخالك إلى
المنطقة.

منظر داخلي/نهار/اردهة المستشفى

(يمشي ألفي إلى نهاية الممر وهو يرتدي بلوفر فوق البيجامة.)

منظر خارجي/نهار/ساحة انتظار سيارات

(يفتح ألفي باب السيارة الرياضية ثم يستقلها وينطلق بها، ثمة محقن ثابت يقذف عبر نافذة السيارة.)

منظر داخلي/نهار/السيارة الرياضية

(ينزل مؤشر الوقود إلى الصفر.)

منظر خارجي/وقت الغروب/محطة البنزين

(على أطراف مدينة "فيسترلاند" Westerland، تتوقف السيارة أمام ماكينة ضخ الوقود، يتجمع منبوزون كُثر على أطراف المحطة وهم يتشممون شيئاً من أكياس بلاستيكية، يتجه أحدهم نحو السيارة ويدوس بحذائه طويل الرقبة على مؤخرتها.)

منبوز: صغيرة جداً هذه السيارة، لا شيء يصلح بداخلها.

ألفي: لحظة من فضلك، أريد فقط أن أزودها بالوقود.

المنبوز: تزودها بالوقود؟ أيها الخنزير.

(يخرج عامل المحطة من كشكه رافعا مفتاح صمولة في

يده.)

عامل المحطة (غاضباً): لا وقود لسكان المنطقة،

انصرف من هنا!

(يقترّب المنبوزون الآخرون من السيارة في حركة تهديد،

يجلس أحدهم فيها على المقعد المجاور لألفي.)

منبوز آخر: الراحة شيء آخر.

(ينزل ألفي من السيارة ويهرب، يمزق المنبوزون الغطاء الكابريو في السيارة الرياضية بسكين ويجلسون بداخلها، ويشرعون في تلطيخ مقاعدها بصلصة طماطم يغرفونها من أكياس الشم، ثم يتسكعون بسعادة، يلحق أحدهم مقود السيارة.)

منظر خارجي/وقت الغروب/الشارع

(يجري ألفي عبر الشارع، والسماء متلونة بلون برتقالي غامق، يعترض حصان جامح طريق ألفي منطلقاً من جهة اليمين.)

منظر خارجي/وقت الغروب/رصيف محطة القطار

(يجري ألفي باتجاه القطار، لافتة القطار مكتوب عليها "إي تسية زيوتندورف" IC Sebottendorf، يقف المحصل على باب القطار وينظر في ساعة يده، يصفر فيجلجل صوت صافرته.)

المحصل (صائحا): إلى "هامبورش" ¹، هيا أسرع!

منظر داخلي/ليل/ممر داخل القطار

(ينطلق القطار، يدس ألفي نفسه بين الركاب وهو يعاني من المرور بين الجنود الاتحاديين المخمورين الذين يملؤون القطار، ينقل من عربة إلى عربة.)
ألفي: معذرة.

جندي في حلة ماركة "كيفلار" Kevlar سوداء مصنوعة من الألياف القوية يفتح باب القطار، في الخارج يسمع صوت خريير الماء من سد "هيندنبورج" Hindenburg-Damm ثم

¹ اسم مدينة هامبورج Hamburg باللهجة العامية. (المترجم)

يخفت، جنديان يمسكان بزميلهم من اليدين والرجلين
ويؤرجحانه في الهواء.)

جندي: "فريتشه" سيطير الآن في الهواء.

الجنود: هيببي، هوب!

(يلقي الجنود زميلهم خارج القطار، صوت عظام تتكسر،
ثم صوت القطار والريح مرة أخرى.)

جندي: لقد فك صاحبنا نحسه.

(ينجو ألفي بنفسه إلى مطعم القطار.)

منظر داخلي/ليل/مطعم القطار

(يجلس دكتور ريبنماول على منضدة فوقها مفرش أحمر
وأمامه كأس من البيرة، لا يزال المقعد المقابل له شاغرا.)

ريبنماول: تعالي أيها الشاب! اجلس هنا!

ألفي: هناك في الخلف قد ألقوا شخصا خارج القطار، لا بد
أنه قد مات الآن.

ريبنماول: نعم نعم، القوات المسلحة الاتحادية،
يعاقرون الخمر

لسنوات

وهذا ما تراه منهم، عداً شديداً للمدنيّة، بربرية، ماذا
تشرب؟

(يطلب ألفي من النادل كوباً من اللبن.)

ألفي: لم أر شيئاً كهذا في حياتي، فمثل هذه الأشياء لم تكن
موجودة حتى وقت قريب.

ريبنماول: منذ أن وُجِدَت تلك المنطقة في بلادنا وكل
شيء قد انقلب رأساً على عقب.

ألفي: يجب علي - كما أظن - أن أذهب إلى المنطقة.

ريبنماول: لا أحد يستطيع دخولها، هذا مستحيل تماما يا ألف! وأنت تعلم، كل شيء هناك مصاب بالإشعاع، ولمدة آلاف السنين.

ألفي: أين هي؟

ريبنماول (ضاحكا): أين؟ نعم، أين كنت أنت مختبئا طوال العام الماضي؟ برلين، نعم، منطقة ألمانيا الشرقية السابقة كلها باتت موبوءة منذ وقوع الحادث.

(يحاول ألفي أن يشرب رشفة من كوب اللبن، وكلما أراد أن يضع الكوب من يده تخرج كل شيء على المنضدة).
ألفي: هل تعني أنه لم يعد أحد يعيش هناك؟ ماذا حدث للناس جميعا إذن؟

ريبنماول: إنهم يغادرون المنطقة شيئا فشيئا، ويضعون في المشافي، في الحقيقة ليس بيد أحد أن يساعدهم ألبتة، فكلهم يشيخون في غضون أسابيع قليلة.
ألفي: يعني هذا أنني لو اضطررت غدا للدخول إلى هناك سيحدث لي الشيء نفسه.

ريبنماول (يتحمس): لن تدخل أبدا إلى هناك، ونحن في غنى عن باقي الكلام، فلدينا مؤخرا حالة جديدة، حيث حاول أحدهم أن يفعل هذا الأمر من تلقاء نفسه - لا أدري كيف أقول ذلك - عندما وجدوه كان جلده يهترئ لأقل لمسة، كأنه رقق فرعوني قديم.

(يشير ريبنماول إلى المناظر الطبيعية التي تمر بسرعة أمام نافذة القطار، ويرسم بسبابته على السطح الزجاجي للنافذة دائرتين متداخلتين إحداها في الأخرى).

ريبنماول: انظرا! هذه هي المنطقة، وها نحن، الكم المقطوع أقل من أن يعني شيئا بالنسبة إلى الكم المتبقي.

(ياخذ ريبنماول رشفة من البيرة ثم يمسح فمه بظهر يده).
ريبنماول: ومن أراد أن يغامر على مسئوليته الخاص
فمحمتم أن يختفي إلى الأبد في هذا الجزء المتلاشي.

ألفي: ومن أين لك علم ذلك بهذه الدقة؟

ريبنماول: اهتمام شخصي بحت، لكن لماذا تريد بالضبط
أن تذهب إلى المنطقة، إذا جاز لي أن أسأل؟
(صوت مكابح القطار، يمشي المحصل خلال العربات
ومن ورائه اثنان من القساوسة خفيفا الظل مائلان إلى السمنة
يرتديان جُبتي قساوسة سوداوين وعلى كتف كل منهما بندقية
آلية.)

المحصل: دولة مدينة هامبورج الإنجيلية! أبرزوا أوراق
طوائفكم الدينية لو سمحتم!

ألفي (محدثا ريبنماول): ماذا يريد هؤلاء؟ هذا شيء لم
أره من قبل.

ريبنماول: سأتولى أنا الأمر، لا تقلق! إنها مجرد شكليات.
قسيس (١): أنت أيها الشاب! ابق قويا! اشرب البيرة! صل
واعمل! هكذا أقول لك. ما طائفتك؟ بسرعة!

ألفي: آآ...

(بسرعة يشير ريبنماول إلى ألفي وإلى نفسه.)

ريبنماول: إنه منهجي Methodist، وأنا تابع لكنيسة
يسوع، مسيح آخر الزمان، والآن دع الأمور تجري بسلام،
أيها القس!

(يواصل القسيسان الانتقال للمنضدة الأخرى واضعين
البنادق الآلية على الأكتاف، يكتم ريبنماول وألفي الضحك،
عند باب عربة الطعام يستدير القسيسان مرة أخرى.)

^١ (باللاتينية) ora et labora. (المترجم)

(تدور عجلات القطار مرة أخرى.)

ألفي: هذان الاثنان! إنهما يشبهان "فرير توك"!^١
ريبنماول (وهو يضحك): هذا هو الوضع منذ وقوع الحادث، عرف الناس طريقهم إلى الكنيسة، وبدأت الكنيسة تتصرف تماما كأنها دولة.

ألفي: أوه! لقد شارفنا على الوصول، يجب أن أدفع ثمن الحليب، سأخذ سيارة أجرة، هل يسافر المسيحيون أحيانا إلى المنطقة بهدف التبشير أو ما شابه؟
ريبنماول: نعم، مع السلامة إذن! حظا سعيدا! ربما نلتقي ثانية يوما ما.

(يسير القطار ببطء داخل محطة "ألتونا" Altona).

منظر خارجي/ليل/رصيف محطة القطار

(ينزل الاثنان من القطار، يندلق بعض الجنود خارج القطار، يمشي ألفي إلى لوحة دليل سيارات الأجرة، يختلس النظر من حوله، يغمز له ريبنماول بعينه مودعا.)

منظر داخلي/ليل/سيارة الأجرة

(السائق رجل حليق الرأس يرتدي حلة، يوجه السيارة ببطء شديد خلال شوارع هامبورج، كثيرا ما ينظر إلى الورا عبر المرأة، في مسند رأس السائق شاشة كريستال عليها شريط البيانات المعتمدة عن سيارة الأجرة.)

مذبة صينية (بصوت له ههههه): أنت الآن على الطريق في التاكسي رقم ٤١٦٢، سائقك اليوم في الخدمة منذ ثلاث

^١ "فرير توك" Friar Tuck أو الراهب "توك" هو رفيق روبين هود في قصصه الخيالية الحديثة، ويشتهر بخفة ظله. (المترجم)

ساعات وثلاث عشرين دقيقة، وقد تناول في هذه الفترة كوبين من القهوة، ودخن ثماني سيجارات، وتعاطى حبتين من باستيليا اليود، وعمره الافتراضي...

سائق التاكسي: هل أنت مسيحي؟

ألفي: يا إلهي، نعم، هذا فخار لكل شخص في ذاته، أن تكون إنجيليا...

سائق التاكسي: حسن، أنت على الطريق مع شخص عدمي Nihilist، كل شيء أصبح سيئا، انظر إلى هذه القذارة المسيحية!

(تمر السيارة تحت راية مسيحية، بجانب الطريق ملصقات ضخمة تبشر بالإنجيل وتمجده، أمام الكنائس يقف جنود مسلحون في حلل سوداء ماركة "كيفلار".)

سائق التاكسي: كل هذا كذب، أنا على سبيل المثال مرفوع ضدي دعوى قضائية لطردي من بيتي، قل لي أنت ممن؟ ٦٠ مترا مربعا، شرفة، موقع في "بارمبيك" Barmbek ، جميل جدا، ومن الذي يحتاج البيت فجأة؟ إنه الرب شخصيا.

ألفي: هل لديك سيجارة لي، إن أمكن؟

سائق التاكسي: تفضل! قلت لي أين تريد؟

منظر خارجي / ليل / مسكن

(ينصرف التاكسي، يقف ألفي تائها بعض الشيء أمام منزل له سمات إنجليزية في منطقة "هامبورج-بوزيلدورف" Hamburg-Pöseldorf، حديقة زهور صغيرة، لافتة بها زر جرس، ممر مسفلت بحجر صوان، تنبعث أصوات غناء مفرح من نافذة مفتوحة في الطابق الأول).

منظر داخلي/الليل/مسكن "نيجل"

في مسكن "نيجل" ذي الطراز القديم المؤثث بعناية ينتشر حوالي عشرة مسيحيين على الأرائك وعلى الأرضيات وهم يجلسون جلسة غير متكلفة، كلهم حفاة الأقدام، الشباب منهم ملتحون، والفتيات يرتدين ملابس بنفسجية فضفاضة، بعضهم يغني ويرقص في دائرة، والبعض الآخر يتلو نصوصا من الإنجيل، وبينهم نيجل منفوش الشعر. ثم يظهر ألفي على باب المسكن.

نيجل: ألفي! أيها الرجل، رائع أن تكون هنا.

ألفي: مرحبا، أنت "نيجل" إذن.

أحد المسيحيين: تعال وسطنا وغن معنا: "هاي، أبلغوا الجميع... " غدا هو اليوم الموعود، يجب أن تكون الأغنية في الصميم.

نيجل: تفضل! هناك نبيذ ساخن وشطائر، جميل أن أراك هنا.

(يخلع ألفي البلوفر، تتناوله إحدى الفتيات، تطويه بمودة وتضعه برفق على مقعد بلا مساند.)

ألفي: سائق التاكسي الذي أقلني للتو يبدو أنه وجودي

Existenzialist نوعا ما، فهو ضد هذا كله.

نيجل: لازال هناك الكثير من الخرافات التعسة.

ألفي: سرعان ما سيتوقف في الطريق.

نيجل (وهو يضحك): إنه يستطيع دائما أن ينام في

سيارته، رأيت، الرب يرحم الجميع.

(تدخل "كارين" من الردهة إلى الحجرة.)

كارين: لا، هذا ليس حقيقيا.

(تقلب كارين عينيها وتخرج مرة أخرى.)

ألفي: قفي! انتظري من فضلك!

(تأخذه إحدى المسيحيات من ذراعه باهتمام.)

المسيحية: لا يمكنك أن تأخذ الأشياء عَنوة، فالأمور تأتي

من تلقاء نفسها، تفضل! ألا تحب تناول شيء من هذا النبيذ الرائع؟ لقد أعدته أُمي لنا جميعاً.

ألفي: هذا أمر شخصي أنت لا تفهمينه.

نيجل: كلنا هنا أصدقاء، ليس بيننا أسرار.

(يضع ألفي كأس النبيذ دون أن يشرب منه شيئاً.)

ألفي: أنتم تدبرون كل شيء.

(يخرج ألفي إلى الردهة باحثاً، ينظر في حجرة النوم فيجد

مسيحيين يجلسان ويربت كلاهما على الآخر في حنو، يشم

ألفي رائحة نفاذة من جوارب ملبوسة.)

ألفي: أوه، معذرة!

(يفتح باب المطبخ فيجد حبيبان يَلْتَنان بأيديهما عجينة خبز

وهما يدندنان.)

مسيحية (٢): تعالَى! ما أحسن ذلك! ساعدنا في عمل

الخبز، فغدا هو اليوم الموعد.

(يصفق ألفي باب المطبخ بأعصاب محطمة، يسمع صوت

ماء المرحاض فيقرع باب الحمام.)

ألفي: كارين! أهذا أنت؟

رولا (من وراء الباب): الباب مفتوح.

(يفتح ألفي الباب ويرى كيف تضع رولا زينتها، ترتدي

شعرا قصيرا مستعارا لونه أسود، ونظارة سوداء إطارها من

العاج وفتاناً أنيقاً.)

ألفي: لقد ظننتك شخصا آخر.

رولا: سأنتهي من هذا سريعا.

(تعيد رولا غلق الباب الذي يجلس خلفه ريينماول على حافة حوض الاستحمام وهو يفحص جيدا قلم أحمر شفاه في يده.)

(يخرج نيجل إلى الردهة ويقدم لألفي نفسا من سيجارته الملفوفة يدويا.)

نيجل: تعالي، ولتنتس كارين الآن!

ألفي: لا شكرا! لم أعرف مطلقا أنه مباح لكم تعاطي المخدرات.

نيجل (وهو يضحك): القنب أيضا ينمو في أرض الله الواسعة، أنا أحصل على الخام من حدود المنطقة المنكوبة مباشرة، هناك ينمو هذا الشيء بصورة جنونية، ويبلغ طوله ثلاثة أو أربعة أمتار.

ألفي: حقا؟

نيجل: بالتأكيد، كل شيء هناك ينمو بسرعة، في المنطقة نفسها هناك أنواع عملاقة من فطر نفساني، لكن لا أحد يصل إليه، يقال إن الحيوانات هناك تطورت وأصبحت فائقة الذكاء، لكن كلها تموت بعد عدة أشهر.

ألفي: هل صحيح أنه لا أحد يدخل إلى المنطقة؟

منظر داخلي/ليل/حجرة الحمام

(يخضب ريينماول شفتيه باللون الأحمر مستخدما قلم الشفاه الخاص برولا، يلطخ شفتيه ويقلص عضلات وجهه.)

ريينماول: يبدو هذا فظيعا، هذا... تزيف.

(يمسح فمه بمنشفة.)

رولا (تكاد تبكي): لن أنجح في هذا.
ريينماول: أظن أنه لم يعد لديك خيار آخر.

منظر داخلي/ليل/الردهة

نيجل: من الممكن الدخول إلى هناك.

ألفي: سيروقتني أن أرى تلك الحيوانات.

نيجل: حسنا، لا يمكن دخول المنطقة عبر الحدود المعتادة، لكن ثمة مداخل خفية، أحد هذه المداخل – ومن الأفضل أن تحتفظ بهذا لنفسك – هو في هايدلبرج Heidelberg.

(تخرج رولا من الحمام، وتبدو امرأة شابة فاتنة الجمال.)

رولا: نيجل! هذا الشيء رائحته كريهة جدا.

ألفي: في حجرة النوم تنبعث من الناس رائحة جوارب.

رولا: إنك حسود! وهذا ليس صحيحا.

نيجل: بلى، هذا هو الجديد الآن.

(تتعلق رولا بذراع ألفي، وتأخذه إلى شرفة المسكن.)

منظر خارجي/ليل/الشرفة

(رولا وألفي يتأملان سماء الليل، صوت موسيقى تنساب،

إنها أغنية "If I didn't care" لفريق "Ink Spots"، تبدأ رولا

غناء الطبقات الصوتية العليا، ينضم نيجل إليهم ويغني

الطبقات الأعمق من الأغنية.)

(تبتعد الكاميرا عن الشرفة وتحلق نزولا إلى حديقة

المنزل الأمامية،

تطير على مقربة من الزهور متعددة الألوان، ثم تدخل عبر

أجمة، ومنها إلى الشارع حيث يسير بعض الأطفال في قطار

حاملين الفوانيس، تعود الكاميرا مرة أخرى إلى الشرفة حيث

لا تزال رولا ونيجل يغنيان: بينما يتمايل ثلاثتهم في حركة موسيقية واحدة، ثم تنتهي الأغنية.)

منظر خارجي/نهار/الحديقة الأمامية

(ينتبه ألفي فيجد نفسه مستلقيا في الحديقة الأمامية، يتجه إلى الباب، يرن الجرس، لا أحد يجيب، يظل الباب مغلقا.)
ألفي: يا شباب! يا رولا!
(يجلس على عتبات البيت، تتوقف أمامه سيارة أجرة.)
سائق السيارة: هل طلبت سيارة أجرة تُقلِّك إلى المطار؟
ألفي: آآ، نعم نعم، هي لي.
(بالأعلى أمام النافذة ومن خلف ستارة تهتز إثر غلقها تراقب رولا انطلاق ألفي بالسيارة وهي تتحدث في الهاتف.)

منظر داخلي/نهار/المطار

ألفي: أريد السفر إلى هايدلبرج.
موظفة الفحص: لا يمكن السفر إلى هناك مباشرة، يجب أن تسافر أولا إما إلى فرانكفورت وإما إلى شتوتجارت، وأنا أرجح لك فرانكفورت، لأن طائرتها ستقلع قريبا، ضع إحدى عينيك من فضلك على الماسح الضوئي، نعم هكذا، لا تحرك ذقنك!
(يضع ألفي رأسه في الإطار النحاسي لجهاز الماسح الضوئي الذي يعطي تصميمه إحساسا جماليا خاصا كأنه من عصر الملكة "فيكتوريا"، يُسمع صوت تكتكة ثم يومض ضوء أخضر.)

موظفة الفحص: أوه! للأسف لا أرى أمامي الآن مقاعد خالية إلا في درجة "دارك أدميرال" Dark Admiral Class، إنها مكلفة بعض الشيء، وهي لذلك هادئة جدا، ومستقرة.
ألفي: حسنا.

موظفة الفحص: جميل جدا، إذن نمسح العين مرة أخرى من فضلك! لأجل الحجز.

(ينظر ألفي مجددا داخل الجهاز الذي يتكثك مرتين.)
موظفة الفحص: أرى أن التصميم القديم أفضل، كان ظريفا نوعا ما، نعم، مقعدك بجوار النافذة (أ٢)، في رعاية الله!

(تدل موظفة الفحص ألفي على طريق خلف طاولتها يؤدي إلى باب أسود مكتوب عليه "صالة الدارك أدميرال"، عندما يتجه نحو الباب تومض العبارة لبرهة بحروف مضيئة بالنيون بلونين أخضر وأبيض، تفتح البوابة تلقائيا على الجانبين.)

(في صالة الـ "دارك أدميرال" المكسوة بقطيفة سوداء اللون تحمل اللمسة الفنية لمدرسة "باوهاوس" Bauhaus-Stil لا يجلس سوى أشخاص طاعنون في السن عليهم آثار الشيخوخة.)

منظر خارجي/نهار/ساحة السيارات أمام المطار

(تقبل سيارة "ميتسوبيشي لانسر" بسرعة كبيرة وتتوقف بشكل درامي، يخرج من باب السائق مندفعاً شاب بدين بشعر أشقر خفيف مفروق على الجانبين، ومن الناحية الأخرى تخرج رولا وهي تصيح فيه بعصبية.)
رولا: أسرع الآن! لقد تأخرنا كثيرا.

الحفيد: أعرف، المهم ألا يكونا قد غادرا بالفعل.
(يجري الاثنان في بهو المطار، ينزلق الحفيد بنعل حذائه
الأملس حتى توشك كتفه أن تلامس الأرض.)

الحفيد (منقطع الأنفاس): متجهة إلى فرانكفورت، سيده
عجوز بنظارة سميكة وأمتعة خفيفة، "د.د.أ."، هي جدتي،
كانت تنتظرنني، وقد حجزتُ بالفعل عن طريق الهاتف.
موظفة الفحص (بلا اكتراث): أخ، حضرتك. أخشى أنه
لم يعد بأيدينا شيء نعمله. قد استُكملت الرحلة.
(يضرب الحفيد على نافذة الفحص بقبضته.)

الحفيد: كلا كلا، أنت لا تفهمين! إن لي هنا امتيازاً أرياً!
هذه وقاحة! لا بد أن أُلحق بجدتي فوراً! إن بحوزتها علبة
دونيتي...

رولا: ...هلا صمّت، يا وجه القرد!
موظفة الفحص: أعتقد أن ثمة شيء لا تفهمانه البتة.
(تلتقط الهاتف.)

موظفة الفحص: خدمة الأمن! فلتأتوا حالا إلى نافذة رقم
عشرة!

(عدد كبير من الجنود المسلحين المتشحيين بالسواد
يتجهون نحو النافذة، يطرحون الحفيد أرضاً، يجثم أحدهم
على ظهره ويلوي ذراعه في وضع صعب مؤلم جداً، بينما
يستدعى الجندي قوات الصاعقة عن طريق اللاسلكي المثبت
بأذنه.)

(تستغل رولا الفوضى، وتتسلل خلف نافذة الفحص،
وتختفي في صالة الـ "دارك أدميرال".)

موظفة الفحص: الشيء نفسه كل صباح! هؤلاء الآريون
الأوباش!

منظر داخلي/نهار/صاله دارك أدميرال

(يقلب ألفي صفحات وعناوين صحيفة "هامبورجيش كريستليشين تاجه برسّه" Hamburgisch - Christlichen Tagespresse: "رقم قياسي للزوار في يوم القدس"، "الرب اليوم في هامبورج"، "الماء والخضرة كأنهما في اليوم الأول"، "سفر التكوين في "رُوتنبأوم شاؤسزي" Rothenbaum-chaussee، يُنحّي ألفي الصحيفة جانبا في عصبية ويحاول أن يشرب كوبا من اللبن، لكنه يترجرج قبل أن يتمكن من رفعه إلى فيه.)

(سيده عجوز تتهادى وهي خارجه من دورة مياه الصاله، ترتدي طقم "توينست" Twinset مكون من بلوفر وجاكت لونهما رمادي فاتح، تضع عقدا من اللؤلؤ وشعرا قصيرا، وتلبس نظارة سميكة جدا إطارها من العاج، إنها "رولا" متنكرة في شكل الجده، تمشي في تناقل باتجاه ألفي.)

الجده: ها هو أنت أخيرا، يا صغيري، لقد قلقت عليك جدا، لكني أعلم جيدا أنك دائما ما تتأخر يا حفيدي، لن تتعلموا الانضباط أبدا.

ألفي (مرتبكا): أوه، نعم، أنا آسف! ممم، المواصلات، المسيحيون...

(تمسك الجده بذراع ألفي وتربت على وجنته.)

الجده: الأمور على ما يرام، أنا أعلم، المهم أنك هنا، دعنا نذهب الآن لقد نودي على الرحلة.

(يأخذ ألفي حقيبة اليد الصغيرة من الجده، تتعلق هي بذراعه ويتجه الاثنان معا إلى البوابة، ومن ورائهما ينتتبع باقي العجائز والشيوخ.)

منظر داخلي/نهار/الطائرة

(تبدو درجة الـ "دارك أدميرال" نسخة من أكشاك برشلونة من تصميم "ميس فان دير روهه" Mies van der Rohe، يعكس سطح الزجاج صورا ثلاثة الأبعاد، ليس في الطائرة إلا كهول، يجلس ألفي والسيدة العجوز متجاورين.)
الجدّة: من الخير أنك أتيت معي إلى فرانكفورت، كنت دائما الحفيد الأقرب إلى نفسي، ولحسن الحظ أنك قد تحكمت أيضا في نوبات الغضب الشديد التي كانت تنتابك دائما وأنت صغير، أذكر أن...

ألفي: إنك... تذكريني أيضا بشخص ما.
الجدّة: أخ يا ولدا! نكاتك هذه، كم أحسبك عليها! أنا جدتك وسأظل هكذا دائما وأبدا.
(إحدى المضيفات تقدم مناشف سوداء ساخنة، يدلك ألفي وجهه بواحدة منها.)

ألفي: تفضلي يا جدتي! هذه للوجه.
الجدّة: لا، شكرا، دعك من هذا! وإلا لزمني أن أعيد وضع زينتني من

جديد. هكذا الأمور مع العجائز أمثالي. اسمع يا بني! أنا قلقة جدا، والدك قال يوما، عندما مات زوجي الطيب "ويلي" كما تعرف، وعندما كنا في طريقنا إلى المقابر كي نواريه التراب، قال والدك في سيارة الأجرة، ولن أنسى ذلك أبدا: "الآن يجب أن يكون والدي تحت التراب، وقد كان."، ثم اتصل تليفونيا برئيس الطهاة في "فرانكنهوف" وسأله هل بيض السمان الذي سيوضع في وليمة المأتم طازج أم لا...

(ينسى ألقى نفسه وينظف أظافره بمنشفة الوجه ثم ينظر إلى أعلى).

ألقى (لاعبا معها دور الحفيد): ...آآ! والدي، نعم، الطعام، هو لا يحيا إلا لأجله، دائما ما كنت أتعجب من أين له بالمال الذي ينفقه في كل هذه المطاعم الباهظة، أعني تلك الأمسيات في "ريمين" مع أصدقائه...

الجدة: ...لم أعرف هذا أبدا، أوه، ولا أريد أن أعرف، يا بني! كان والدك جاحدا لكل فضل، سواء مني أو منا جميعا، أولا الأكاديمية ثم من بعدها حمايته ثم كل شيء آخر كان يأتي عبر علاقات "ويلي" الجيدة، لقد كان "مانفرد" يكره والده دائما، لم يستطع أبدا أن...

(صوت جرس تنبيهي ثم بيان يلقيه قائد الطائرة).

قائد الطائرة: حضرات السيدات والسادة! نحن الآن على ارتفاع يبلغ عشرين ألف قدم، أي أننا أقرب إلى الرب، أتمنى أن تكونوا قد تأقلمتم مع الرحلة على متن طائرتنا، بمشيئة الله ستهبط الطائرة في مطار فرانكفورت/ماين Frankfurt/Main في غضون ثلاثة أرباع الساعة، وحتى لا نزعجكم قمنا بإغلاق النوافذ على الجانب الأيسر من الطائرة، ولا يمكن فتحها يدويا...

ألقى:... اليسار هو جهة المنطقة المنكوبة...

الجدة:...ماذا قلت؟

ألقى: أخ! لا شيء.

قائد الطائرة: رحلة سعيدة، وفتورا شهيا سيُقدم لكم هذه اللحظة، شكرا على طيرانكم معنا في درجة "دارك أدميرال"، أمين.

ألقى:...هل لي أن أريك شيئا يا جدتي؟

(توزع المضيفة مشروبات ساخنة من عربتها المزودة بأقذاح سوداء، وتضع أمام ألفي والجدة وجبتين صغيرتين من شرائح خبز الذرة مع الزبد والكافيار.)

المضيفة: خفيفة ومغذية، خبز أسود طازج من "نيسن" Nissen، مع زبد من بحر البلطيق وكافيار من الاتحاد الفيدرالي، شهية طيبة!

(يُخرج ألفي من الحقيبة الصورة الفوتوغرافية التي أعطاهما له الكهل في المستشفى.)

ألفي: انظري!

(تنتاب الجدّة نوبة ارتعاش خفيفة.)

الجدّة: قطعة من الذكريات الجميلة، صورة جميلة.

(تسترد الجدّة ثباتها.)

الجدّة: تعرف، معي هنا شيء ينبغي ألا يدخل في التركة، إذا أعطيته لك الآن فلن يعلم به أحد من العائلة أبداً، وعليك أنت التزام الصمت، اتفقنا؟

(تُخرج من حقيبتها صندوقاً صغيراً فضي اللون، وتعطيه إلى ألفي، على غطاء الصندوق حفرت كلمة "دونيتس" بخط دقيق.)

(يأخذ ألفي الصندوق ويقلبه بين يديه، بينما تقضم الجدّة قطعة من الخبز.)

الجدّة (بغم ممتلئ): إممم، ليس سيئاً، لماذا يشوب هذه المربي السوداء مذاق السمك؟

(تنظر إليه من الجانب.)

الجدّة: فلتخبئي هذا الآن!

(بينما يتناول الاثنان الطعام والشراب تنزلق المضيفة بعربتها إلى نهاية الممر، فجأة ينخفض الضغط داخل الطائرة وتسقط أقنعة تنفس سوداء من سقف الطائرة، ويضع الركاب أيديهم على قلوبهم في حركة جماعية، وبالتزامن تتعثر المضيفات المرتديات أزياء سوداء في أرجاء المكان، وتتطاير المأكولات وشرائح الخبز السوداء في كل اتجاه، وتبدو الطائرة في حالة سقوط حر وهي تنز وتصدر دخانا كأنها مقاتلة نفاثة في هجوم بالقنابل.)

(مونتاج: لقطة مقربة جدا لشعر يهتز حول أذن رجل كهل، لهب شمعة يتراقص في مهب الريح، صوت خشخشة، عدد كبير من الشموع، حاخام يهودي يتلو ترانيم يوم السبت محاطا بحلقة من الأطفال، تنبعث موسيقى أغنية " If I didn't care" بنغمة رنانة هادئة، يجلس ألفي على أحد المقاعد وفي يده صورة المرأة الشابة التي في المنقطة المنكوبة، لكنه ينظر إلى الحائط، ثمة مرج أخضر يعلوه ضباب، خيام لاجئين، رياح تهب فتبعثر القمامة والورق بين الخيام، حواجز، أسلاك شائكة، المكان بكل ما فيه يشبه موقعا للبناء، وضع إغاثي مؤقت، إنها حدود المنطقة المنكوبة، قذيفة ضوئية حمراء تطلق في السماء من مكان ما، ثم تعود لتسقط في الضباب مرسله ضوءا برتقاليا رقيقا.)

(في غابات المنطقة المنكوبة: يسير ألفي على طريق ضيقة بمحاذاة بعض الأشجار التي تططق فروعها السفلية الجافة تحت أقدامه، يُسمع من مكان ما صوت ضحكة مجلجلة لطفل صغير، يرتعب ألفي، يلتفت فيجد رجل المستشفى الكهل واقفا خلفه باسطا كفا فيه حبة جوز، تنفجر الحبة.)

(يفتح ألفي عينيه، كل شيء على ما يرام، السيدة العجوز نائمة وقد ارتسمت على شفثيها ابتسامة، طقم "التوينست" الذي ترتديه لم يمتهن، الطعام أمامهما كما هو لم تمسه يد، لم يحدث شيء البتة.)

(يفتح ألفي عينيه ثم يغلقهما، تبدأ الطائرة مناورة للهبوط في مطار فراكفورت، في الالتفافة الأخيرة للطائرة تلمع ناطحات السحاب، يدس ألفي العلبة في جيب سرواله ذي الحمالات بجوار الصورة الفوتوغرافية.)
(تحط الطائرة وتتباطأ عجلاتها على الأرض، ينطلق ألفي على قدميه دون أن يتمهل حتى تستيقظ السيدة العجوز.)
(تفتح العجوز عينيها وتنظر إلى ألفي وهو ينصرف.)

منظر داخلي/نهار/دورة مياه المطار

(تنزع رولا عن وجهها القناع المطاطي الرقيق الذي يحمل ملامح السيدة العجوز، وتزيل المطاط من طيات ملابسها المحيطة بالبطن والصدر، وتخلع طقم التوينست فيظهر من خلف التركيبة المعقدة لحمالة الثديين صدر رجالي ذو شعر، تنظر رولا في المرآة وتخضب شفثيها باللون الأحمر بسرعة وثبات.)

رولا: أخ! ألفي، تبا، لن أنجح في هذا. مؤكد أنني لن أنجح.
(تخلع بسرعة حذاء الجدة، وتمرر شفرة حلاقة يدوية على رقبتها في عجلة لكن بمهارة، أثناء ذلك تبدل بين قدميها المكسوتين بجورب فوق الركبة، في حركة أنثوية أثناء الوقوف.)

منظر داخلي/نهار/مبنى المطار

(يوشك ألفي أن ينبطح أرضاً على الممر ذي النتوءات المطاطية لكنه يتمالك نفسه، يصطدم بجندي كان قادماً في الاتجاه المقابل، في الحال يطلب منه الجندي إبراز هويته، يدخل ألفي يده في جيبه ويخرج جواز سفر ويقدمه للجندي.)
(لقطة قريبة: الجواز صادر باسم "ويليجوت"، والصورة فيه لرجل كبير في السن نسبياً له لحية وشعر طويل، ولا يشبه ألفي مطلقاً، يبتسم الجندي ويهز رأسه ويغمز بعينه ثم يعيد جواز السفر لألفي مرة أخرى ويسمح له بالذهاب.)

منظر داخلي/نهار/مبنى المطار

(تمر رولا على الجندي نفسه، تتفكر قليلاً ثم ترجع إليه.)
رولا: من أين ينطلق القطار المتجه إلى هامبورج؟
(يختال الجندي بنفسه ويعدّل من حلته الـ "كيفلار" ويتنحج.)
الجندي: إحم. نعم يا أنسة، هذا شرف لي. الطريق من هناك أسفل هذا السلم، وإن أحببت أن...
رولا: ...لا، شكراً، مع السلامة!
(تجري رولا في اتجاه السلم، يهز الجندي رأسه مصدوماً.)
الجندي: أخ! خسارة.

منظر داخلي/نهار/محطة القطار بالمطار

(في محطة قطار المطار ينطلق القطار السريع "إي تسيه إه فايسثور" ICE Weisthor كالسهم، الباب الذي يتوقف

أمام ألفي عبارة عن ضلفتين لهما إطار أبيض يفتحان ببطء للأمام ثم للجانبين.)

(تنزل رولا السلم الكهربى جريا وترى ألفي لحظة ركوبه القطار، تستقل هي عربة القطار التالية.)

(يسقط ألفي على المقعد منهكا مرهقا، يسند جبهته إلى زجاج النافذة المعتم، يتفحص البقعة الدهنية التي تركها جبينه على الزجاج، ينطلق القطار ببطء وبنعومة غير ملحوظة، ينعكس في البقعة الدهنية وجه "أودو كير" المشوب بشيء من العبوس.)

أودو كير: المقعد هنا شاغر ، أليس كذلك؟

(ينظر إليه ألفي مرتعبا، ويمسح بقعة الدهون عن الزجاج بشكل محموم.)

ألفي: نعم نعم، طبعاً، لماذا؟

(يشعل "كير" سيجارة ويمتص دخانها بشراهة وينفخه في وجه ألفي.)

أودو كير: تبدو لي أحدهم، أنت مسيحي، أمّ ماذا؟

ألفي: لا لا، ولكن عليّ أن أذهب إلى المنطقة، ربما تعلم حضرتك أين تقع؟

أودو كير: أنت تطرح أسئلة كثيرة شائقة جداً، هي في رأي كثيرة لكنها جيدة، هذا يعني أنك تستحق جواباً، فقط تعالى معي!

(ينهض أودو كير ويتقدم ألفي مشيراً بذراعه تجاه الحيز الواقع بين العربات.)

ألفي: انتظر، أنا أعني أين...؟

(يتبع ألفي الرجل ويدخلان معا إلى دورة مياه المعاقين، يكفأ أودو كير غطاء المراض، يقف الاثنان أمام المرأة في

ضوء شاحب مائل إلى الزرقة، يرسم كير بإبهام وسبابة يده اليمنى دائرة أمام عينيه، هي عبارة عن صفر مستدير، يقف الاثنان متجاورين في صمت لمدة طويلة إلى أن يبدأ ضوء النيون في الوميض...

هنا ينقطع النص السينمائي. (المؤلف)
